المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية



الهجرة إلى الحبشة
وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد الباحثة:

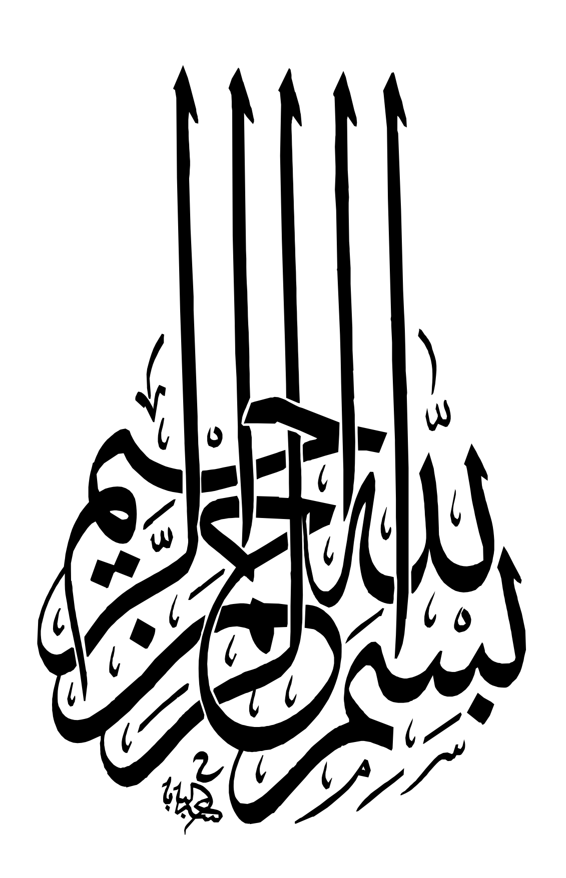
أروى بنت علي بن محمد اليزيدي

الرقم الجامعي (٤٢٨٨٠١٥٧)

إشراف فضيلة الشيخ:

أ.د/ خالد بن عبدالله بن مسلم القرشي

١٤٣١هـ - ٢٠١١م


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعـــد:

فهذا ملخص ما احتوته رسالة الماجستير التي موضوعها (الهجرة إلى الحبشة وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية) والمقدمة إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، شعبة الدعوة الإسلامية من الباحثة أروى بنت علي بن محمد اليزيدي.

تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره والصعوبات التي واجهتني والدراسات السابقة وتساؤلات البحث، ثم بينت منهجي في البحث وخطة البحث، وفي التمهيد ذكر التعريف بمفردات عنوان الرسالة، ثم بينت المقصود بالحبشة وبيان موقعها الجغرافي، وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول، أما الفصل الأول فكان عن الحالة العامة للحبشة في عهد النبي ﷺ من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية، والفصل الثاني عن دوافع الهجرة إلى الحبشة، فذكرت فيه موقف قريش من الدعوة والذي انقسم إلى فريقين.. فريق آمن وفريق كفر وصد عن الدعوة وأخذ بإيذاء صاحب الدعوة وأصحابه، لذلك عمل الرسول ﷺ على البحث عن أماكن آمنة للدعوة فأمر أصحابه رضي الله عنهم بالهجرة إلى الحبشة، ثم خرج عليه الصلاة والسلام إلى الطائف، ومن ثم هاجر إلى المدينة، وبذلك تكون الدعوة حققت عالميتها، وفي الفصل الثالث تحدثت عن أحداث الهجرة الأولى والثانية وأسماء المهاجرين وأعدادهم في الهجرتين ومقابلة النجاشي لهم، ثم عودة آخر مجموعة منهم في عام خيبر، وفي الفصل الرابع تحدثت عن منهج المهاجرين العلمي والتطبيقي الذي اتبعه المهاجرون في الدعوة في أرض الحبشة، أما الفصل الخامس فقد ذكرت فيه آثار الهجرة والدروس المستفادة منها.

الباحثة: أروى بنت علي بن محمد اليزيدي

المشرف على الرسالة: د/ خالد بن عبد الله القرشي



Thesis abstract

"Praise to Allah, the Lord of the Worlds and peace be upon his prophet; Mohammad , his family and his fellowmen ."

This summary of the content of my thesis under the title ; " Immigration to Ethiopia and its effects on spreading Islamic call " being presented to the department of Islamic Call and culture , Islamic call dept. by the researcher; ARWA ALI ALYAZIDI .

In the introduction part , I deal with the importance of the topic and the reason for its choice and the challenges that I faced as well as the previous studies pertaining to the topic and the research queries . Then , I illustrated my approach on researching and the research plan . In the preface part , I dealt with identifying the items of the thesis title . Then , I explained what is meant by Ethiopia and its geographical location . I divided my thesis into an introduction , a preface , five chapters . Chapter one deals with the general situation in Ethiopia at the time of the prophet from the political , social and religious sides . Chapter two deals with the motives behind the first immigration to Ethiopia and I mentioned Quraish's attitude towards the Islamic call where it was divided into two parties . One of them believed in Islam and the other disbelieved and fought against the call and harming its supporters . So, Prophet Mohammed sought a safe place for his fellowmen to resort to away from Qurish's persecution and therefore he asked his fellowmen to immigrate to Ethiopia, then the prophet immigrated to Taif. Then, he immigrated to Madinah. Thus, the Islamic call achieved its universality. Chapter three deals with the events of the second Higra or Holly immigration , the names of the immigrants and their numbers and the meeting between them and the king of Ethiopia called Najachi and then the their return in Khaiber siege. In chapter four, I dealt with. The scientific approach of the immigrants that they adopted when calling for Islam in Ethiopia. Chapter five, deals with the influences of Higra and its morals .

Researcher : ARWA ALI MOHAMMED ALYAZIDI .

Thesis supervisor : Dr. KHALID ABDULLAH AL-QURASHI



المقدمـــة

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

والقائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[2].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: "فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ"[3]، والقائل: "لَكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ"[4].

ورضي الله عن الصحابة الكرام الذين اقتدوا به وساروا على نهجه وهاجروا في سبيل ربهم ونشروا دينه وصبروا وضحوا من أجل ذلك.

أما بعـــد:

فإنه لا غنى للإنسان عن دين ينير عقله بالعلم والعرفان، ويهدي قلبه باليقين والإيمان ويثير طاقاته وقواه لتنشط في الحق والخير ويرسم له المثل الأعلى كي لا يخطئ

----

(١) سورة النحل:الآية (١١٠).

(٢) سورة النحل:الآية (٤١).

(٣) صحيح البخاري:كتاب الإيمان والنذور، باب النية في الإيمان، ج٨، ص٥٣٧، ٥٣٨ حديث رقم (١٥٣٨).

(٤) صحيح البخاري:كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج٥، ص٢٤٩، ٢٥٠ حديث رقم (٦٩٧)، وصحيح مسلم كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أصحاب هجرة الحبشة رضي الله عنهم، ج٣، ص٢٥٥، ٢٥٦ حديث رقم (٦٤٩٤) و(٦٤٩٥).

الهدف أو يضل الطريق، ولقد كان الإسلام الدين الذي استهدف هذه الغايات ليصل بالإنسان إلى أقصى درجات السمو الذي أكمله الله وأتم به النعمة ورضيه للناس ديناً[1].

ولقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ هذا الدين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2]، ولا يكون حفظ الدين إلا بحفظ أهله والصحابة الكرام هم المكوِّن الرئيس للإسلام ويقع على عاتقهم أعباء هذه الرسالة والمحافظة عليها، لهذا عمل الرسول ﷺ على التماس الأسباب للمحافظة على دين أصحابه رضي الله عنهم فأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة، فالمتأمل في الهجرة يجد أنها ليست فقط حركة انسحابية فراراً من الأذى والاضطهاد ولكنها في حقيقتها مجاهدة وجهاد بتغيير الواقع، وتحقيق الهدف، وتجاوز حالة الضعف والركود، وسبيل لاسترداد الفاعلية والقدرة على الفعل، ومحاربة جادة للإقلاع من جديد، فالهجرة إلى الحبشة التي هي أول هجرة في الإسلام انطلقت في الأساس من رؤية استراتيجية في التوقيت والمقصد ونوعية المهاجرين وعددهم، ومدة البقاء الطويلة والتي لم تنته إلا بأمر مباشر من النبي ﷺ.

فإن الهجرة إلى الحبشة لم تكن فقط بدافع الفرار من الأذى بل كان الهدف الرئيس منها هو المحافظة على الدين من الافتتان والعمل على نشره، وكان هؤلاء المهاجرون هم أفضل كوادر الإسلام من الشباب الممتلئ يقيناً بعقيدته، ونشاطاً بالحركة لخدمتها، وقدرة على العطاء الطويل وقد كان المعيار الذي وضعه النبي ﷺ لاختيار الحبشة للهجرة هو العدل والحرية في ممارسة العقيدة وإيجاد المكان الآمن الذي يستطيع المهاجرون أن يؤدوا شعائر دينهم ويقوموا بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) مقدمة كتاب دعوة الإسلام:السيد سابق، دار الفكر، ص٧.

(٢) سورة الحجر: الآية (٩).

لذلك آثرت بعد استخارة الله ثم توجيه شيخي فضيلة الأستاذ الدكتور خالد بن عبدالله القرشي أن أكتب هذا البحث عن الهجرة إلى الحبشة وبيان دوافع هذه الهجرة وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية.

۞ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن قضية الهجرة إلى الحبشة من القضايا المهمة في حياة المسلمين إذ إنها تبين كيف أن النبي ﷺ عالج المشكلة التي كان يعاني منها المسلمون بحنكة ودراسة وتخطيط حيث اختار لهم المكان الآمن الذي يستطيعون فيه إقامة شعائر دينهم، ثم إنها تبين المكانة العظيمة للمهاجرين حيث قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

ويمكن أن تتلخص أهمية الموضوع وأسباب اختياره في الأمور التالية:

١- الوقوف على جانب من جوانب السيرة العطرة ومحاولة خدمة هذا الجانب، وإبراز ما تركه من آثار عظيمة في الدعوة إلى الله تعالى.

٢- أهمية الهجرة إلى الحبشة إذ لا يكاد يخلو مصدر قديم في السيرة أو مرجع حديث إلا ويأتي فيه ذكر عنها سواء أكانت الهجرة (الأولى أم الثانية) فهي أول هجرة في الإسلام، لذلك كانت هذه الدراسة لإبراز الجانب الدعوي فيها.

٣- إن قضية الهجرة إلى الحبشة من القضايا المهمة، خاصة أنها تبين الخطة الاستراتيجية التي قامت عليها في اختيار الملاذ الآمن الذي يأمن المهاجرون فيه على دينهم وأرواحهم ثم قيامهم بالدعوة إلى الله وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر.

---

(١) سورة التوبة: الآية (٢٠، ٢١).

٤- التعرف على الطريقة السليمة التي سار عليها الرسول ﷺ بالتخطيط للهجرة؛ حتى يقتدي به الدعاة إلى الله تعالى خلال مسيرتهم في الدعوة إلى الله تعالى.

لهذا كله رأيت أن أتناول هذا الحدث التاريخي الدعوي المهم بالبحث والدراسة، وإبراز ما فيه من الحكم البليغة والآثار العظيمة.

۞ الصعوبات التي واجهتني:

من الصعوبات التي واجهتني قلة المصادر التي تتحدث عن الهجرة وأحوال المهاجرين في أرض الحبشة، وأكثر ما ذكر هو وقت خروجهم من مكة ثم عودتهم إلى مكة مرة أخرى، وهجرتهم الثانية ومقابلة النجاشي لهم دون ذكر تفصيل عن ذلك كله كما أنني لم أعثر فيما اطلعت عليه من كتب ما يفيدني في موضوع حالة الحبشة في عهد النبي ﷺ من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية وأكثر ما وجدت أنها تتحدث عن الحبشة قبل البعثة وبعدها تتطرق لهجرة الحبشة دون ذكر لما كان عليه الأحباش من النواحي السابقة الذكر، وذلك حين هاجر إليها بعض من أصحاب النبي ﷺ فالمعلومات عن الحبشة في ذلك العهد قليلة جداً، ولقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على ما جاء من أخبار الهجرة في كتب السير، ثم رجعت إلى المراجع الحديثة وبذلت قصارى جهدي لأستخرج منها ما يفيد في هذا الموضوع سائلة الله التوفيق والسداد.

الدراسات السابقة :

حسب اطلاعي على الدراسات السابقة فإنني لم أجد دراسة تحدثت عن الهجرة إلى الحبشة (دراسة دعوية) وآثار هذه الهجرة، وكيف جرت أحداث هذه الهجرة، وإنما الدراسات التي بحثت إنما كانت تتحدث عن الحبشة ولم يتطرق الباحثون فيها إلى الهجرة وآثارها على المسلمين أنفسهم وعلى نشر الدعوة الإسلامية في الحبشة فيما بعد.

ومن أبرز الدراسات ما يلي:

دراسة الباحث عبدالله الخضر بن أحمد العروسي[1]:

عنوان الدراسة: الثقافة الإسلامية في الحبشة والتحديات الموجهة إليها في القرن الرابع عشر الهجري.

فإن هذه الدراسة لم تتحدث عن هجرة المسلمين إلى الحبشة وإنما كان موضوعها الثقافة الإسلامية في الحبشة بينما دراستي إن شاء الله سوف تكون عن الهجرة إلى الحبشة وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية وللاستفادة منها في العصر الحاضر.

تساؤلات البحث :

من خلال ما ذكر في البحث يمكن إثارة التساؤلات الآتية:

كيف كانت الحالة الدينية والسياسية والاجتماعية في الحبشة في العهد النبوي ؟

ما دوافع الهجرة إلى الحبشة ؟

ما موقف قريش من الدعوة ؟

----

(١) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، الثقافة الإسلامية، ١٤١٤هـ.

ما الأماكن الآمنة للدعوة ؟

هل تحققت عالمية الدعوة ؟

كيف كانت أحداث الهجرة الأولى إلى الحبشة ؟

كيف كانت أحداث الهجرة الثانية للحبشة ؟

ما منهج المهاجرين في الدعوة إلى الله في الحبشة ؟

ما آثار الهجرة على المهاجرين أنفسهم ؟

ما آثار الهجرة على أهل الحبشة ؟

ما آثار الهجرة على كفار قريش ؟

ما الدروس المستفادة من الهجرة إلى الحبشة ؟

منهجي في البحث:

١- من المعلوم أن مصادر السيرة النبوية هي أهم مصادري في موضوع بحثي، فإذا وجدت الرواية فإني أرجع إلى كتب الحديث بعد استخراج الحكم على الراوية، ومعظم الروايات التي استخرجتها من كتب السير مدعومة من كتب الحديث.

٢- الاعتماد على المصادر القديمة الأصيلة، والمراجع الحديثة المفيدة.

٣- ترقيم الآيات وذكر سورها في القرآن الكريم.

٤- الاعتماد على الأحاديث الصحيحة غالباً، مشيرة إلى الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث فإن وجد الحديث في الصحيحين فإني أكتفي بذلك، فإن لم يوجد فإني أرجع إلى من خرجه من أصحاب الكتب الستة مع ذكر حكم الألباني على الحديث، فإن كان الحديث في مسند أحمد فإني أذكر حكم المحقق على الحديث.

٥- ترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث سواء المشهورون منهم أوغيرهم، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

٦- بيان معاني الكلمات الغريبة.

٧- عند الاستشهاد بالآيات فإني في بعضها أذكر أقوال المفسرين، وكذا عند الاستشهاد بالأحاديث.

٨- ذكرت الاستفادة من بعض الروايات قدر استطاعتي.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة.

المقدمة تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، و الصعوبات التي واجهتني، و تساؤلات البحث، و منهج البحث.

التمهيد فقد ذكرت فيه أربع نقاط:

أولاً - تعريف الهجرة لغة واصطلاحاً.

ثانياً - تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

ثالثاً - الهجرة : أنواعها وأحكامها.

رابعاً - المقصود بالحبشة وبيان موقعها الجغرافي.

الفصل الأول: الحالة العامة للحبشة في العهد النبوي.

فيه أربع مباحث:

المبحث الأول: الحالة الدينية.

فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوثنية .

المطلب الثاني : اليهودية .

المطلب الثالث: النصرانيه.

المطلب الرابع: الإسلام .

المبحث الثاني: الحالة السياسية:

فيه مطلبان :

المطلب الأول : الحالة السياسية للحبشة قبل عصر النبوة .

المطلب الثاني :أحوال الحبشة السياسية في عصر النبوة .

المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية:

فيه مطلبان

المطلب الأول: الحالة الاجتماعية للحبشة بوجه عام .

المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية للحبشة في عهد النبي ﷺ بوجه خاص .

الفصل الثاني: دوافع الهجرة إلى الحبشة

فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول:موقف قريش من الدعوة:

فيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: الجهر بالدعوة .

المطلب الثاني: دار الأرقم بن أبي الأرقم .

المطلب الثالث: الأساليب التي استخدمها كفار قريش في مواجهة الدعوة.

المطلب الرابع: أسباب كفر قريش وعدم إيمانها.

المطلب الخامس: حكمة الكف عن القتال في مكة.

المبحث الثاني: البحث عن أماكن آمنة للدعوة:

فيه أربع مطالب :

المطلب الأول : الهجرة إلى الحبشة .

المطلب الثاني : خروج النبي ﷺ إلى الطائف .

المطلب الثالث: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل .

المطلب الرابع: هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة .

المبحث الثالث: تحقيق عالمية الدعوة:

فيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى العالمية لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : الأدلة على عالمية الدعوة الإسلامية .

المبحث الرابع: أمر الرسول ﷺ لهم بالهجرة:

فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مشروعية الهجرة إلى الحبشة والصيغ الواردة فيها .

المطلب الثاني : معرفة النبي ﷺ بأرض الحبشة .

المطلب الثالث: سبب اختيار النبي عليه الصلاة والسلام للحبشة مهجراً لأصحابه رضي الله عنهم.

الفصل الثالث: أحداث الهجرة إلى الحبشة

فيه مبحثان:

المبحث الأول: أحداث الهجرة الأولى:

فيه مطلبان :

المطلب الأول: المرحلة الأولى من الهجرة .

المطلب الثاني : عودة أصحاب الهجرة الأولى من الحبشة إلى مكة .

المبحث الثاني: أحداث الهجرة الثانية:

فيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: المرحلة الثانية للهجرة .

المطلب الثاني : موقف كفار قريش من المهاجرين .

المطلب الثالث: موقف النجاشي من المهاجرين .

المطلب الرابع : شخصية النجاشي الملك العادل .

المطلب الخامس : قدوم مهاجري الحبشة إلى المدينة .

الفصل الرابع : منهج المهاجرين في الدعوة إلى الله بالحبشة

فيه مبحثان :

المبحث الأول: المنهج العلمي.

فيه أربع مطالب :

المطلب الأول : الاجتماع وعدم الفرقة .

المطلب الثاني : تحقيق مبدأ الشورى .

المطلب الثالث : الاعتصام بالكتاب والسنة .

المطلب الرابع: اختيار القيادة .

المبحث الثاني: المنهج التطبيقي:

فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الأسلوب الحسن في عرض الدعوة .

المطلب الثاني : الدعوة بالقرآن .

المطلب الثالث :العزم على قول الحق والثبات عليه .

الفصل الخامس : آثار الهجرة إلى الحبشة والدروس المستفادة منها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آثار الهجرة إلى الحبشة:

فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: آثار الهجرة على المهاجرين .

المطلب الثاني : آثار الهجرة على كفار قريش .

المطلب الثالث: أثار الهجرة على أهل الحبشة .

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من الهجرة

فيه مطلبان :

المطلب الأول : الدروس المستفادة للدعاة .

المطلب الثاني : الدروس المستفادة للمدعوين .

الخاتمـــة :

فيها أهم نتائج البحث والتوصيات

وقد ذيلت البحث بملحق:

بأسماء المهاجرين إلى الحبشة (الهجرة الأولى والثانية).

كما ذيلت البحث بدليل اشتمل على ما يلي :

١- فهرس الآيات القرآنية .
٢- فهرس الأحاديث والآثار .
٣- فهرس الأعلام والبلدان .
٤- فهرس الكلمات الغريبة .
٥- فهرس المصادر والمراجع .
٦- فهرس الموضوعات .

شكر وتقدير

أخيراً لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالحمد والشكر لله تعالى أولاً وأخراً وظاهر وباطناً الذي منّ علي بإتمام هذا البحث وإكماله ويسّر لي طريقاً ألتمس فيه علماً ،ثم أثنّي بالشكر والعرفان للشخصية العظيمة التي كانت تشعل بصيص الأمل بداخلي على الدوام وتعطيني الدفعة للأمام ألا وهي (أمي الغالية) فهي سندي بعد الله في هذه الحياة بعد أن فقدت والدي -رحمه الله وغفر له- وأنا مازلت في المهد، وهي من كانت تضيء لي طريق حياتي وليس فقط طريق علمي ودراستي، وأعلم بأني مهما قلت وفعلت لن أوفيها حقها لكن لها مني الدعاء وحسن الطاعة قدر المستطاع.

كما أتقدم بجزيل الشكر للمسئولين في جامعة أم القرى وأخص بالشكر منهم القائمين على كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة بالعميد ورؤساء الأقسام وأعضاء قسم الدعوة والثقافة الإسلامية الذين تفضلوا بالموافقة على هذا الموضوع، وأساتذتي الأفاضل الذين أدين لهم بالفضل في إخراج هذه الرسالة.

وأخص بشكري وتقديري أستاذي الفاضل فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن عبد الله بن مسلم القرشي على ما منحني إياه من الوقت والجهد والاهتمام منذ اختياري للموضوع وكل ما من شأنه تعزيزي لإتمام هذه الرسالة في أفضل صورة ممكنة، فكان نعم المشرف ونعم المعلم، وأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم ما يرضيه وما يليق باسمه الكبير الذي كان لي عظيم الشرف بإشرافه علي.

كما أحب أن أسطر عبارات شكر وتقدير لعضوي لجنة المناقشة :سعادة الدكتور محمد بن عبدالعزيز داود وسعادة الدكتوره نوال حامد اللهيبي على تفضلهما بقبول دراسة هذا البحث وتقويمه ومناقشة مافيه وتسديد الباحثة فيما عساها قصَّرت فيه أو أخطأت فيه ، وكلي آذان صاغية وقلب واعٍ لتوجيهاتهما ومناقشتهما التي أسال الله أن تزيد البحث صواباً والباحثة علماً . فجزاهما الله تعالى عني خير الجزاء .

كما أتوجه بالشكر إلى من تقصر كلمات الشكر وعبارات الثناء عن الوفاء بحقه (زوجي الفاضل) الذي وفر لي كل الأجواء المناسبة لإتمام دراستي منذ أن كنت بالمرحلة الثانوية وإلى أن وصلت إلى هذه المرحلة وأشكره على وقوفه بجانبي بكل ما عنده من إمكانيات فلا يمكن لي أن أنسى وقفاته المعنوية والمادية معي وعطاءه وتعاونه ودعمه الكبير لي فله مني الشكر والامتنان، كما أشكر كل من ساندني ووقف معي بكلمة أو قدَّم لي خدمة من إرشاد أو توجيه أو كتاب.

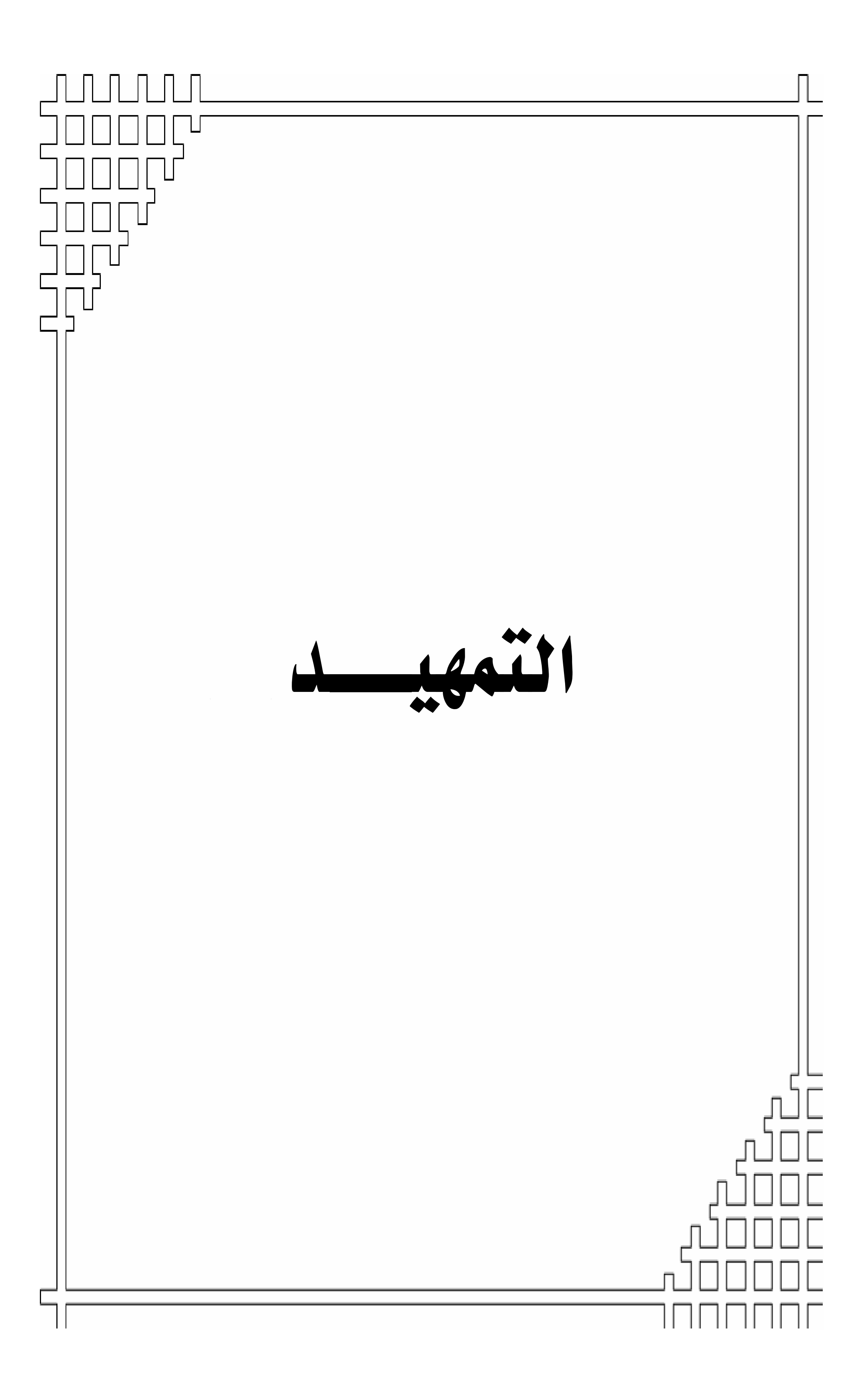
وأخيراً.. أحب أن أقول بأني إذا كنت قد اجتهدت ووفقت فهم الذين دفعوني بعد الله سبحانه وتعالى لذلك، فلهم مني دعاء من القلب في ظهر الغيب. كما وصانا رسول الله ﷺ بذلك حيث قال: "وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ "[1].

فأسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عما زّل به قلمي، وأن يلهمني الرشد والصواب إنه ولي ذلك والقادر عليه...

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً....



(١) أخرجه أبو داود:ج٢، ص٥٢، حديث رقم (١٦٧٤) و النسائي:ج٥، ص٨٢، حديث رقم (٢٥٦٧) و أحمد:ج٢، ص٦٨، حديث رقم (٣٥٦٥) وقال الألباني: صحيح.



التمهيد

التمهيـــــد

ويشتمل على:

- **أولاً: تعريف الهجرة لغة واصطلاحاً.**
- **ثانياً: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.**
- **ثالثاً: الهجـرة :أنـواعهـا ،وأحكامها.**
- **رابعاً: المقصود بالحبشة وبيان موقعها الجغرافي.**

التمهيـــد

۞ أولاً: تعريف الهجرة لغة واصطلاحاً:

الهجرة لغة:

ترجع كلمة الهجرة إلى مادة (هَجَرَ)

وقد جاء في معجم مقاييس اللغة: أن الهاء والجيم والراء أصلان يدلُّ أحدهما على قطيعةٍ وقطع.

والهجر: ضد الوصل.

كذلك الهجران، وهاجر القوم من دارٍ إلى دارٍ: تركوا الأولى إلى الثانية، كما فعل المهاجرون حِين هاجروا من مكة إلى المدينة(١).

وجاء في القاموس المحيط: (هَجَره) هجرة بالفتح، وهِجراناً بالكسر: صَرَمه، والشيءَ: تَرَكَهُ كأهْجَرْهُ، وهما يَهْتَجرَانِ، ويَتَهاجَرَانِ: يتقاطعان.

والاسمُ: الهِجْرَةُ بالكسر، وهَجَرَ الشِّرْكَ هَجْراً، وَهِجْراناً، وهَجْرَةً حَسَنَةً، والَهُجْرُ بالكسر وبالضم: الخُروجُ من أرضٍ إلى أخرى(٢).

وأصل المُهاجَرَة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن.

يقال: هاجر الرجل إذا فَعَلَ ذلك، وكذلك كل مُخْلٍ بِمسكنِهِ منتقل إِلَى قومٍ آخَرينَ بسكناه فقد هاجَرَ قومه، وسمي المهاجرون مهاجرين لأنَّهم تركوا ديارهم

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، مادة (هَجَر)، ج٦، ص٣٤.

(٢) انظر القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار الجيل بيروت، مادة (هجر)، ج٢، ص١٦٣، وانظر تاج العروس: للزبيدي، ج٣، ص٦١١، وانظر لسان العرب: لابن منظور، دار صادر بيروت، ج٦، ص٣٠٦.

ومساكنهم التي نشأوا بها لله، ولحِقو بدارٍ ليس لهم بها أصل ولا مال، فكل من فارق بَلَدَهُ من بدوي أو حضري وسكن بلداً آخر، فهو مهاجر.

والهجرتان: هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة، وإذا أطلق ذكر الهجرتين فإنما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة[(١)].

قال ﷻ: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ﴾[(٢)].

والفعل: (هاجر) بمعنى ترك وطنه، واسم المكان: المُهَاجَر، وهو: موضع المُهاجَرة، وكذلك المَهْجَر: وهو المكان الذي يُهاجَر إليه أو منه[(٣)].

قال الراغب الأصفهاني[(٤)] ~ : "والمهاجَرةُ في الأصل مفارقة الغير ومتاركته، من قوله ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾[(٥)].

وذكر أيضاً: أن الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره إمَّا بالبدن أو باللِّسان أو بالقَلْبِ.

قال الله ﷻ: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾[(٦)] كناية عن عدم قربهنَّ.

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[(٧)].

---

(١) انظر لسان العرب: لابن منظور، مرجع سابق، ج٦، ص٣٠٦.

(٢) جزء من الآية (١٠٠) من سورة النساء.

(٣) انظر المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، المكتبة الإسلامية، مادة (هجر)، ج٢، ص٩٧٣.

(٤) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه (محاضرات الأدباء)، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) توفي سنة٥٠٢هـ.انظر الأعلام: للزركلي، ج٢، ص٢٥٥.

(٥) جزء من الآية (١٠) من سورة الحديد.

(٦) جزء من الآية (٣٤) من سورة النساء.

(٧) جزء من الآية (٣٠) من سورة الفرقان.

فهذا هجر بالقلب أو بالقلب واللِّسان.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾[1] يحتمل الثلاثة.

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾[2] فحث على المفارقة بالوجوه كلها"[3].

مما تقدم يتضح أن الهجرة في اللغة تتضمن المعاني التالية:

الترك، والخروج، والانتقال، والمفارقة، وهي إما تكون بالبدن أو باللسان أو بالقلب أو بهما جميعاً.

الهجرة اصطلاحاً:

جاءت الهجرة في الاصطلاح الشرعي على معنيين هما:

١-الهجرة المعنوية (الباطنة)

٢-الهجرة الحسية (الظاهرة)

وسوف أتناول تعريف كلٍ منهما على ما ذكره العلماء.

أولاً: الهجرة المعنوية (الباطنة)

وهي ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، وحقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه[4].

---

(١) جزء من الآية (١٠) من سورة المزمل.

(٢) جزء من الآية (٥) من سورة المدثر.

(٣) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، دار المعرفة بيروت، ص٥٣٦، ٥٣٧.

(٤) عون المعبود شرح أبي داود العلامة: للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق، عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ج٧، ص١٥٧.

عن عبدالله بن عمرو { قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه "[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه"[٢].

ثانياً: الهجرة الحسية (الظاهرة):

تعددت أقوال العلماء في معنى الهجرة، وذلك لأن الهجرة لها معان كثيرة، وأهم أقوالهم ما يلي:

١-هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام[٣].

٢-هي ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام[٤].

٣-الفرار بالدين من الفتن[٥].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج١،، ص٦٨، حديث رقم (٤)، وكتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ج٨، ص٤٦٧، حديث رقم (١٣٤٩).

(٢) أخرجه أحمد: ج٢٠، ص٢٩، حديث رقم (١٢٥٦١)

وقال المحقق(شعيب الأرنؤوط): "إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٣) انظر أحكام القرآن: لابن العربي، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الكتب العربية، ط١، ج١، ص٤٨٤، وانظر المغني: لابن قدامة تحقيق محمد شرف الدين خطاب، وسيد محمد السيد، دار الحديث القاهرة، ج١٢، ص٥٨٥، وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ابن تيميه جمعه ورتبه عبدالرحمن بن قاسم، مكتب المعارف، ج١٨، ص٢٨١، والفتاوى السعدية: عبد الرحمن السعدي، منشورات المؤسسة السعيديه الرياض، ص١٠٥.

(٤) انظر التعريفات للجرجاني: تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ص٢١٩.

(٥) انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود: للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مصدر سابق، ج٧، ص١٥٧.

٤-الهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام[١].

٥-قال الحافظ ابن حجر[٢] ~ : "أصل الهجرة هجرة الوطن، وأكثر ما يطلق على من رحل من البادية إلى القرية"[٣].

بعد أن ذكرت تعريف الهجرة لا بد أن أذكر المقصود بدار الكفر ودار الإسلام حيث إن معرفة الهجرة مبنية على معرفة دار الكفر ودار الإسلام، فقد قال أهل العلم رحمهم الله:

إن دار الكفر: هي التي يحكمها الكفار، وتجري فيها أحكام الكفر، ويكون النفوذ فيها للكفار وهي على نوعين:

أ - بلاد كفار حربيين.

ب- بلاد كفار مهادنين بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة.

فتصير إذا كانت الأحكام للكفر: دار كفر، ولو كان بها كثير من المسلمين.

ودار الإسلام: وهي التي يحكمها المسلمون، وتجري فيها الأحكام الإسلامية،

----

(١) انظر شرح الأصول: الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، إعداد فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، ط١، ص٢١٩.

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ولد سنة٧٧٣هـ، وتوفي ٨٥٢هـ بالقاهره، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الاكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، أما تصانيفه فكثيرة جليلة(الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)و(لسان الميزان)وغيرها.انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج١، ص١٧٨.

(٣) انظر الفتح الرباني: للساعاتي، دار الحديث القاهر، ج١٩، ص٢٩٤.

ويكون النفوذ فيها للمسلمين، ولو كان جمهور أهلها كفاراً[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2] ~ : "وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها، بل هي صفة عارضة بحسب سكانها، فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت، فإن سكنها غير ما ذكرنا وتبدلت بغيرهم فهي دارهم."[3]

مما سبق يتضح أن الهجرة في المعنى الاصطلاحي تطلق على معنيين معنى معنوي، وهي الهجرة الباطنة: بأن يهجر كل ما نهى الله عنه، ويدخل في ذلك بأن يهجر كل أنواع المعاصي والذنوب، والذي أسمى من ذلك كله بأن يترك الشرك وينتقل منه إلى التوحيد، وهذه الهجرة ليست المقصودة من البحث، وإن كانت مطلوبة.

والهجرة الحسية الظاهرة: وهي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهذه الهجرة هي المقصودة من البحث، وذلك بأن يترك المسلم بلد الكفر إذا خاف الافتتان في دينه، وينتقل منه إلى بلد الإسلام من أجل المحافظة على دينه.

وقد تبين مما سبق أن هناك توافق وترابط بين معنى الهجرة في اللغة وفي الاصطلاح: إذ إن الهجرة في اللغة تتضمن لمعنى الترك والخروج والانتقال والمفارقة، وهي إما أن تكون بالبدن وذلك بأن ينتقل بالجسم من بلد إلى آخر، كمن ينتقل من بلد

----

(١) الفتاوى السعدية: مرجع سابق، ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين، الإمام شيخ الإسلام، ولد في حران، طلب إلى مصر من أجل فتاوى أفتى بها، فسجن مدة ثم أطلق فسافر إلى دمشق، وأعتقل بها ومات معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هجرية، من مؤلفاته «السياسة الشرعية » و«منهاج السنة »، انظر الأعلام: للزركلي، دار العلم للملايين، ط٤، ج١، ص١٤٤.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ابن تيمية، مرجع سابق، ج١٨، ص٢٨٢.

الكفـر إلى بلـد الإسـلام، وهـذه هـي الهجـرة الحسية، إمـا أن تكـون المفارقـة باللـسان وبالقلب، وذلك بأن يبتعد المسلم عن كل ما نهى الله عنه، وهذه هـي الهجـرة المعنويـة، والذي أردت أن أبينها في هذا المبحث بأن يميز بين معنى الهجرة بمفهومها العام وبـين الهجرة بمفهومها الدعوي.

۞ ثانياً: الدعوة لغة واصطلاحاً:

الدعوة لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: أن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلامٍ يكون منك.

تقول: دعوت أدعو دعاءً

والدَّعوة إلى الطَّعام بالفتح، والدعوة في النسب بالكسر[1].

وجاء في المعجـم الوسـيط: (دعـا) بالـشيء - دعْـواً، ودعْـوَةً، ودُعـاءً، ودَعْـوى: طلب إحضاره و(تَدَاعَى) القومُ: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا.

و(الدَّاعيَةُ): الذي يدعو إلى دين أو فكرة.

و(الدُّعاءُ): ما يُدْعَى به الله من القول.

و(الدِّعايةُ): الدعوة على مذهب أو رأي بالكتابة أو بالخطابة ونحوهما[2].

والاسم: الدَّعوَةُ والدَّعاوة، ويكسران[3].

والجمع: دعاة وداعـون مثـل قـاض وقـضاة وقاضـون، والنبـي ﷺ داعـي الخلـق

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، مرجع سابق، ج٢، ص٢٧٩.

(٢) انظر المعجم الوسيط: مرجع سابق، ج١، ص٢٧٦، ٢٨٧.

(٣) انظر لسان العرب: مرجع سابق، ج٢، ص٣٩٢.

إلى التوحيد[١].

وللدعاء عدة معاني كما جاء في لسان العرب فمن معانيها ما يلي:

١-الدعاء: الاستغاثة.

قال الله ﷻ: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٢]

٢-الدعاء: العبادة.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[٣]

٣-والدعاء: الرغبة إلى الله تعالى

٤-النداء: يقال دعا الرجل دعواً ودُعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته.

٥-الدعوة: شهادة أن لا إله إلا الله، قال الله ﷻ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾[٤] وفي كتابه ﷺ إلى هرقل: أدعوك بدعاية الإسلام وهي كلمة التوحيد[٥].

٦- وقوله: أجيب دعوة الدَّاع إذا دعان، معنى الدعاء لله على ثلاثة أوجه وهي:

أ- توحيده والثناء عليه. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٦].

ب - مسألة الله العفو والرحمة: كقولك اللهم اغفر لنا.

----

(١) انظر المصباح المنير: الفيومي، دار نوبليس، ج٢، ص٢٦٤.

(٢) جزء من الآية (٢٣)من سورة البقرة.

(٣) جزء من الآية (١٩٤)من سورة الأعراف.

(٤) جزء من الآية (١٤)من سورة الرعد.

(٥) انظر لسان العرب: لابن منظور، مرجع سابق، ج٢، ص٣٩٠، ٣٩١.

(٦) جزء من آية (٦٠) من سورة غافر.

ج - مسألة الحظ من الدنيا: كقولك اللهم ارزقني مالاً وولداً وإنما سمي هذا جميعه دعاء لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله يا الله يا رب يا رحمن، فلذلك سُمي دعاءً[1].

ومما تقدم يتبين أن الدعوة تأتي بمعان عدة منها:

سؤال الله واللجوء إليه، وتوحيده والثناء عليه، وعبادته، والاستغاثة به، وتعني شهادة أن لا إله إلا الله، كما أنها تعنى الدعوة إلى دين أو فكرة، والنبي ﷺ داعي الأمة، إلى توحيد الله وطاعته.

تعريف الدعوة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريفهم للدعوة وذلك تبعاً لاختلافهم في تحديد معنى الدعوة من جهة، وتفاوت نظرتهم إليها من جهة أخرى.

و قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ~ عندما سُئِّل عن قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[2].

" أن الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"[3]

----

(١) انظر لسان العرب: مرجع سابق، ج٢، ص٣٩٠.

(٢) جزء من آية (١٠٨) من سورة يوسف.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه، المجلد ١٥، ص١٥٧، ١٥٨.

وجاء تعريف الدعوة عند الباحثين المعاصرين بأنها: -

١- "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة "[1].

٢- ومنهم من عرفها بأنها: "دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة "[2].

٣- وذكر بعضهم بأن الدعوة: " نشر الدين، وفضائل الدين، وإظهار كلمة الله، وجلاء محاسن الإسلام، بتحبيب الإيمان إلى النفوس، وتزيينه في القلوب، وتكريه الكفر والفسوق والعصيان "[3].

٤- وفصَّل بعضهم في تعريفها فقال: " من المعلوم أن الدعوة تأتي بمعنى النشر والبلاغ ومن المعلوم كذلك أن الدعوة بمعنى الدين إذا أطلقت لا يراد منها إلا الإسلام بتعاليمه وبذلك فإن التعريف الاصطلاحي للدعوة بمعناها الأول يغاير تعريف الدعوة بالمعنى الثاني.

أ-الدعوة بمعنى النشر: بأنها العلم الذي به يعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق.

ب-والدعوة التي بمعنى الدين يمكن تعريفها: بأنها الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية "[4].

٥- وهناك من قصر التعريف على بعض جوانبها، فعرفها بأنها: "حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا

----

(١) المدخل إلى علم الدعوة: البيانوني: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣، ص١٧.

(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية: محمد الراوي، ص١١.

(٣) التخطيط للدعوة الإسلامية: عبدرب النبي أبو السعود، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ص٢٠.

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها: أحمد غلوش، ص١٠-١٣.

بسعادة العاجل والآجل"[1].

٦ - وعَّرفها آخر فقال: "هي برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم ويستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين[2].

وقد استنبطت تعريفاً يجمع بين معاني الدعوة وهو:

أن الدعوة إلى الله هي: "دين الله الذي ارتضاه لنفسه، وأرسل به رسله، ختم به نبيه ﷺ وأرسله للناس جميعاً، وأمرهم باتباعه واقتفاء أثره، وقيام من له أهلية بإيصال دين الإسلام وفق الأسس والمنهج الصحيح وبما يناسب مع أصناف المدعوين ويلائم أحوال وظروف المخاطبين".

فقد بيَّنت في التعريف السابق بأن الدعوة هي الدين الذي هو توحيد الله الذي نادى به جميع الأنبياء، كما بيَّنت عالمية الدعوة وأنها في كل زمان ومكان، وجمعت به كافة الدعاة كلاً حسب قدره واستطاعته، ومراعاة لأصناف المدعوين.

۞ ثالثاً: الهجرة أنواعها وأحكامها:

أنواع الهجرة: للهجرة نوعان: ١ - حسي.

٢ - معنوي.

وقد سبق تعريف كلٍ منهما، وتنقسم الهجرة الحسية إلى قسمين:

الأول: الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام.

الثاني: الهجرة إلى الشام في آخر الزمان.

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، دار المعرفة، بيروت، ص١٧.

(٢) مع الله، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، ط٤، ص١٧.

أقوال العلماء في بيان أنواع الهجرة بنوعيها الحسي والمعنوي:

قسَّم العلماء رحمهم الله الذهاب في الأرض إلى قسمين: هرباً وطلباً، وتنقسم من جهة التنويع في المقاصد إلى أقسام:

الأول: الهجرة وهي تنقسم إلى ستة أقسام

الأول: الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضاً في أيام النبي ﷺ، وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي ﷺ.

الثاني: الخروج من أرض البدعة: فإن المنكر إذا لم يقدر على تغييره انعزل عنه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[(١)].

الثالث: الخروج من أرض غلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم.

الرابع: الفرار من الإذاية في البدن، وذلك فضل من الله أرخص فيه، فإذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له في الخروج عنه، والفرار بنفسه، ليخلصها من ذلك المحذور.

وأول من فعله الخليل إبراهيم عليه السلام فإنه خاف من قومه قال: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾[(٣)]، وموسى قال الله تعالى فيه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾[(٤)].

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٦٨).

(٢) جزء الآية (٢٦) من سورة العنكبوت.

(٣) جزء الآية (٩٩) من سورة الصافات.

(٤) سورة القصص: الآية (٢١).

الخامس: خوف المرض في البلاد الوخمة، والخروج منها إلى أرض النزهة وقد أمر النبي ﷺ الرِّعاء حين استوخموا المدينة الخروج ، وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون، فمنع الله ﷻ منه بالحديث الثابت عن النبي ﷺ ،**فعن أسامه بن زيد رضي الله عنه قال :"أن النبي صلى الله عليه و سلم ذكر الطاعون فقال بقيت رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني إسرائيل فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا"**(1).

السادس: الفرار خوف الأذى في المال، فإن حرمة المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله أو آكد.

وأما قسم الطلب فينقسم قسمين: طلب دين وطلب دنيا، فأما طلب الدين فيتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام:

الأول: سفر العبرة، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(2) وهذا كثير في كتاب الله ﷻ، ويقال: إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها وقيل ينفذ الحق فيها.

الأول، وإن كان ندباً فهذا فرض.

الثاني: سفر الحج.

الثالث: سفر الجهاد وله أحكامه.

الرابع: سفر المعاش، فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لا يزيد عليه، من صيد أو احتطاب أو احتشاش، فهو فرض عليه.

الخامس: سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وذلك جائز بفضل الله

---

(1) اخرجه الترمذي :باب ماجاء في كراهية الفرار من الطاعون ،ج٣ ،ص٣٧٨، حديث رقم (١٠٦٥) وقال الألباني :صحيح.

(2) جزء من الآية (١٠٩) من سورة يوسف.

سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[(١)]

السادس: في طلب العلم.

السابع: قصد البقاع الكريمة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى"[(٢)].

الثامن: الخروج للرباط على الثغور، وتكثير سوادها للذب عنها.

التاسع: زيارة الإخوان في الله، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِى فِى هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لاَ غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى الله عز وجل. قَالَ فَإِنِّى رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ"[(٣)].

وأما الهجرة لطلب الدنيا فهي تختلف باختلاف المقصد منها فإن الهجرة لطلب دنيا إذا كانت خالية من المعصية فهي مباحة والنية شرط في ذلك، فالنية تقلب الحلال حراما والحرام حلالا بحسب حسن القصد وإخلاص السر عن الشوائب"[(٤)].

وأضف نقطة عاشرة، وذلك فيما يخص القسم الأول من الطلب (طلب الدين) فيكون السفر من أجل المحافظة على الدين، وذلك بأن ينتقل من بلده إلى بلد آخر إذا خاف الافتتان في الدين كما فعل مهاجرو الحبشة حينما انتقلوا من مكة إلى الحبشة من أجل المحافظة على دينهم من الفتنة.

---

(١) جزء من الآية (١٩٨) من سورة البقرة.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد، ج٢، ص٤١٢، حديث رقم (٣٣٦٤).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الآداب، باب في فضل الحب في الله، ج٤، ص٣٠٣، حديث رقم(٦٦٤١).

(٤) نظر أحكام القرآن: لابن العربي، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٦، ٤٨٧.

وجاء في عمدة الأحكام لابن دقيق[1] أن الهجرة تقع على أمور:

الهجرة الأولى: إلى الحبشة عندما آذى الكفار الصحابة.

الهجرة الثانية: من مكة إلى المدينة.

الهجرة الثالثة: هجرة القبائل إلى النبي ﷺ لتعلم الشرائع، ثم يرجعون إلى المواطن، ويعلمون قومهم.

الهجرة الرابعة: هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي إلى النبي ﷺ، ثم يرجع إلى مكة.

الهجرة الخامسة: هجرة ما نهى الله عنه[2].

وزاد العيني[3] على ما ذكر ابن دقيق ثلاثة أنواع أخرى وهي:

الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة وهجرة من كان مقيماً ببلاد الكفر ولا يقدر على

----

(١) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. أصل أبيه من منفلوط (بمصر) انتقل إلى قوص، وولد سنة ٦٢٥هـ، فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة، وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥ هـ فاستمر إلى أن توفي (بالقاهرة)سنة ٧٠٢ هـ ، له تصانيف، منها (إحكام الأحكام)، و(الإلمام بأحاديث الأحكام) وغيرها. انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٦، ص٢٨٣.

(٢) انظر أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ابن دقيق العيد، بتحقيق / أحمد محمد شاكر، مكتبة الرسالة،ج١ ،ص(١٣).

(٣) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينات سنة ٧٦٢ هـ ، وإليها نسبته أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي بالقاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عدّ من أخصائه، وكان يكرمه ويقدمه، ثم صرف عن وظائفه وعكف على التدريس والتصنيف حتى توفي سنة ٨٥٥ هـ بالقاهرة، من كتبه (المسائل البدرية)و (البناية في شرح الهداية) وغيرها، انظر الأعلام، مرجع سابق، ج٧، ص١٦٣.

إظهار الدين فتجب عليه الهجرة والهجرة إلى الشام في آخر الزمان عند ظهور الفتن(١).

قال ابن الأثير(٢) ~ : "الهجرة هجرتان: إحداهما التي وعد الله عليها الجنة في قوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ۞﴾(٣).

فكان الرجل يأتي النبي ﷺ ويدع أهله وماله، ولا يرجع في شيء منه ويتقطع بنفسه إلى مُهاجره.

والهجرة الثانية: من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى"(٤).

قال ابن القيم(٥) ~ : "الهجرة هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللَّجأ والافتقار في كل نفس إليه، وهجرة إلى رسول الله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محابّ الله ومرضاته"(٦).

---

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، ج١٣، ص٨٠.

(٢) مجد الدين أبو السَّعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيباني الجزري الموصلي، ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٤٤ هـ، ثم تحول إلى الموصل، توفي بالموصل ٦٠٦ هـ، من مؤلفاته «جامع الأصول» و«الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشّاف ».انظر سير أعلام النبلاء: الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط١، ج٢١، ص٤٨٨-٤٩١.

(٣) جزء من آية (١١١) من سورة التوبة.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ج٥، ص٢٤٤.

(٥) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزّرعي الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين، ولد في دمشق ٦٩١ هـ، أحد كبار العلماء تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، حتى كان لايخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وسجن معه في قلعة دمشق، توفي بدمشق ٧٥١ هـ، ألف تصانيف كثيرة منها «أعلام الموقعين » و«مدارج السالكين » وغيرها، انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٦، ص٥٦.

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن القيم الجوزيه، تحقيق عبدالله ابراهيم الأنصاري، إدارة الشئون الدينية بدولة قطر، ص٨.

وذكر بعضهم أن الهجرة في أول الإسلام وقعت على ثلاثة أقسام:

الأولى: هجرة الأولى للصحابة إلى الحبشة.

الثانية: الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة، وسيتم بيان ذلك في حينه.

الثالثة: هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة(١).

وذكر فضيلة الشيخ ابن عثيمين(٢) ~ : " إن للهجرة ثلاثة أنواع: هجرة المكان، وهجرة العمل، وهجرة العامل.

النوع الأول: هجرة المكان، بأن ينتقل الإنسان من مكان تكثر فيه المعاصي، ويكثر فيه الفسوق، وربما يكون بلد كفر إلى بلد لا يوجد فيه ذلك، وأعظمه الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

النوع الثاني: هجرة العمل: وهي أن يهجر الإنسان ما نهاه الله عنه من المعاصي والفسوق عن عبدالله بن عمرو { قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "المسلم من

----

(١) انظر أعلام الزمرة بأحكام الهجرة: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ص١٠، ١١.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهيبي التميمي. كان مولده في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ، في مدينة عنيزة، يعتبر الشيخ عبد الرحمن السعدي شيخه الأول الذي نهل من معين علمه وتأثر بمنهجه وتأصيله واتباعه للدليل وطريقة تدريسه وتقريره وتقريبه العلم لطلابه بأيسر الطرق وأسلمها، وقد توسم فيه شيخه النجابة والذكاء وسرعة التحصيل فكان به حفياً ودفعه إلى التدريس وهو لا يزال طالباً في حلقته، ويعتبر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به، كان عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ثم لم يزل أستاذاً بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم بكلية الشريعة وأصول الدين حتى توفي ~ ، أعلن فوزه بجائزة الملك فيصل العالية لخدمة الإسلام للعام الهجري ١٤١٤هـ، توفي سنة ١٤٢١ هـ ، ومن مؤلفاته (شرح رياض الصالحين) وغيرها.انظر المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين: أعضاء ملتقى الحديث، ج١، ص٢٩٨.

سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"[1]، فالمسلم يهجر كل ما حرم الله عليه سواء كان مما يتعلق بحقوق الله أو مما يتعلق بحقوق عباد الله.

النوع الثالث: هجرة العامل، قد تجب هجرته أحياناً، قال أهل العلم: مثل الرجل المجاهر بالمعصية الذي لا يبالي بها فإنه يشرع هجره إذا كان في هجره فائدة ومصلحة.

والمصلحة والفائدة أنه إذا هجر عرف قدر نفسه ورجع عن المعصية: أما إذا كان الهجر لا يفيد ولا ينفع وهو من أجل معصية لا من أجل كفر لأن الكافر المرتد يهجر على كل حال - أفاد أم لم يفد - لكن صاحب المعصية التي دون الكفر إذا لم يكن في هجره مصلحة فإنه لا يحل هجره لأن الرسول ﷺ قال: " لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ"[2][3]

القسم الثاني من الهجرة الحسية:

الهجرة إلى الشام في آخر الزمان عند ظهور الفتن ويدل قوله ﷺ:

١ - عَنِ ابْنِ حَوَالَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « سَيَصِيرُ الأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً جُنْدٌ بِالشَّامِ وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ ». قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ خِرْ لِي[4]

---

(١) سبق تخريجه ص٢٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب الآداب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ج٨، ص٣٤٢، حديث رقم (٩٤٧)، وصحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، ج٨، ص٣٩٥، حديث رقم (١١١١)، وصحيح مسلم: كتاب الآداب، باب لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، ج٤، ص٢٩٨، حديث رقم (٦٦٢٤).

(٣) شرح رياض الصالحين: الشيخ محمد بن عثيمين، تحقيق وائل أحمد عبدالرحمن، مكتبة التوفيقية، ج١، ص١٩-٢٢.

(٤) خر لي: أي اختر لي أصلح الأمرين، واجعل لي الخيرة فيه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، دار أحياء الكتب العربية، ط١، ج٢، ص٩١.

يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ. فَقَالَ « عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خِيَرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ اجْتَبَى إِلَيْهَا خِيَرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ(١) فَإِنَّ اللهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ "(٢).

النوع الثاني من أنواع الهجرة:

الهجرة المعنوية "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه".

وقد دلت أحاديث كثيرة عليها منها:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، ﭬ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ."(٣)

٢ -عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه"(٤)

معنى هجر ما نهى الله عنه:

قدمت فيما مضى عند تعريفي للهجرة بأن الهجرة تطلق على معنيين معنى حسي ومعنى معنوي وقد أوضحت سابقاً معنى الهجرة المعنوية، وسوف أورد -إن شاء الله تعالى- كلاماً لابن القيم ~ يبين فيه معنى الهجرة إلى الله ورسوله، (الهجرة المعنوية).

(١) غدركم: بضم الغين المعجمة والدال المهملة - جمع غدر: وهو القطعة من الماء يغادرها السيل، أي يتركها، لسان العرب: مرجع سابق ، ج٥، ص١٣، والقاموس المحيط: مرجع سابق، ج٢، ص١٤٢.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في سكنى الشام، ج٧، ص٢٤٦، حديث رقم (٢٢٤٤).

قال الألباني: "وهذا إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، وبقية -وهو ابن الوليد الحمصي -إنما يخشى منه التدليس، فقد صرح بالتحديث ".

(٣) سبق تخريجه ص٢٠.

(٤) سبق تخريجه ص٢٠.

قال الإمام ابن القيم ~ : (لما فصل عير السفر واستوطن المسافر دار الغربة وحيل بينه وبين مألوفاته وعوائده المتعلقة بالوطن ولوازمه أحدث له ذلك نظراً فأجال فكره في أهم ما يقطع به منازل السفر إلى الله، وينفق فيه بقية عمره، فأرشده، من بيده الرشد إلى أن أهم شيء يقصده إنما هو الهجرة إلى الله ورسوله، فإنها فرض عين على كل أحد في كل وقت، وأنه لا انفكاك عن وجوبها، وهي مطلوبة الله ومراده من العباد إذ الهجرة هجرتان: هجرة بالجسم من بلد إلى بلد، وهذه أحكامها معلومة وليس المراد الكلام فيها.

والهجرة الثانية: الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهذه هي المقصودة هنا، وهذه الهجرة هي الهجرة الحقيقية وهي الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها، وهي هجرة تتضمن (من)، (إلى) فيهاجر بقلبه من معية غير الله إلى معيته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له، وهذا بعينه معنى الفرار إليه، قال ﷻ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾(١).

والتوحيد المطلوب من العبد هو الفرار من الله إليه.. ثم عقد فصلاً آخر بيَّن فيه الهجرة إلى رسول الله ﷺ فقال: "وأما الهجرة إلى رسول الله ﷺ فعلُمَ لم يبق منه سوى اسمه، ومنهج لم تترك بينات الطريق سوى رسمه، ومحجة سفت عليها السوافي فطمست رسومها، وغارت عليها الأعادي فغورت مناهلها وعيونها فسالكها غريب بين العباد فريد بين كل حي وناد".

ثم قال: "والمقصود كل هذه الهجرة فرض على كل مسلم، هي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله، كما أن الهجرة الأولى مقتضى شهادة أن لا إلا إله الله. وعن هاتين الهجرتين يسأل كل عبد يوم القيامة وفي البرزخ ويطالب بها في الدنيا

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) جزء من الآية (٥٠) من سورة الذاريات.

ودار البرزخ ودار القرار"[1].

مما سبق يتضح أن للهجرة نوعين: حسي ومعنوي، والنوع الحسي ينقسم إلى قسمين:

الأول: الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام.

الثاني: الهجرة إلى الشام في آخر الزمان.

ويندرج تحت الهجرة الحسية أنواع أخرى كما بينتها سابقاً، والنوع الثاني من أنواع الهجرة وهي الهجرة المعنوية، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، وآكد الهجرة، الهجرة إلى الله ورسوله كما بينها ابن القيم ~ .

وقد تبين بأن الهجرة تختلف باختلاف المقصد منها وذلك فإن الهجرة وغيرها من الأعمال مبنية على النية، كما قال رسول الله ﷺ: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[2].

أحكام الهجرة:

تختلف أحكام الهجرة باختلاف المقاصد والأهداف منها، فقد يكون حكم الهجرة واجباً، وقد يكون مندوباً، أو مباحاً، وذلك تبعاً لحالة الإنسان والظروف المحيطة به، وذلك كالآتي:

أولاً: الهجرة الواجبة:

تجب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، على كل مفتون قادر على الهجرة،

---

(١) الرسالة التبوكيه، لابن القيم الجوزيه، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي السلفي، دار ابن جزم، ط١، ص٦١ – ٧٩، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ج١، ص٥٨، حديث رقم (١).

ولا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته ويدل على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

الأدلة من القرآن:

١-قـــال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[1]

٢- وقال ﷻ: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

ومن الأحاديث التي تدل على بقاء الهجرة:

١-عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»[3]

٢- عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى خَثْعَمٍ فَاعْتَصَمَ نَاسٌ مِنْهُمْ بِالسُّجُودِ فَأَسْرَعَ فِيهِمُ الْقَتْلُ - قَالَ - فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِىَّ ﷺ فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ الْعَقْلِ وَقَالَ « أَنَا بَرِىءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ قَالَ « لاَ تَرَاءَى نَارَاهُمَا » [4].

٣-عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع

---

(١) سورة النساء: الآية (٩٧).

(٢) الآية (٥٦) من سورة العنكبوت.

(٣) أخرجه أبي داود: كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك، ج٨، ص١٣٤، حديث رقم (٢٤٨٦). قال الألباني: حديث صحيح، وصححه الحاكم والذهبي.

(٤) أخرجه أبي داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، ج ٧، ص٣٩٧، حديث رقم(٢٣٧٧)، والترمذي، كتاب السير، باب كراهية المقام بين أظهر المشركين، ج٢، ص٢١١، حديث رقم(١٦٠٤)، والنسائي: كتاب القسامة، باب القود بغير حديدة، ص٧٣٠، حديث رقم (٤٧٨٠) وقال الألباني: "حديث صحيح، رجاله ثقات كلهم رجال الشيخين ".

التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها "[١].

أقوال العلماء في الهجرة الواجبة:

قال ابن كثير[٢] ~ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[٣] قال الضحاك: نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بمكة، وخرجوا مع المشركين يوم بدر، فأصيبوا فيمن أصيب، فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع"[٤]

وقال الشوكاني[٥] ~ : "وقد استدل بهذه الآية، على أن الهجرة واجبة على كل من كان بدار الشرك، أو بدار يعمل فيها بمعاصي الله جهاراً، إذا كان قادراً على الهجرة، ولم يكن من المستضعفين، لما في هذه الآية من العموم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وظاهرة عدم التفريق بين مكان ومكان، وزمان وزمان "[٦].

----

(١) أخرجه أبي داود: كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، ج٧، ص٢٤٣، حديث رقم(٢٢٤١) قال الألباني: "حديث صحيح ورجال أسانيد هذا الحديث كلهم ثقات، غير أبي هند فأنه مجهول لكنه قد توبع".

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠١ هـ ، توفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ ، من كتبه «البداية والنهاية » و«تفسير القرآن العظيم » وغيرها.انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج١، ص٣٢٠.

(٣) جزء من الآية (٩٧) من سورة النساء.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تقديم الدكتور / يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة ببيروت، ج١، ص٥٥٥.

(٥) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان سنة ١١٧٣ هـ ونشأ بصنعاء وولي قضاءها ومات حاكماً بها سنة ١٢٥٠ هـ له ١١٤ مؤلفاً منها «نيل الأوطار من منتقى الأخبار » وغيرها.انظر الأعلام: مرجع سابق، ج٦، ص٢٩٨.

(٦) فتح القدير: الشوكاني، دار الفيصلية، ج١، ص٥٠٥.

قال الحافظ ابن حجر ~ : "الحكمة في وجوب الهجرة على من أسلم يسلم من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه وفيهم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها "[(١)]

وذكر الألوسي[(٢)] ~ في روح المعاني بعد ذكره للآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: " استدل بعضهم بالآية على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه، وهو مذهب الإمام مالك"[(٣)]

وجاء في أحكام القرآن للجصاص[(٤)] ~ : "النهي عن المقام بين أظهر المشركين لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[(5)] وهذا يدل على الخروج من أرض الشرك إلى أي أرض كانت من أرض الإسلام"[(٦)].

وقال الصنعاني[(٧)] ~ عند ذكره للحديث: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين

----

(١) الفتح الرباني: الساعاتي، دار الحديث، ج١٩، ص٢٩٤.

(٢) محمود بن عبد الله الحسينى الالوسى، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، ولد فيها سنة ١٢١٧ هـ ، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة وعزل، فانقطع للعلم، توفي ببغداد سنة ١٢٧٠ هـ ، من مؤلفاته (روح المعاني)و (غرائب الاغتراب) وغيرها، انظر الأعلام: للزركلي، ج٧، ص١٧٦.

(٣) روح المعاني: الألوسي، إحياء التراث العربي، بيروت، ج٥، ص١٢٦.

(٤) أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص فاضل من أهل الري، ولد ستة ٣٠٥ هـ وسكن بغداد ومات فيها سنة ٣٧٠ هـ انتهت إليه رئاسة الحنفية، من مؤلفاته (أحكام القرآن) و(أصول الفقه).انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج١، ص١٧١.

(٥) جزء من الآية (٩٧) من سورة النساء.

(٦) أحكام القرآن: الجصاص، دار الفكر، ج٢، ص٢٥.

(٧) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير، مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن، يلقب «المؤيد بالله » ابن المتوكل على الله، أصيب بمحن كثيرة =

المشركين" والحديث دليل على وجوب الهجرة من ديار المشركين من غير مكة وهو مذهب الجمهور لحديث جرير ولما أخرجه النسائي من طريق بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلاً، حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ"(١) ولعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾"(٢).

وقال علاء الدين المرداوي(٣) ~ : "وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه في دار الحرب بلا نزاع في الجملة "(٤).

وقال البهوتي(٥) ~ : "وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه بدار

= من الجهلاء والعوام، ولد بمدينة كحلان سنة ١٠٩٩ هـ، نشأ وتوفي بصنعاء ١١٨٢ هـ، له مئة مؤلف منها «شرح الجامع الصغير للسيوطي» و«تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» وغيرها.انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٦، ص٣٨.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الحدود، باب المرتد عن دينه، ج٢، ص٣١٦، حديث رقم (٢٠٧١)، وسنن النسائي: كتاب الزكاة، باب من سأل بوجه الله ﷻ، ص٤٠٠، حديث رقم (٢٥٦٨)قال الألباني: "حسن".

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام: الصنعاني، صححه وخرج أحاديثه، فواز أحمد وغيره، دار الكتاب العربي، ط١٣، ج٤، ص٨٥، كتاب الجهاد.

(٣) على بن سليمان بن أحمد بن محمد المرداوى الملقب بعلاء الدين المكنى بأبي الحسن فقيه حنبلي أصولي ولد ببلدة "مردا" سنة ٨١٧ هـ، حفظ بها القرآن ثم غادرها شابا إلى مدينة الخليل ورحل إلى دمشق وتوفى بها سنة٨٨٥ هـ، واشتغل بالعلم وتفقه على تقى الدين بن قندس شيخ الحنابلة. انتهت إليه رياسة المذهب ومن كتبه(الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف) و(التنقيح الشيق في تحرير أحكام المقنع) وغيرها. انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٤، ص٢٩٢.وانظر موسوعة الأعلام: موقع وزارة الأعلام المصرية، ج١، ص٣٩٦.

(٤) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: علاء الدين المرداوي، تحقيق، أحمد حامد، دار أحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط٢، ج٤، ص١٢١.

(٥) منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي: شيخ الحنابلة بمصر في عصره. =

الحرب، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ ولقوله ﷺ: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، لا تتراءى ناراهما" ومعناه: "يكون بموضع يرى نارهم ويرون ناره إذا أوقدت، ولأن القيام بأمر الدين واجب، والهجرة من ضرورة الواجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[1].

وجاء في الدرر السنية: "الهجرة تجب على كل مسلم، لا يقدر على إظهار دينه ببلده، وكان قادراً على الهجرة، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ "[2].

وذكر الشيخ ابن عثيمين ~ : "أن الهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، واستدل بالآية السابقة "[3].

و ذكر بعضهم أن: "الهجرة تجب في آخر الزمان كما وجبت في أول الإسلام"[4].

وقال ابن القيم ~ : "منع رسول الله ﷺ من إقامة المسلم بين المشركين إذا قدر على الهجرة من بينهم "[5].

والحكمة من المنع من الإقامة بين ظهراني المشركين، وذلك لأن الإسلام هو دين

= نسبته إلى (بهوت) في غربية مصر، ولد سنة ١٠٠٠ هـ، وتوفي سنة ١٠٥١ هـ، له كتب، منها (الروض المربع شرح زاد المستقنع المختصر من المقنع) و(كشاف القناع عن متن الإقناع)انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٧، ص٣٠٧.

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن بونس البهوتي، تحقيق لجنة متخصصة في وزارة العدل، كتاب الجهاد، ج٧، ص٣٤- ٣٦.

(٢) الدور السنية في الأجوبة النجدية: عبدالرحمن بن محمد النجدي، ط٧، كتاب الجهاد، ج٨، ص١٢٠.

(٣) شرح ثلاثة الأصول، :ابن عثيمين، دار الثريا، ط٤، ص١٣٠.

(٤) أعلام الزمرة بأحكام الهجرة: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ص٣٢.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن قيم الجوزية، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، ط١٥، ج٣، ص١٢٢.

العزة ودين القوة، فإنه قد أبى على معتنقيه أن يستذلوا للكفار، لأن إقامته بينهم تشعره بالوحدة والضعف وتربي فيه روح الاستخذاء والاستكانة، وقد تدعوه إلى المحاسنة ثم المتابعة، والإسلام يريد للمسلم أن يمتلىء قوة وعزة وأن يكون متبوعاً لا تابعاً، وأن يكون ذا سلطان ليس فوقه إلا سلطان الله، لذلك حرم الإسلام على المسلم أن يقيم في بلد لا سلطان للإسلام فيه إلا إذا استطاع أن يظهر إسلامه ويعمل طبقاً لعقيدته دون أن يخشى الفتنة على نفسه، وإلا فعليه أن يهجر هذا البلد إلى بلد يعلو فيه سلطان الإسلام فإن لم يفعل فالإسلام برئ منه ما دام قادراً على الهجرة(1).

ثانياً: الهجرة المندوبة:

تستحب الهجرة المندوبة لمن يقدر عليها، لكنه يتمكن من إظهار دينه وإقامته في دار الكفر.

وقد صرح العلماء رحمهم الله باستحباب الهجرة لمن أمن الفتنة، وتمكن من إظهار الدين، ويترتب على إقامته مصلحة راجحة للمسلمين، ومن العلماء الذين صرحوا بذلك.

البهوتي ~ حيث قال: "تسن الهجرة لقادر على إظهاره أي دينه، ليتخلص من تكثير الكفار، ومخالطتهم، ورؤية المنكر بينهم، ويتمكن من جهادهم، وإعانة المسلمين، ويكثرهم(٢).

وقال علاء الدين المرداذي ~ : "وتستحب لمن قدر عليها، وهذا المذهب وعليه جماهير الأصحاب، وجزم به في الهداية، والمذهب ومسبوك الذهب، والخلاصة، والمغني، والشرح، والمحرر، والوجيز وغيرهم"(٣).

---

(١) انظر الولاء والبراء في الإسلام: محمد سعيد الغامدي، تقديم عبد الرزاق عفيفي، ص٢٧١.

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع: البهوتي، مرجع سابق، ص٣٦.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: علاء الدين المرداوي، بتحقيق محمد حمد الفقي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط٢، ج٤، ص١٢١.

وأما قول الماوردي[1] ~ : "وإذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صار البلد به دار إسلام فإقامته فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام، فلا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة للنصوص الناطقة بتحريم الإقامة في دار الكفر"[2].

وجاء في كتاب العبر مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، وقال الموزعي في تيسير البيان: "فإن قال فما حكم الهجرة في زمن النبي ﷺ وبعده قلنا أما في زمنه فأجمعت الأمة على وجوب الهجرة من مكة إلى المدينة شرفها الله تعالى، حتى قال الواجدي والبغوي إنها شرط في الإسلام واختلفوا فيما عدا مكة.

فقال أبو عبيد: لا يجب عليه الهجرة لأن النبي ﷺ لم يأمر من أسلم من العرب المهاجرة إليه ولم ينكر عليهم ببلدهم ولأنه كان إذا بعث سرية قال لأميرهم: إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال الحديث. وفيه: ثم ادعهم إلى التحول عن دارهم إلى دار المهاجرين إلى قوله، فإن أجابوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين.

وقال الجمهور: تجب الهجرة من سائر بلاد الحرب إلى دار الإسلام على من لا يقدر على إظهار دينه، ولا تجب على من يقدر عليه بعشيرة أو رياسة كما جاز ذلك للعباس ﷺ لكنه يستحب له المهاجرة وكذا الحكم في الهجرة في زمننا تجب عليه إن

----

(١) الإمام العلامة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، ولي القضاء في بلدان شتى، ثم سكن بغداد، وله مصنَّفات كثيرة في الفقه والتفسير، وأصول الفقه والأدب، وكان حافظاً للمذهب مات في بغداد سنة خمس وأربع مئة، وقد بلغ ستاً وثمانين سنة. أنظر سير أعلام النبلاء: الذهبي، تحقيق، شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط١، ج١٨، ص٦٤، ٦٥.

(٢) نيل الأوطار: للشوكاني، تحقيق عبدالمنعم إبراهيم، مكتبة نزار مصطفى الباز، ج١، ص٣٨٥٩، ٣٨٦٠.

كان لا يتمكن من إظهار دينه وتستحب إن كان يتمكن من إظهاره"[1].

ثالثاً: الهجرة المباحة:

لا تجب الهجرة على من يعجز عنها، إما لمرض، أو إكراه على الإقامة أو ضعف من النساء والولدان وشبههم، ولا توصف باستحباب لأنها غير مقدور عليها وذلك لقوله ﷻ: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[2].

قال ابن كثير ~ بعد ذكره للآية: "هذا عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة، وذلك لأنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق"[3].

وقال ابن عاشور[4] ~ : "وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ استثناء من الوعيد، والمعنى إلا المستضعفين، حقاً، أي العاجزين عن الخروج من مكة لقلة جهد، أو لإكراه المشركين إياهم وإيثاقهم على البقاء: مثل عياش بن أبي ربيعه ومثل سلمه بن هشام، والوليد بن الوليد، وفي البخاري أن رسول الله كان يدعو في صلاة العشاء: "اللهُمَّ نَجِّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ اللهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ اللهُمَّ نَجِّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ

---

(١) العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة: أبي الطيب صديق بن حسن البخاري، بتحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) سورة النساء: الآية (٩٨، ٩٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مرجع سابق، ج١، ص٥٥٥.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد سنة١٢٩٦ هـ، عين شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٦، ص١٦٤.

اللهُـمَّ نَـجِّ الْمُسْتَـضْعَفِينَ مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ"[1]، وقـال ابـن عبـاس ﷺ: كنـتُ أنـا وأمـي مـن المستضعفين"[2].

الخلاصة في حكم الهجرة:

ويمكن تلخيص حكم الهجرة بقول ابن قدامة[3] ~ عندما ذكر بأن النـاس في الهجرة على ثلاثة:

أحدهما: من تجب عليه، وهو من يقدر عليها ولا يمكنـه إظهـار دينـه ولا يمكنـه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا يجب عليه الهجـرة لقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[4].

وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على مـن قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الثاني: من لا هجرة عليه، وهو من يعجز عنها إما لمرض أو إكراه على الإقامة أو ضعف من النساء والولـدان وشبههم، فهـذا لا هجـرة عليـه: لقـول الله تعـالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفوا غفورا، ج٦، ص٣٨٠، حديث رقم (١٠٢٤).

(٢) التحرير والتنوير: محمد بن الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ج٣، ص١٧٦، ١٧٧.

(٣) عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين: فقيه، من أكابر الحنابلة، ولد في جماعيل (من قرى نابلس بفلسطين) سنة ٥٤١ هـ، وتعلم في دمشق، ورحل إلى بغداد سنة ٥٦١ هـ فأقام نحو أربع سنين، وعاد إلى دمشق، وفيها توفي سنة ٦٢٠ هـ، له تصانيف كثيرة منها (المغني) و(روضة الناظر) في أصول الفقه وغيرها. انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٤، ص٦٧.

(٤) سورة النساء: الآية (٩٧).

﴿يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾(1).

ولا توصف باستحباب لأنها غير مقدور عليها.

والثالث: من تستحب له ولا تجب عليه، وهو من يقدر عليها لكنه يتمكن من إظهار دينه وإقامته في دار الكفر فتستحب له ليتمكن من جهادهم وتكثير المسلمين، ومعرفتهم ويتخلص من تكثير الكفار ومخالطتهم ورؤية المنكر بينهم، ولا تجب عليه لإمكان إقامة واجب دينه بدون الهجرة وقد كان العباس عم النبي ﷺ مقيماً بمكة مع إسلامه.

ومما سبق يتضح أن للهجرة أحكاماً تختلف باختلاف الحال التي يكون عليها الشخص فقد تكون الهجرة واجبة في حق شخص بينما تكون مندوبة أو مباحة لآخرين، فتكون الهجرة واجبة إذا توفر فيها شروط هي:

١– أن يكون قادراً على الهجرة.

٢ – مفتوناً في دينه.

٣ – لا يمكنه من إظهار دينه والقيام بواجباته.

فهذا تجب عليه الهجرة وذلك من أجل المحافظة على دينه وأداء واجباته والقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وقد كانت هجرة الحبشة من هذا القبيل.

وتكون الهجرة مستحبة إذا كان يقدر عليها لكنه يتمكن من إظهار دينه والقيام بواجباته فهذا تكون الهجرة في حقه غير واجبة لأنه يمكنه إقامة واجب دينه دون الهجرة، بل قد يكون إقامته في بلاد الكفر فيه فائدة وذلك يتمكن من جهادهم وتكثير المسلمين والقيام بنشر الدين بينهم.

وقد تكون الهجرة مباحة وذلك للعاجز عنها وذلك إما لمرض أو إكراه على

---

(١) سورة النساء: الآية (٩٨، ٩٩).

الإقامة أو يكونوا من النساء والولدان ويدخل في ذلك الأسير فهؤلاء لا هجرة عليهم فقد استثناهم الله تعالى وذكر بأنهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

ذكرت سابقاً عند حديثي عن حكم الهجرة وأنها واجبة للقادر على الهجرة ولكنه لا يتمكن من إظهار دينه، وتستحب للقادر عليها ويتمكن من إظهار الدين، وتسقط عن العاجز.

ويبقى أن أبين: المعنى المقصود من إظهار الدين، والمعنى المقصود من الدين: فالإظهار ضد الإخفاء، فالمظهر لدينه هو الذي يتمكن من إعلانه، ولا يضطهد على ذلك ولا يخفيه، والعاجز عن الإظهار هو الذي لا يقدر على إظهار إيمانه وتوحيده وعقائد دينه وشرائعه، والدين لا يحدد ولا يفسر بتفسير أحسن ولا أوضح من تفسير النبي ﷺ ولا أجمع فإنه فسره بمجموع عقائد الدين وشرائعه وحقائقه، حيث قَالَ: "الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ قَالَ الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: مَا الإِحْسَانُ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[1] فجعل ذلك كله هو الدين، فمتى قدر الإنسان على إظهار هذه الأمور، وعدم إخفاء شيء منها فهو المظهر لدينه، ومتى عجز عن إظهارها أو إظهار شيء منها فهو عاجز عن إظهار دينه، فلو كان يقدر أن يصلي ويصوم لكن لا يقدر أن يظهر توحيده وإيمانه وعقيدته كان عاجزاً عن إظهار دينه[2].

وقد ذكرت فيما مضى بأن حكم الهجرة باق إلى يوم القيامة وقد أوردت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله ﷺ: " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع

----

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج١، ص٨٩، حديث رقم (٤٩).

(٢) انظر الفتاوى السعدية: مرجع سابق، ج١، ص٩٤.

التوبـة ولا تنقطـع التوبـة حتـى تطلـع الـشمس مـن مغربهـا "(١) وقـد وردت بعـض الأحاديث تنافي في ظاهرها بقاء الهجرة، ومن ذلك ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ، **رضي الله عنه** "، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ"(٢).

وقد أحسن العلماء في الجمع بين تلك الأحاديث، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ~ أن قوله ﷺ: "لاهجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيه، وقوله: "لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو" إن كليهما حق فالأول أراد به الهجرة المعهودة في زمانه، وهي الهجرة إلى المدينة من مكة وغيرها من أرض العرب، فإن هذه الهجرة كانت مشروعة لما كانت مكة وغيرها دار كفر وحرب وكان الإيمان بالمدينة، فكانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة لمن قدر عليها، فلما فتحت مكة وصارت دار الإسلام ودخلت العرب في الإسلام صارت هذه الأرض كلها دار الإسلام، فقال: "لا هجرة بعد الفتح"(٣).

وقال الصنعاني ~ : "بأن حديث لا هجرة يراد به نفيها عن مكة، كما يدل له قوله بعد الفتح فإن الهجرة كانت واجبة من مكة قبله، وقال ابن العربي: الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضاً على عهد رسول الله ﷺ واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت بالأصالة هي القصد إلى النبي ﷺ حيث كان، وقوله (ولكن جهاد ونيه) قال الطيبي وغيره: هذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله والمعنى أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة فقد انقطعت إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية، وكذلك المفارقة بنية صالحة كالفرار من دار الكفر، والخروج في طلب العلم، والفرار من

----

(١) سبق تخريجه ص٣٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح، ج٤، ص٤٩٩، حديث رقم (١٢٥١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه مرجع سابق، ج١٨، ص٢٨١، ٢٨٢.

الفتن، والنية في جميع ذلك معتبره، وقال النووي: المعنى أن الخير الذي انقطع بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة"(١).

وجاء في نيل الأوطار للشوكاني ~ : "إن الهجرة افترضت لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ "(٢).

فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل انقطعت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب " ثم أورد بعد ذلك قول البغوي ~ حيث قال: يحتمل الجمع بطرق أخرى، فقوله: "لاهجرة بعد الفتح" أي من مكة إلى المدينة، وقوله: "لاتنقطع" أي من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام قال: ويحتمل وجهاً آخر وهو أن قوله: "لاهجرة" أي إلى النبي ﷺ حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن، فقوله "لاتنقطع" أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم، وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ"إنقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار" أي مادام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبه منها على من أسلم وخشى أن يفتتن في دينه ومفهومه أنه لو قدر أن لا يبقى في الدنيا دار الكفر أن الهجرة تنقطع لإنقطاع موجبها، وأطلق ابن التين ~ أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت واجبة، وأن من أقام بمكة بعد هجرة النبي ﷺ بغير عذر كان كافراً، قال الحافظ ابن حجر ~ : وهو إطلاق مردود"(٣).

مما سبق يتبين أنه لا يوجد تعارض بين الأحاديث وقد أحسن العلماء الجمع بينها فحديث "لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو" دليل على ثبوت حكم الهجرة وأنه

(١) سبل السلام للصنعاني: مرجع سابق، ج٤، ص٨٦.

(٢) جزء من الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٣) نيل الأوطار: للشوكاني: مرجع سابق، ج٨، ص٣٨٦.

باق إلى يوم القيامة وحديث (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)، نفي لوجوب الهجرة من مكة إلى المدينة، وذلك لأن الهجرة تجب من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، وقد صارت مكة دار الإسلام بالفتح، أما حكم الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين فهو باق والله أعلم.

رابعاً: المقصود بالحبشة وبيان موقعها الجغرافي:

تعتبر الحبشة أول بلد تصله الدعوة بعد مكة فنالت بذلك الشرف والمكانة وكيف لا يكون لها ذلك وهي أرض صدق كما أخبر بذلك المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، ولمزيد معرفة عن هذه الأرض الصادقة فيمكن توضيح المقصود بالحبشة وبيان موقعها الجغرافي بالآتي:

الحبش: جنس من السودان، وهم الأَحْبُش والحُبْشان.

وقيل: هم الجماعة أياً كانوا إلا أنهم اذا تجمعوا أسودوا، والتحبش الجماعة.(1)

ويرى بعض الباحثين أن أصل الحبش من غرب اليمن من سفوح الجبال، وفي اليمن جبل يسمى جبل (حُبَيْش) قد يكون لإسمه صلة بالحبش الذين هاجروا إلى أفريقيا وأطلقوا إسمهم على الأرض التي عرفت بإسمهم، أي (حبشت) أو الحبشة.(2)

أما لفظة حبشة عند الإخباريين المسلمين، فإنها تعني مجموعه من الناس يقطنون مابين خط الاستواء، ووسط الحجاز وما بينهم شرقاً وغرباً.(3)

---

(1) انظر لسان العرب:لابن منظور، مصدر سابق، ج2، ص12، 13.

(2) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جوادعلي، بغداد، ج3، ص449.

(3) انظر صفة جزيرة العرب:الهمذاني، تحقيق محمد علي الأكوع، دار الآداب.بيروت ط3، ص66، وانظر الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص46، وانظر البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج1، ص115.

ويكاد يجمع معظم الإخباريين على أنهم أمة من الناس من نسل كوش بن حام يقطنون أفريقيا.[(١)]

وقد ورد لفظ أثيوبيا للدلالة على الحبشة، وأطلق الأحباش هذا اللفظ على بلادهم أسوة بذكره في التوارة، وأثيوبيا كلمه يونانية يراد به (الوجه المحترق) ولما سكنت قبيلة حبشت في شمال الحبشة نسبت الجزء الشمالي إليهم، وسمى باسمهم، ثم أطلق العرب الحبشة على جميع البلاد[(٢)]، وقد جمع الباحثون بين لفظة حبشت وأكسوم من ورود هذين الاسمين في جملتين ملك أكسمن، ملك حبشت.[(٣)] وذلك لاقتران ظهور لفظة حبشت مع ظهور دولة أكسوم[(٤)] في منطقة الحبشة[(٥)] في شرق أفريقيا، ولقد ذكرت النصوص العربية الجنوبية التعبيرات حبشت، ملك حبشت، مصدر أحبش والتي تعني قواد الحبشة، أما بالنسبة للنصوص الحبشية فهي ترجع إلى حوالي

----

(١) انظر المعجم الوسيط: مصدر سابق، ج١، ص١٥٨ ، وانظر تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، تحقيق عبد الغفور عطار، ج٣، ص٩٩٩.

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، مرجع سابق، ج٣، ص١٥٠، وانظر جغرافية أفريفيا وحوض النيل: حسام جاد الرب، دار العلوم، ص٢٠١.

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية: تأليف مجموعه من المؤلفين، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، ج٣، ص٢٩٩.

(٤) أكسوم حاضرة دولة أكسوم الحبشية، وتقع في شمال الهضبة، وارتبط تاريخها بمملكة أكسوم الحبشية، وقد تأسست هذه المدينة في القرن الأول الميلادي حيث كان المستوطنون من جنوب الجزيرة العربية في الحبشة قد انصهروا في الشعوب الكوشية وأقاموا دولة خاصة بهم هي مملكة أكسوم، التي ترجع أصولها إلى الألف الأولى قبل الميلاد، أما الأساطير الحبشية القديمة، فقد ذكرت أن (أثيوبي) أبو الأثيوبين كان له ولد اسمه أكسوماوي نصب ملكا للبلاد وربما هو يكون مؤسس المدينة، وتقع على بعد ٩٥٠كم إلى الجنوب الغربي من ميناء مصوع، وقد ازدهر اسمها واشتهرت منذ القرن الثالث الميلادي. انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مرجع سابق، ج٣، ص٤٥٢، وانظر بين الحبشة والعرب: عبد المجيد عابدين، دار الفكر العربي، ص١٣.

(٥) انظر بين الحبشة والعرب: مرجع سابق، ص١٢.

القرن الرابع الميلادي وبالتحديد إلى عهد الملك الحبشي الأكسومي عيزانا[(١)] الذي حكم خلال القرن الرابع الميلادي[(٢)] فقد جاءت في النص الذي ترجمه عبدالمجيد عابدين " ملك أكسوم وحمير وريدان وسبأ وصيامو ويحة وكاسو"[(٣)]، وذلك ضمن لقب الملك عيزانا، وقد تعني كلمة أكسوم الحبشة، أثيوبيا.[(٤)]

وعلى كل فإن لفظة حبشت وردت ضمن النصوص والنقوش العربية الجنوبية التي عثر عليها في بلاد العرب الجنوبية، بالإضافة إلى ذكره المؤرخون واللغويين المسلمون لها، حيث أطلقها العرب على الجزء الشرقي من القارة الأفريقية، أما اليونان والرومان فقد أطلقوا على تلك الأرض لفظ أثيوبيا وعرفّوها بلفظة Abyssinia والتي تعني بلاد الحبشة وتشمل أرض أثيوبيا وإريتريا حالياً.[(٥)]



(١) عيزانا ابن الملك الأعميدا وقد حكم حوالي ٣٣٠، ٣٥٠م، على رأي وحكم عام ٤٥٠م، في حين يرى عبد المجيد عابدين أن حكمه كان في حوالي ٣١٧م، إلا أن محمد إبراهيم بكر يذكر أن فترة حكمه كانت ما بين عامي ٣١٧-٤٣٢م، وعلى ضؤ تلك الاختلافات في فترة حكمه فإنه يرجح أن فترة حكمه كانت في منتصف القرن الرابع الميلادي تقريبا، انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، مرجع سابق، ج٣، ص٤٥٦، وانظر بين الحبشة والعرب: عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص٢٧، وانظر تاريخ السودان القديم: محمد إبراهيم بكر، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، ص (١٧٠)١٧٠، وانظر العلاقة بين شبه الجزيرة العربية والحبشة: عبد المعطي سمسم، دار السلام الحديثة، القاهرة، ط١، ص٣٩.

(٢) انظر العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة: مرجع سابق، ص٣٩.

(٣) انظر بين الحبشة والعرب: عابدين، مرجع سابق، ص٣٤.

(٤) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، مرجع سابق، ج٣، ص٤٥٥.

(٥) انظر العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة: مرجع سابق، ص٤٣، ٤٤.

الفصل الأول



الحالة العامة للحبشة في عهد النبي ﷺ

<u>وفيه ثلاثة مباحــث</u> : -

المبحث الأول : الحالة الدينية.

المبحث الثاني : الحالة السياسية.

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية.

* *   * ** *   * *

المبحث الأول

الحالة الدينية

<u>ويشتمل على أربعة مطالب</u> :

المطلب الأول: الوثنية.

المطلب الثاني: اليهودية.

المطلب الثالث:النصرانية.

المطلب الرابع: الإسلام.

* *   * *   * *

المبحث الأول: الحالة الدينية

مرّ الأحباش بعدّة ديانات فقد كانت ديانتهم، الديانة اليهودية، والديانة النصرانيه ، ثم الدين الإسلامي والذي كان عن طريق المهاجرين من الصحابة ﷺ الذين كانوا هاجروا من مكة إلى الحبشة في وقت مبكر من الدعوة.

وفي المطالب التالية سيتم توضيح كيفية اعتناق الأحباش لتلك الديانات.



المطلب الأول:
الوثنيـــــــة

سكان شرقي أفريقية زنوجاً أو حاميين أو ساميين كانوا وثنيين إلا أنهم يؤمنون بإله واحد أعلى هو خالق السماوات والأرض، بالرغم من تسميتهم له بأسماء مختلفة، فجميع قبائل الزنج كانت تعبد إلهاً واحداً هو الرب الكبير خالق السموات والأرض، والحاميون من أبناء نوح عليه السلام كانوا يؤمنون باله واحد بإله نوح عليه السلام إلا أنهم تحولوا مع الزمن إلى الشرك والوثنية، وأما الساميون الذين وفدوا على أكسوم من جزيرة العرب، واستعمروها قديما فكلهم وثنيون، وإن اعتقدوا في خالق أعلى شأن العرب الذين قالوا عن الأصنام[1] كما حكى عنهم القرآن ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[2].

وقد عبد هؤلاء جميعاً بجوار الإله الأعلى آلهة أخرى كثيرة ظاهرة كبعض الأنهار والأشجار والكواكب والحيوانات، أو خفية كالجن وأرواح أسلافهم، واعتقدوا أن هذه الآلهة وسطاء بينهم وبين الإله الأكبر وما ذلك إلا لاعتقادهم بأن الإله الأكبر بعيد عن العالم بعداً شاسعاً يصعب الاتصال به، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وما عرف هؤلاء أن الله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[3].

ولا تزال قبائل أفريقية تدين بالوثنية، وتقطن في منطقة الدراسة قبائل كثيرة لم تتحول بعد إلى الإسلام أو المسيحية[4].



---

(١) انظر انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له: محمد بن عبدالله النقيرة، دار المريخ، ص٤٤.

(٢) جز من الآية (٣)سورة الزمر.

(٣) سورة البقرة: الآية (١٨٦).

(٤) انظر الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له: مرجع سابق، ص٤٦.

المطلب الثاني:
اليهوديـــــــة

دخلت اليهودية إلى الحبشة بالطريق المعتاد باستقرار بعض التجار الذين وفدوا إليها، إما من فلسطين مباشرة، وإما من مهاجري جزيرة العرب وكذلك بعض من جاءوا من مصر، وعندما استقروا في الحبشة تكتلوا في جماعات وتكونت منهم الجالية اليهودية، ومن نسلهم قبائل (الفلاشة) وكلمة فلاشة باللغة الحبشية معناها (المهاجرون أو الأغراب)[(١)].

وقد تهود الأحباش فيما بعد واشتد متنهم في طول البلاد وعرضها وكثر عظماؤهم حتى احتلوا عرش الحبشة[(٢)].

ولقد كون اليهود مستعمرات تجارية بالحبشة صارت مراكز لديانتهم بين الأحباش، ولقد وجد في بعض نقوش «عيزانا» أحد ملوك أكسوم، والذي اعتنق المسيحية فيما بعد عبارة «ملك صهيون» فاستنتج البعض من ذلك أن حركة تبشير جادة باليهودية كانت آنذاك[(٣)].

وقد أثرت الديانة اليهودية في الأحباش دينياً وسياسياً، فقبائل الجالا المسيحيون يعبدون آلهة يسمونها (سميث) وهو تشخيص ليوم السبت الذي يعظمه اليهود والذي يسمونه (سميث أو سنبث) هذا من جانب التأثير الديني، أما الأثر السياسي فهو أسطورة تسلسل ملوك الحبشة من سلالة سليمان الحكيم وزوجته سبأ[(٤)]، ويدعي

---

(١) انظر الإسلام والحبشة عبر التاريخ: فتحي غيث، ص٣٧.

(٢) انظر الحبشة: ياسين الحموي وداود التكريتي، مرجع سابق، ص٤٣، ٤٤.

(٣) انظر انتشار الإسلام في شرق أفريقيا: مرجع سابق، ص٤٧.

(٤) اسمها تلقمة ويقال لها بلقيس، أما اسم أبيها فقد قيل شراحيل بن ذي جدن بن السيرح بن الحرث ابن قيس ابن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قال ابن عباس رضي الله عنه: " إن رجلاً سأل رسول الله عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض ؟قال: بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم =

اليهود الأحباش أنفسهم أنهم من نسل منليك بن سليمان مؤسس مملكة أكسوم[(1)].

وهذه القصة موضوعة، (وهي كون الأسرة المالكة ينحدر نسلها من سلالة النبي سليمان عليه السلام) وقد كان القصد منها إضفاء صيغة القداسة على الأسرة الحاكمة الجديدة حتى لا يحاول أحد الانقضاض عليها، واعتمد واضعوا هذه الأسطورة شدة تعلق أفراد الشعب الحبشي بأمثال هذه القصص، ولو أن ملوك الحبشة في تلك الأزمان القديمة كانوا يعلمون ويؤمنون بأنهم أحفاد سليمان عليه السلام حقيقة لرسخ إيمانهم بالدين اليهودي وتعصبوا له، ولما كان من السهل اعتناقهم الدين المسيحي بتلك الاستجابة السريعة، وكذلك فإنه لو كانت العائلة المالكة تنحدر حقيقة من نسل سليمان لما استمر اليهود يحملون اسم الأغراب (الفلاشه)ولما بقي اليهود يعيشون في الحبشة في شبه عزله عن باقي أجناسها[(2)].

والأهم من ذلك كله أنه لم يرد من ذلك شيء في المصادر الإسلامية، والذي ورد هو قصة النبي سليمان عليه السلام ودعوته لسبأ إلى الإسلام، وقد اختلف في زواجه منها، ولكن الأشهر أنه تزوجها[(3)].

وعلى أي حال فلا يوجد بين المراجع المعتمدة ما يؤيد انحدار العائلة المالكة الحبشية من نسل سليمان عليه السلام، اللهم إلا ما جاء على لسان العائلة المالكة نفسها[(4)].

= ستة وبالشام منهم أربعة فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والاشعريون وأنمار وحمير، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان "قال ابن كثير ~ ، وهذا إسناد حسن ولم يخرجوه، انظر البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٢١، وانظر تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق ، ج٣، ص٩٠٥.

(١) انظر انتشار الإسلام في شرق أفريقيا: مرجع سابق ص٤٧، ٤٨.

(٢) انظر الإسلام والحبشة عبر التاريخ: فتحي غيث، ص٣٢-٣٨.

(٣) انظر البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق ، ج١، ص٢٤.

(٤) انظر الإسلام والحبشة عبر التاريخ: فتحي غيث، مرجع سابق، ص٣٨.

ولقد أخذت النصرانية تزاحمها لتحل محلها، وقد كتب لها ذلك فكان أن تقلص ظل اليهودية وانكمش اليهود على أنفسهم منفردين منعزلين ومحافظين على طقوسهم وعاداتهم وعقائدهم الخاصة بهم[1].

---

(١) انظر الحبشة: للحموي والتكريتي، مرجع سابق، ص٤٥.

المطلب الثالث:
النصرانيه

كان ملوك أكسوم وثنيين وبقوا على وثنيتهم إلى القرن الرابع[١] حيث دخلت المسيحية في بلاد الحبشة على يد أحد رجال الدين الاسكندريين ويدعى فرومنتوس في حكم عزانا وقد اعتنق عزانا المسيحية على يديه، فهو أول ملك حبشي اعتنقها على الراجح، وكان معاصراً للقسطنطين الأكبر، وبعض الباحثين يسمون عزانا قسطنطين الحبشة تشبيهاً له بالأول، إذ أنه جعل المسيحية دينا رسمياً في الحبشة، ومنذ أن دخلت المسيحية في الحبشة لم يسمع عن ملوك أكسوم حتى نهاية القرن الخامس الميلادي حيث وجد الملك تازانيا (ويسمى عميدا، وهو غير آل عميد ا والد عزانا) ويتمثل في بعض نقوشه وثني العقيدة وفي بعضها مسيحياً[٢].

وفي ذلك الحين وفد تسعة رهبان من السريان من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة وبشروا بالمسيحية في البلاد، والظاهر أن المسيحية لم تنتشر وتتأكد دعائمها إلا بعد قدوم هؤلاء الرهبان، وأن تبشير فرومنيتوس وإن كان قد ترك آثاراً إلا أنه لم يصادف نجاحاً كبيراً في البلاد، وفي البلاط الأكسومي وربما كان هذا راجعاً إلى ضعف المطارنة[٣] الذين تولوا من بعده كرسي الحبشة، وربما كان وقوف أصحاب المذاهب الأخرى في وجه انتشار الارثوذكسية[٤] في الحبشة أثراً[١].

---

(١) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، مرجع سابق، ج٣، ص٤٥١.

(٢) انظر بين الحبشة والعرب: عبد المجيد عابدين، ص٣٦.

(٣) المطران: هو رئيس ديني عند النصارى، وهو دون البطريرك، وفوق الأسقف، ويوجد تحت ولاية البطريرك القبطي أربعة مطارنة أو رؤساء أساقفة هم مطارنة الأسكندرية والمنوفية أو ممفيس وأورشليم الحبشة.انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف وتخطيط مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط٥، ج٢، ص١١٤٨.

(٤) هي إحدى الكنائس الرئيسة الثلاث في النصرانية، وقد انفصلت عن الكنسية الكاثوليكية الغربية، =

ومنذ اعتناق الحبشان المسيحية وتدينهم بها بقوا محافظين على مذهبهم القبطي وهم من الطائفة الذين يقولون بطبيعة واحدة للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام[2].

إن الإيمان القائم على طبيعة واحدة للمسيح أقرب المذاهب النصرانية إلى العقيدة الإسلامية، وهذا ما يفسر سبب تعاطف النجاشي مع المسلمين المهاجرين حيث أن النجاشي يؤمن بأن عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله، فقد كان النجاشي وحده على الدين الأصل، كما تبين ذلك من خلال حواره مع جعفر رضي الله عنه، وكان هذا أحد الأسباب التي ربما كان اختيار النبي ﷺ لأرض الحبشة مهاجراً لبعض أصحابه رضي الله عنهم[3].



= وتمثَّلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الآب وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح، وتدعى أرثوذكية بمعنى مستقيمة المعتقد مقابل الكنائس الأخرى، انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: مانع بن حمَّاد الجهني، دار الندوة العالمية، ط٥، ج٢، ص٥٣٨.

(١) انظر بين الحبشة والعرب: عبد المجيد عابدين، ص٣٦، ٣٧.

(٢) انظر الحبشة: ياسين الحموي، وداود التكريتي، مرجع سابق، ص٤٦.

(٣) انظر قراءة جديدة في العهد المكي: رعد محمد البرهاوي، دار الكتاب، ص٣٨ بتصرف.

المطلب الرابع:
الإســــــلام

دخل الإسلام إلى الحبشة في وقت مبكر من ظهوره وذلك حين وصل إليها الفوج الأول من المهاجرين من بعض أصحاب النبي ﷺ وذلك حين اشتد عليهم أذى كفار قريش فأشار عليهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة بقوله: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله فرجاً مما أنتم فيه"(١).

إن اختيار النبي ﷺ لأرض الحبشة كان نتيجة معرفة وإطلاع فقد كانت الحبشة متجراً لقريش وكانوا يجدون فيها أمناً وسلاماً ومتجراً حسناً(٢)، عندها هاجر بعض من أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة، وقد كانت الرحلة سهلة فهؤلاء المهاجرون لم يجدوا أدنى صعوبة في عبور البحر الأحمر والانطلاق إلى الحبشة، فقد تيسر لهم مركبان نقلاهما إلى الحبشة(٣).

ومن هنا فإن الحبشة كانت أسبق بقعة في العالم القديم، في استقبال حملة الدعوة الإسلامية الخالدة، وكان أول بوادر انتشار الإسلام هناك إسلام ملكهم النجاشي بعد الحوار الذي دار بينه وبين جعفر رضي الله عنه وذلك حين بين طبيعة الدين الإسلامي للنجاشي، وقرأ عليه من سورة مريم في قصة طويلة ذكرتها أم سلمة < (٤) وسيتم توضيح ذلك

- - - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) أخرجه أحمد: ج ٤، ص٢٥٩.

قال الألباني: "رواه أحمد في المسند من طريق ابن إسحاق به، وقال الهيثمي- عقب عزوه لأحمد (٦/ ٢٧): "ورجاله رجال "الصحيح " غير [ابن] إسحاق، وقد صرح بالسماع ".

قلت: فهو إسناد جيد، وقد سكت عنه الحافظ في "الفتح " (٧/ ١٨٨).

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك: للطبري، دار الكتب العلمية بيروت ،ط١، ج١، ص٥٤٦.

(٣) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر بيروت، ج١، ص٢٠٤.

(٤) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق، مصطفى السَّقّا وآخرون، دار الخير، ج١، ص٢٦٤-٢٦٧.

بالتفصيل في الفصول القادمة إن شاء الله.

وتذكر المصادر أن وفداً من الأحباش قدم على النبي ﷺ في مكة فجلسوا إليه وكلّموه وسألوه فلما فرغوا من مساءلته ﷺ عمّا أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وقرأ عليه القرآن، فآمنوا به وصدّقوه(1).

وهكذا دخل الإسلام الحبشة منذئذ واعتنقه بعض الأحباش، وأخذ في الذيوع والانتشار بالرغم من عودة من بقي من المهاجرين إلى المدينة في فتح خيبر، وإذ لم تتوفر المعلومات عن عدد الذين اعتنقوا الإسلام من الأحباش إلا أن مكث بعض المهاجرين ما يقارب أربعة عشر سنة يكفي بأن يعتنق عدد كبير من الأحباش الإسلام، حيث أن من البديهي أن يقوم هؤلاء المهاجرون بنشر الإسلام طوال فترة بقائهم فيها بالإضافة إلى ما قام به المهاجرون من دور في نشر الدعوة الإسلامية في أرض الحبشة في فترة بقائهم فيها فإن الإسلام شق طريقة إلى سكان الساحل الشرقي لأفريقية بعد ذلك بقليل فمنذ دانت شبه جزيرة العرب بالإسلام ووحد الرسول ﷺ قبائلها المتحاربة تحت لواء الإسلام تسير في أمن وسلام، وقد دفع الإسلام بتلك الحركة التجارية دفعاً قوياً، وحمل التاجر المسلم مع سلعته إسلامه الذي هذب خلقه، وصقله على الصدق والأمانة وعدم الغش، مما جعله مثار إعجاب الناس في كل مكان مما دفعهم إلى الدخول في الدين الإسلامي(2).

إذاً يتضح مما سبق بأن الإسلام شق طريقه إلى الحبشة عن طريق:

١-الهجرة، وذلك حين هاجر إليها بعض من أصحاب النبي ﷺ، في المرحلة الأولى من الدعوة.

٢-الرحلات التجارية، وذلك عن طريق التجار المسلمين الذين حملوا مع

----

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام صدر سابق، ج٢، ص٢٥، ٢٦.

(٢) انظر ظهور الإسلام والعلاقات مع شرق أفريقيا: ص٦٣.

تجارتهم إسلامهم.

وهكذا ظل الإسلام ينتشر بالحبشة تدريجيا على مر العصور دون أن يكون هناك أي فتح إسلامي لها وفي المبحث التالي يتم توضيح ذلك.



المبحث الثاني

الحالة السياسية

<u>ويشتمل على مطلبين</u> :

المطلب الأول: الحالة السياسية للحبشة قبل عصر النبوة.

المطلب الثاني: الحالة السياسية للحبشة في عصر النبوة.

* *   **   * *

المبحث الثاني:
الحالة السياسية

أما بالنسبة لأحوال الحبشة من الناحية السياسية ففي المطالب التالية يتم توضيح للحالة السياسية التي كانت عليها الحبشة قبل عصر النبوة، وكذا الحالة السياسية في عصر النبوة.



المطلب الأول:
الحالة السياسية للحبشة قبل عصر النبوة

لقد تأثرت الحبشة من الناحية السياسية بحكم طبيعتها الجغرافية التي كانت بمثابة حصن طبيعي لها، فعاش أهلها في جزائرهم الأرضية تعوق الجبال العالية اتصالهم ببعضهم البعض فلم تدرك الحبشة معنى الوحدة السياسية الكبيرة وأصبحت وحداتهم السياسية صغيرة لا تتعدى المقاطعة الواحدة التي تحدها السلاسل الجبلية العالية من جميع الجهات، كما عاش أهل الهضبة جميعها في فترات كثيرة من تاريخهم بعيدين عن العالم الخارجي لا يحاول أحد الاتصال بهم إلا إذا كان اتصالاً ذا منفعة لهم، فكانت الحبشة اسماً جغرافياً فحسب يضم أشتاتاً من ممالك صغيرة يعيش كل منها في حالة سياسية واجتماعية وفكرية قد تخالف بعضها البعض مخالفة تامة ويقوم التنافس بين الأقاليم أو بين الممالك على السيادة أولاً وعلى طرق التجارة ثانياً فلا غرابة إذا قامت الحروب المتوالية بين بعض الممالك وبعضها الآخر، وتمكن القوي منها من التغلب على الضعيف وسلبه أسواقه، فكان نفوذ بعض هذه الممالك يمتد وينكمش تبعاً لقوتها أو ضعفها، ولكن هذا الامتداد أو هذا الانكماش لا يستمر إلا ريثما تستطيع المستضعفة أن تطرح عنها نفوذ الأخرى لتأخذ بالثأر فعاشت البلاد وهي تعاني هذا الانقسام(١).

دامت هذه الحالة زمناً ليس بالقصير إلى أن كان القرن الرابع حين أخذت المسيحية تنتشر بين شعوبها، وهذا وإن كانت على هذا الشكل البدائي إلا أن لهذه القبائل قوانين تكاد تكون موحدة، وصاحب الشأن والأمر فيها هو النجاشي(٢)،

----

(١) انظر الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى: زاهر رياض، دار الشروق، ص٢٤-٢٦.

(٢) لقب يلقب فيه ملوك الحبشة كما أن قيصر علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة وبلاد الروم، وكسرى علم على من ملك الفرس، وفرعون علم لمن ملك مصر، وتبع لمن ملك اليمن وهكذا،، انظر البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ط٢، ج٢، ص٤٣٠.

فهو الرأس الأكبر الذي يفرض الجزية والإتاوات على بقية الرؤوس، وهذا الأعم الأغلب فهو أقوى رأس في البلاد الحبشية، وله حقوق يتمتع بها ولا يشاركه فيها أحد(١).

غير أن سلطة النجاشي (الإمبراطور)يحدها نظام الإقطاع القديم، الذي يقضي بولاء كل فرد لرئيسه المباشر، وهذا، وأضرابه يدينون بالولاء لرئيسهم، وهكذا إلى الرأس أو الملك الذي يدين للنجاشي، ولم يستطع أحد من نجاشية الحبشة أن يحدث تغيراً يذكر في هذا الشأن إلا النجاشي منليك الثاني الذي شبهه بعض المؤرخين بالملك لويس الحادي عشر موحد فرنسا، إذ كان ينتهز الفرص السانحة ويخلع الرؤوس أو الملوك الوارثين واحداً بعد واحد ويستبدل بهم حكاماً معينين قابلين للعزل أو النقل(٢).

ذكرت فيما سبق أن الحبشة ظلت تعاني من الانقسام السياسي إلى أن دخلت المسيحية إلى البلاد وقد كان أول من تنصر من ملوك الحبشة عزانا، ويرى البعض أن تنصر ملك أكسوم المبكر والسريع كان لأغراض سياسية واقتصادية، إذ لاحظ ملوك أكسوم نمو قوة الأباطرة البزنطيين وازدياد نفوذهم في الشرق الأدنى، فأرادوا تعزيز صلاتهم التجارية مع مصر والعالم البيزنطي لما في ذلك من أهمية لرخاء أكسوم، وبعد عزانا تقل المعلومات المتوفرة عن مملكة أكسوم إلى أن تدخل النجاشي في اليمن إلى جانب النصارى المضطهدين هناك(٣).

ولي ملك حمير في اليمن آنذاك ذو نواس الذي اعتنق اليهودية واضطهد النصارى فاستغاثوا بملك اكسوم فسيّر النجاشي جيشاً بقيادة أرياط ومعه في جنده أبرهة حتى نزلوا اليمن واستولوا عليها فأقام أرياط بأرض اليمن في سلطانه ذلك ثم

---

(١) انظر الحبشة: ياقوت الحموي والتكريتي، مرجع سابق، ص٢٦-٢٩.

(٢) انظر الحبشة: حسن محمد جوهر، مطبعة مصر، ط١، ص٣٨.

(٣) انظر، الحبشة عربية الأصول والثقافة: أمين توفيق الطيبي، ص٤٨، ٤٩.

نازعه أبرهة واستولى على ملك اليمن، ثم إن أبرهة قد جهز جيشاً لهدم الكعبة وقد عرفت هذه الحادثة بحادثة الفيل فقد أرسل الله عليهم طيراً أبابيل حتى أهلكتهم جميعاً، وفي هذا العام كان المولد الشريف للنبي ﷺ، فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺكان مما يعدد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ماردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم فقال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾[1].

فلما أهلك الله أبرهة ملَكَ اليمن الحبشي بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة، وهو آخر ملوكهم باليمن[2] وبذلك انتهى حكم الحبشة على اليمن.

وقد اكتشف الباحثون قطعا من النقود الحبشية تحمل أسماء ملوك، قد تبلغ العشرة، لم يذكرها الباحثون القدماء ولا يكاد يعرف منهم في جداول الملوك إلا اسمين (إل جبز)و(أرماح)، ويقال إن أرماح هذا حكم بعد إل عميدا (تازنيا) والذي وجد في بعض نقوشه وثني العقيدة وفي بعضها مسيحيا، فيكون حكمه من ٤٨٩-٥٠٣م، ويسمى أرماح الأول تميزاً له عن أرماح الثاني الذي يظن أنه عاش في القرن السابع وكان معاصراً للنبي ﷺ[3].

----

(١) سورة الفيل: الآية (١-٥).

(٢) انظر، البداية والنهاية: لابن كثير، مصدر سابق، ج٢، ص٩٩-١٠٩، وص٢١٧.

(٣) انظر بين الحبشة والعرب: عابدين، مرجع سابق، ص٣٧.

المطلب الثاني:
أحوال الحبشة السياسية في عصر النبوة

بعد خروج الحبشة من اليمن لم يكن لهم اتصال بالجزيرة العربية من الناحية السياسية، إذ كانت العلاقات بينهم منقطعة، وكان أول عهد للعلاقة بين الجزيرة والحبشة حين هاجر إليها بعض من أصحاب النبي ﷺ[1]، وكانت مملكة أكسوم هي التي تتولى حكم الحبشة عند البعثة، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى عاصمتها أكسوم، وكانت قاعدة هذه المملكة هضبة التيجرة الواقعة في إرتيريا وشمال إثيوبيا في الوقت الحاضر[2].

و الذي يحكم الحبشة آنذاك النجاشي أصحمه صاحب الولاية على أقليم في شمال الحبشة، والمعروف أنه كان في ذلك العهد ملوك أو نجاشيه لا يعدون، وكان لقب صاحب الولاية الكبرى نجاشي النجاشية أي ملك الملوك، والنجاشي الذي استقبل المسلمين قبره موجود بين قريتي حوزين والبطن وهاتان القريتان في المنطقة الشمالية من الحبشة[3].

وقد ذكرت كتب السيرة قصة تملك النجاشي (أصحمة) للحبشة، فقد كان أبوه أبحر والذي كان سابقاً لعهد الرسالة ملكا للحبشة، فقتل الأحباش الملك أبحر وملكوا أخاه الذي هو عم النجاشي (أصحمة)وأبعدوا النجاشي عن الحبشة ليأمنوا شره وحتى لا يطالب بالملك ويثأر لوالده، فعن عائشة < قالت: " أنّ أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي عمٌّ، له من صلبه اثنا عشر رجلاً، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنّا قتلنا أبا النجاشي وملّكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإنّ لأخيه من صُيلبه اثنى عشر رجلاً،

---

(١) انظر الإسلام والمسلمون في شرقي أفريقيا: عبد المنعم مقلد الغنيمي، عالم الكتب، ص٤٥، ٤٦.

(٢) انظر تاريخ اليمن: محمد عبد القادر بافقيه، المؤسسة العربية بيروت، ص١٧٥.

(٣) انظر الإسلام والمسلمون في شرقي أفريقيا: مرجع سابق، ص٤٥.

فتوارثوا مُلكه من بعده، بقيت الحبشة بعده دهراً، فغدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حيناً، ونشأ النجاشي مع عمّه، وكان لبيباً حازماً من الرجال، فغلب أمره على عمّه، ونزل منه بكلّ منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمّه، وإنّا لنتخوف أن يملّكه علينا وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنّا نحن قتلنا أباه. فمشوا إلى عمّه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى وإما أن تُخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خفناه على أنفسنا، قال: ويلكم قتلتُ أباه بالأمس، وأقتله اليوم بل أخرجه من بلادكم قالت: فخرجوا به إلى السوق، فباعوه من رجل من التجار بست مئة درهم، فقذفه في سفينة فانطلق به، حتى إذا كان العشيّ من ذلك اليوم، هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمّه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته، قالت: ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا هو محمّق ليس في ولده خير، فمرج[1] على الحبشة أمرهم، فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك، قال بعضهم لبعض: تعلمون والله إن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للّذي بعتم غدوةً، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن، قالت: فخرجوا في طلبه، وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه، ثم جاءوا به، فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك، فملكوه.

فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه فقال: إما أن تُعطوني مالي، وإمّا أن أكلمه في ذلك؟ قالوا: لا نُعطيك شيئاً، قال: إذاً والله أُكلمه، قالوا: فدونك وإياه، قالت: فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعت غلاماً من قوم بالسوق بست مئة درهم، فأسلموا إليّ غلامي وأخذوا دراهمي، حتى إذا سرت بغلامي أدركوني، فأخذوا غلامي، ومنعوني دراهمي، قالت: فقال لهم النجاشي: لتُعْطنّه دراهمه، أو ليضعنّ غلامه يده في يده، فليذهبن به حيث شاء، قالوا: بل نُعطيه دراهمه "[2].

---

(١) فمرج أمرهم: أي اختلط، انظر النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج٤، ص٣١٤.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٧-٢٦٩

=

وهكذا تولى النجاشي حكم الحبشة، وقد اشتهر النجاشي بالعدل وذاع صيته لذلك حين اشتد أذى كفار قريش على المسلمين وفتنوهم عن دينهم أمر الرسولﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر بعض من أصحاب النبيﷺ متوجهين إلى أرض الحبشة، وقد استضاف النجاشي المهاجرين وأحسن جوارهم، ودار حوار بين النجاشي والمهاجرين نتيجة لوشاية كفار قريش بهم في قصة طويلة روتها أم سلمة < ، وكان نتيجة ذلك أن أعلن النجاشي إسلامه أمام الصحابة ﷺ[1].

وفي الفصول القادمة إن شاء الله سيتم توضيح ذلك.

وحين علمت الحبشة بأن النجاشي يخالفهم المعتقد في عيسى ابن مريم عليه السلام قاموا بمحاولة الخروج عليه وعزله عن الحكم ولكن النجاشي عاجل هذا الأمر بكل ذكاء واستطاع أن يخمد هذه الفتنة واستمر في حكمه للحبشة.

قال ابن إسحاق[2] ~ : "اجتمعت الحبشة، فقالوا للنجاشي: إنّك قد فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سفناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً عبده ورسوله،

= قال الألباني: رواه أبو نعيم في «الدلائل » ص٨١-٨٤من طريق أخرى عن ابن إسحاق به،ورواه أحمد دون حديث الزهري عن عروة عن عائشة (ص١٧٨) وإسناده حسن، ورجاله ثقات رجال الشيخين، وقال الهيثمي: (٦/ ٢٧) "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير أن ابن إسحاق وقد صرح بالسماع "انظر حاشية السيرة النبوية الصحيحة: الألباني، ص١٨٠.

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مصدر سابق، ج١، ص٢٦٤-٢٦٦.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة،، ومن حفاظ الحديث، زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ وسكن بغداد فمات فيهاسنة ١٥١ هـ ، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد. من مؤلفاته (السيرة النبوية) التي هذبها ابن هشام، و(كتاب الخلفاء) و(كتاب المبدأ).انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٦، ص٢٨.

ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفّوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحقَّ الناس بكم؟ قالوا: بلى قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم، قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أنّ عيسى عبد، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله، فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قبائه، هو يشهد أن عيسى بن مريم، لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وانصرفوا عنه "(1).

وقد كانت هجرة بعض الصحابة ﭫ إلى الحبشة وإكرام النجاشي لهم سبباً في تطور العلاقات بين المسلمين والأحباش فإن علاقة الحبشة بالعرب في عهد النبيﷺ اتسمت بالود وتبادل الهدايا بين الرسولﷺ وبين النجاشي فضلاً عن تبادل الرسائل(2) وليس أدل عل استمرار هذه العلاقات الودية أنه عندما علم الرسولﷺ بوفاة النجاشي أمر أصحابه بالصلاة عليه فقالﷺ: "حين مات النجاشي مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة"(3).

وهكذا ظلت العلاقات الودية بين العرب والحبشة في عهد النبيﷺ، ويمكن القول بأن المرحلة الممتدة من عام خمس للبعثة النبوية وحتى عام سبع للهجرة النبوية وهي تربو على خمسة عشر سنة شهدت تطورات إيجابية بين الجزيرة العربية والحبشة شملت الهجرات من وإلى الجزيرة العربية والوفود الرسمية بين الحبشة والدولة الإسلامية في المدينة، إن تلك الاتصالات أوصلت العلاقة بين الطرفين إلى القمة عام سبع من الهجرة النبوية وهي نهاية مرحلة من المراحل التي بدأت بهجرة بعض

----

(1) السيرة النبوية: لابن هشام، مصدر سابق، ج1، ص26.

(2) زاد المعاد: لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط5، ج3، ص689، 690.

(3) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، ج5، ص129، حديث رقم (383).

الصحابة وانتهت بعودة آخر مجموعة ووصولهم إلى المدينة عام فتح خيبر وبعد عودة آخر مجموعة من المهاجرين، ولكن بعد سنة واحدة من عودة المهاجرين كانت وفاة النجاشي ~ وقد أمر النبيﷺ أصحابه بالصلاة عليه ، وكان معرفة النبيﷺ بوفاة النجاشي من معجزاتهﷺ، ولقد ذكر ابن إسحاق ما يلقي بعض الأضواء على الأوضاع السياسية للحبشة[1].

فقال: " قدم على أبي نيزر بن النجاشي[2] ناس من الحبشة، فأقاموا عنده شهراً ينحر لهم علي بن أبي طالب، ويصنع لهم الطعام، فقالوا له: إن الحبشة قد مرج أمرهم عليهم فانطلق معنا نملكك عليهم، وإنك ابن من قد علمت، فقال: أما إذ أكرمني الله بالإسلام ما كنت لأفعل، فلما أيسوا منه رجعوا وتركوه"[3].

وقال السهيلي[4] ~ : "أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشي، وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي بن أبي طالب ليملكوه ويتوجوه، ولم يختلفوا عليه، فأبى، وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله علي بالإسلام، قال وكان أبو نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجهاً، قال: ولم يكن لونه كألوان

---

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) أبو نيزر بكسر أوله وسكون التحتانية المثناة وفتح الزاي المنقوطة بعدها مهملة، ويقال أنه ولد النجاشي جاء وأسلم وكان مع النبيﷺ في مؤنته، ثم كان مع فاطمة ثم مع ولدها، وكان يقوم بضيعتي على اللتين في البقيع تسمى أحداهما البغيبغة والأخرى عين أبي نيزر. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، دار، ج٤، ص١١٩.

(٣) السير والمغازي: لابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ص٢٢٠.

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير، ولد في مالقة سنة ٥٠٨ هـ ، وعمي وعمره ١٧ سنة ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة٥٨١ هـ ، من كتبه (الروض الأنف) في شرح السيرة النبوية لابن هشام، و(تفسير سورة يوسف) و(التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الاسماء والأعلام)وغيرها. انظر الأعلام، مرجع سابق، ج٣، ص٣١٣.

الحبشة، ولكن إذا رأيته قلت: هذا رجل من العرب "[١].

إن هذا النص يفيد بأن الأوضاع في الحبشة بعد وفاة النجاشي لم تكن مستقرة وقد حدثت منازعات على الملك، وأن مجيء هذا الوفد إلى أبي نيزر يشبه قصة والده وأن أهل الحبشة ما زالوا يأملون في ذرية النجاشي لعلهم يقعون على واحد يتصف بالعدالة والإنصاف، وهذا الأمر يدل على أن ثقة الحبشة بعائلة النجاشي مازالت باقية بعد وفاته[٢].

أما بالنسبة للمواجهات العسكرية فإنه لم تكن الحبشة في العهد النبوي هدفاً للجيش الإسلامي، إلا ما ذكره ابن سعد[٣] ~ بأن النبي ﷺ بعث سرية بقيادة علقمة بن مجزز المدلجي[٤] إلى الحبشة في ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ وكان هدفها الدفاع عن جده قالوا: "بلغ رسول الله ﷺ أن أناساً من الحبشة تراياهم أهل جدة، فبعث إليهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فانتهى إلى جزيرة في البحر، وقد خاض إليهم البحر فهربوا منه "[٥].

----

(١) الروض الأنف: للسهيلي، تحقيق، عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، ج٣، ص٢٦٣.

(٢) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٣) محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله: مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث، ولد في البصرة سنة ١٦٨ هـ، وسكن بغداد، فتوفي فيها سنة ٢٣٠ هـ، وصحب الواقدي المؤرخ، زمانا، فكتب له وروى عنه، وعرف بكاتب الواقدي. قال الخطيب في تاريخ بغداد: محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته، أشهر كتبه (طبقات الصحابة) يعرف بطبقات ابن سعد.انظر الأعلام: مرجع سابق، ج٦، ص١٣٦.

(٤) علقمة بن مجزز ابن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمر بن مدلج الكنانى المدلجى، شهد اليرموك وحضر الجابية وكان عاملا لعمر على حرب فلسطين، استشهد في سنة عشرين حين بعثه عمر في جيش إلى الحبشة في البحر فأصيبوا، انظر الإصابة: لابن حجر، ج٢، ص ٥٠٥، ٥٠٦.

(٥) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج٢، ص١٦٣.

مما سبق يتضح أن هؤلاء الذين أخافوا أهل جدة كانوا قراصنة البحر، ولم يكن جيشاً منظماً خطط للاستيلاءعلى جدة، لأن الأسلوب الذي واجههم به المسلمون لا يدل على أنهم قوة مرهوبة الجانب، كما أن الحادث لم يحتل حيزاً كبيراً في كتب السير والمغازي كعادة الغزوات والحروب الكبيرة ولم ترد تفاصيل دقيقة عنها، بل مرت وكأنها حادثة عرضية لم تسترع انتباه المسلمين(١).

كما يتضح كذلك أن هذه الحادثة قد وقعت في السنة التاسعة وهو نفس العام الذي توفي فيه النجاشي مما يدل على أن الأوضاع السياسية في الحبشة بعد وفاة النجاشي كانت غير مستقرة، ولأنه إذا كان النجاشي موجوداً لما سمح لهؤلاء التجروء على الحدود الإسلامية وذلك للعلاقة الطيبة التي كانت بينه وبين المسلمين والله أعلم.

وقد حدثت واقعة مشابهة لها ففي السنة العشرين من التاريخ الهجري وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدث أن بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في البحر فأصيبوا فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أحداً أبداً(٢).

ويبدو أن هذه الغزوة هي الوحيدة من نوعها في عصر الخلافة الراشدة لأنه لم يوجد غزوات أخرى باسم الحبشة في كتب السير والمغازي أما قائدها فهو القائد نفسه الذي طرد الأحباش في عهد النبي ﷺ(٣).



(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك: الطبري، ج٢، ص٥١٧.

(٣) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٢٤٤.

المبحث الثالث

الحالة الاجتماعية

<u>ويشتمل على مطلبين :</u>

المطلب الأول: الحالة الاجتماعية للحبشة بوجه عام.

المطلب الثاني: الحالـة الاجتماعيـة للحبـشة في عهـد الـنبي ﷺبوجه خاص.

* * ** * *

المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية

أما الحالة الاجتماعية للأحباش فإن المطالب التالية ستوضح أحوال الأحباش بشكل عام ثم ما كانوا عليه في عهد النبي ﷺ بوجه خاص:



المطلب الأول:
الحالة الاجتماعية للحبشة بوجه عام

المجتمع الأفريقي مجتمع قبلي، ومعنى ذلك أن النظام القبلي يسيطر عليهم فعلاقات الأفراد والأسر والقبائل والشعوب تحكم بقواعد هذا النظام ومثل هذا النظام الاجتماعي الذي لم تؤسس قواعده على أساس صحيح، كثيراً ما يكون سبباً في فساد الحياة الاجتماعية حيث يسود التنازع والتناحر بين القبائل لأتفه الأسباب، وحيث تشيع صور من السلوك الاجتماعي غير السوي دون نكير، ويمثل الهوى مصدر القيم والموازين، فيوضع أقوام ويرفع آخرون تبعاً لذلك، وينقاد الناس لقيم وأعراف ما أنزل الله بها من سلطان فترهقهم وتعنتهم ولا يستطيعون الخروج منها[1].

ولقد كانت الحياة الاجتماعية للأحباش بدوية فلم تنضم بينهم المدن الكبرى استثناء من ذلك أكسوم وبعض المدن الساحلية، بل ينتشر السكان في مجتمعات قليلة لا يعدو كل مركز منها بضع بيوت على جانبي طريق ممتد[2].

وذلك لأن معظم الأحباش رحل يعيشون على الحالة البدائيه لا تستقر لهم قدم في مكان ولا يهنأون بغير التنقل، وإذا استثنيت بعض سكان المدن تجد أن الحبشي أشبه شيء بعربي البادية من حيث التنقل وعدم الاستقرار[3].

والحبشي شخص منطوٍ على نفسه لا يحب الاتصال بالغرباء، ولا يدخل في أوساطهم وينظر دائماً إلى الأجنبي نظرة الشك لأنه لا ينتظر منه إلا شراً، ولا يميل إلى اقتراف التجارة، أما بالنسبة لعاداتهم في الأفراح والأحزان فإن الأحباش لا يقصرون في مظاهر فرحهم فهم شعب يحب الغناء ويكثر من الضرب على الآلات بينما يصفق

----

(١) انظر الدعوة إلى الله: سيد محمد الشنقيطي، دار عالم الكتب، ص٣٠.

(٢) انظر تاريخ إثيوبيا: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٣.

(٣) انظر الحبشة: ياسين الحموي وداود التكريتي، مرجع سابق، ص٤٠.

الموجودون ويغنون، وكذلك فإن الأحباش لا يقصرون في مظاهر الحزن في المناسبات التي توجب ذلك كالوفاة إذ يصحبها في العادة الصياح والبكاء والندب وضرب الصدور، ويخرج الرجال والنساء لتشييع جنازة الميت والكل يصرخون ويضربون صدورهم بكفوفهم ضرباً متواصلا مؤلماً(١).

أما بالنسبة للزواج في الحبشة فإنه يتم على حسب ما يدين به الشخص من عقيدة، فالمسلمون يتزوجون وفق الشريعة الإسلامية، واليهود الحبشان يتزوجون طبقا لتقاليدهم، والوثنيون بحسب أعرافهم البدائية، وهذه الأعراف تنحصر بطقوس خاصة لا شأن لها، إلا أن الرجل يمكنه أن يتزوج عدة نساء ويجمع بينهن(٢).

وأما النصارى فإن لهم طرائق ثلاث في زواجهم:

١- الزواج العرفي: وهو السائد في الحبشة وينعقد باتفاق الزوجين من غير أن يحضر هذا الاتفاق شاهد من أهله أو من أهلها، ومن غير احتفال ديني أو أي إجراء مدني وهذا الزواج يحل بسهولة إذا ما رأى أحدهما أو كلاهما الطلاق(٣).

٢- الزواج المدني: ويعقد بحضور شهود قلوا أو كثروا أمام العمدة ويخص في العقد أملاك الزوج وأملاك الزوجة وينص فيه على طريقة قسمتها في حال الطلاق(٤).

٣- الزواج الكنسي: وهو نادر بين العامة، وغالب بين الخاصة من أمراء ورءوسٍ وعظماءَ، وهذا الزواج يربط الزوجين بأزواجهن برباط أبدي لا انفصام له، وحتى ولو أساءوا معاملتهن، لذلك ترفض الزوجات هذا الزواج رفضاً باتا(٥).

----

(١) انظر تاريخ إثيوبيا: زاهر رياض، مرجع سابق، ص١٧-١٩.

(٢) انظر الحبشة: ياسين الحموي وداود التكريتي، مرجع سابق، ص٧٩ بتصرف يسير.

(٣) انظر الحبشة: حسن محمد جوهر، ص٣١.

(٤) المرجع السابق: ص٣١.

(٥) المرجع السابق: ص٣٢.

كانت هذه أحوال الأحباش الاجتماعية بوجه عام أما عن أحوال الأحباش في العهد النبوي الشريف بوجه خاص فيمكن بيانها في المطلب التالي.

المطلب الثاني:
الحالة الاجتماعية للحبشة في عهد النبي ﷺبوجه خاص

فإنني لم أجد فيما اطلعت عليه ما يبين أحوالهم الاجتماعية في عهد النبي ﷺ ولكني سأذكر ما كان عليه الأحباش الذين كانوا يتواجدون في الجزيرة العربية فقد عرف عنهم الشجاعة والأمانة والوفاء والصبر هذه المميزات جعلت سادتهم يؤثرونهم ويرغبون فيهم ويفضلونهم على غيرهم من الرجال الشدائد وهي صفات يمتاز بها العنصر الحبشي عبر قرون التاريخ منذ القدم، فلما جاء الإسلام سارعوا في الدخول فيه وتحملوا الأذى والمصائب بقلوب كأنها قدت من حديد ومن أمثال ذلك بلال الحبشي، كما أن العرب كانوا يفضلون الجواري الحبشيات عن غيرهن من الأجناس الأخرى لأسباب كثيرة منها حسن خلقهن وآدابهن، ولكن أهمها كان لنجابة أولادهن، لأن العرب تقول إن نجابة الخال وخموله يؤثران في الولد وأن العرق ينزع ولذا كانوا يتخيرون الأمهات المنجبات دون غيرهن[1].

وقد ضربت أم أيمن[2] مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته أروع الأمثلة للمرأة الحبشية فقد قامت بالاهتمام بالنبي ﷺ بعد وفاة أمه آمنة، فأعتقها حين تزوج خديجة ،

---

(١) انظر إثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ، مرجع سابق، ص٢٦٥-٢٧٣.

(٢) أم أيمن مولاة النبي ﷺ وحاضنته، اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، وكان يقال لها أم الظباء، وكانت لأم رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يقول أم أيمن أمي بعد أمي، وقال أبو نعيم قيل كانت لأخت خديجة فوهبتها للنبي ﷺ وقال ا بن سعد قالوا كان ورثها عن أمه فأعتقها رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة وتزوج عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج أم أيمن فولدت له أيمن فصحب النبي ﷺ فاستشهد يوم خيبر وكان زيد بن حارثة لخديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة فولدت له أسامة، كان رسول الله ﷺ يقول لأم أيمن يا أمه، وكان إذا نظر إليها يقول هذه بقية أهل بيتي، ماتت أم أيمن في خلافة عثمان رضي الله عنهم أجمعين.انظر الإصابة، مرجع سابق، ج٤، ص٤٣٢-٤٣٤.

وكان عليه الصلاة والسلام يكرمها ويمازحها، وكان أبو بكر وعمر { يزورانها بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقد حضرت أحد وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى، وشهدت حنيناً وتوفيت في خلافة عثمان وقيل في خلافة أبي بكر { [(١)].

كانت أم أيمن نموذجاً لما امتازت به المرأة الحبشية، فقد قامت بحضانة أشرف الخلق وأفضلهم عليه الصلاة والسلام، وهناك من الشخصيات الحبشية الذي كان له السبق في احتضان الإسلام، فقد كان النجاشي مثالاً لما امتاز به الأحباش فقد عرف عنه العدل والشجاعة والكرم، فقد استضاف المسلمين في بلاده ووفر لهم الأمن والاستقرار طوال فترة بقائهم، كما عمل على تجهيزهم حين أرادوا مغادرة بلاده وتولى مهمة تزويج النبيﷺ من أم حبيبة < [(٢)]. وفي الفصول القادمة سوف يتم التعريف بهذه الشخصية العظيمة.

وليس هؤلاء الأحباش الذين جاء ذكرهم فحسب بل هناك كثير منهم وما هؤلاء إلا نماذج لما كان عليه الأحباش وتصويراً لبعض أحوالهم الاجتماعية في عهد النبيﷺ، ويمكن القول بأن هؤلاء الأحباش عاشوا بجوار النبيﷺ وساهموا في خدمة الإسلام والجهاد في سبيل الله ومنهم من تطوع لخدمة الرسول ﷺ[(٣)].

ومن مظاهرهم الاجتماعية حبهم للعب بالحرابة، فقد كانوا في عهد النبي ﷺ يلعبون بالحرابة في أيام العيد فقد ورد عن عائشة < أنها قالت: "والله لقد رأيت رسول اللهﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف

----

(١) انظر تنوير الغبش في فضل السودان والحبش: ابن الجوزي، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الشروق، ط١، ص١٤٩.

(٢) صفوة الصفوة: لابن الجوزي، تحقيق، محمود فاخوري، خرج أحاديثه، محمود قلعجي، دار المعرفة، ج٢، ص٤٣، ٤٤.

(٣) انظر إثيوبيا والعروبة والإسلام: مرجع سابق، ص٢٧٢وص٢٨٩.

فاقدروا قدر الجارية الحديثة السِّنِّ حريصة على اللهو "[١].

ويمكن القول بأن الحالة الاجتماعية للأحباش قد تغيرت مع مرور الزمن، إذ إنه من المعروف بأن الحبشة لم يفتحها المسلمون وإنما دخلها الإسلام حين هاجر إليها بعض من أصحاب النبيﷺ وكما أن المهاجرين قد عملوا على نشر الإسلام بين أهلها فكان من الطبيعي أن يهذب الإسلام أخلاقهم، فعمل على تطوير حياتهم الاجتماعية وأدخلهم في إطار الأخوة الإسلامية[٢].



---

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب سماع الغناء واللعب في يوم العيد، ج١، ص٧٤٩، ٧٥٠، حديث رقم (٢٠١٩).

(٢) انظر الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص٤٩ بتصرف.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

دوافع الهجرة إلى الحبشة

وفيه أربعة مباحــث : -

المبحث الأول : موقف قريش من الدعــوة.

المبحث الثاني : البحث عن أماكن آمنة للدعوة.

المبحث الثالث : تحقيق عالميـــة الدعوة.

المبحث الرابع : أمر الرسول ﷺ المسلمين بالهجـرة للحبشة.

* *   * ** *   * *

المبحث الأول

موقف قريش من الدعوة

<u>ويشتمل على خمسة مطالب</u> :

المطلب الأول: الجهر بالدعوة.

المطلب الثاني: دار الأرقم بن أبي الأرقم.

المطلب الثالث: الأساليب التي استخدمها كفار قريش في مواجهة الدعوة.

المطلب الرابع: أسباب كفر قريش وعدم إيمانها.

المطلب الخامس: حكمة الكف عن القتال في مكة.

* *   * *   * *

المبحث الأول: موقف قريش من الدعوة

اقتضت سنة الله ﷻ أنه ما أرسل الله من رسول إلى أمة إلا كان التكذيب قال ﷻ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾[1].

وما من نبي أرسله الله إلا وقد ناله الأذى هو وأتباعه، فالنبي ﷺ حين جاء بالوحي من عند الله كان موقف قريش من هذه الدعوة أن منهم من آمن وصبر وتحمل وهاجر في سبيل هذه الدعوة، ومنهم من كفر ووكذب وتكبر ووقف في وجه هذه الدعوة وقام بإيذاء النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وفي المطالب التالية سيتم توضيح موقف قريش من الدعوة.



---

(١) سورة فاطر: الآية (٤).

المطلب الأول:
الجهــر بالدعــوة

بعد نزول الوحي على النبي ﷺ، أقام النبي ﷺ يدعو إلى الله سبحانه وتعالى مستخفياً، وكان لا يظهر دعوته إلا لمن يثق به.

ثم تتابع دخول الناس في الإسلام من الرجال والنساء، واستمر عليه الصلاة والسلام يدعو الناس إلى الإسلام سراً حتى نزل عليه الأمر بالصدع بالدعوة والإعراض عن المشركين.

فأعلن النبي ﷺ دعوته ثم أمره الله سبحانه وتعالى أن يدعو أهله وأقاربه وأن يخفض جناحه لمن استجاب لدعوته وآمن.

قال ابن إسحاق ~ : "ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاء به، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إلى الله تعالى، وكان ربما أخفى الشيء، واستتر به إلى أن أمر الله بإظهاره، فلبث سنين من مبعثه.

ثم قال الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ [1] بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ "[2][3].

قال ابن كثير ~ : "مازال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت (فاصدع بما تؤمر) فأمر الله رسوله ﷺ بإبلاغ ما بعثه به وإنفاذه والصدع به وهو مواجهة المشركين"[4].

---

(١) الصاد والدال والعين أصل صحيح يدل على انفراج في الشيء، وصدع بالحق تكلم به جهاراً وفي التنزيل: فاصدع بما تؤمر، أي أظهر ما تؤمر به ولا تخف أحداً، أخذ من الصَّديع وهو الصبح، وقال الفراء أراد عز وجل فاصدع بالأمر أي أظهر دينك. انظر: لسان العرب: لابن منظور مرجع سابق، ج٤، ص٢٣، وانظر معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، مرجع سابق، ج٣ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) سورة الحجر: الآية(٩٤).

(٣) السير والمغازي: لابن إسحاق، مصدر سابق، ص١٤٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٥٧٩.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

عَنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا[(٢)] فَهَتَفَ " يَا صَبَاحَاهْ فَقَالُوا مَنْ هَذَا فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ قَالَ: أَبُو لَهَبٍ[(٣)] تَبًّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلاَّ لِهَذَا ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾"[(٤)] [(٥)].

عَنْ عَائِشَةَ < قَالَتْ: "لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: "يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مالي مَا شِئْتُمْ"[(٦)].

لقد تبين الموقف العدائي للدعوة منذ الوهلة الأولى من إعلان الرسول ﷺ الجهر بالدعوة، فعندما بدأ الرسول ﷺ دعوته كان من الطبيعي أن يبدأ بعشيرته الأقربين

---

(١) سورة الشعراء: الآية (٢١٤، ٢١٥).

(٢) الصفا: مكان مرتفع عند باب المسجد الحرام، وهو يشكل جزءاً من جبل أبي قبيس. انظر تهذيب الأسماء واللغات: النووي، إدارة الطباعة الميزيه، ج١، ص١٨١.

(٣) اسمه عبد العزَّى، يكنى، أبا لهب، أمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن جُشيه بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي، توفي بعد معركة بدر بأيام، ولم يشهدها مع المشركين. انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٩١، وانظر السيرة النبوية لابن كثير،ج١،ص(٤٦١).

(٤) سورة المسد: الآية (١-٥).

(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب "وأنذر عشيرتكَ الأقربين" ج٦، ص٤٧٦، حديث رقم (١١٩٤) وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب قوله تعالى "وأنذر عشيرتكَ الأقربين"ج١، ص٢٣٤، ٢٣٥ حديث رقم (٤٢٨).

(٦) صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب "وأنذر عشيرتك الأقربين"ج١، ص٢٣٣،حديث رقم (٤٢٣).

وأهل بيته فمنهم من آمن به ومنهم من كفر وأخذ في مواجهته وإيذائه ﷺ ومنهم من لم يؤمن به لكنه ناصره ومنعه وأخذ يدافع عنه ضد من بارزه بالعداء والإيذاء فها هو أبو لهب يعلنها صراحة منذ الوهلة الأولى من الدعوة برفضه هذه الدعوة بل قام بمحاربتها بشتى الطرق وها هو عمه أبو طالب لم يؤمن بدعوته ﷺ لكنه ناصره وأخذ يدافع عنه طيلة حياته.

والمقصود أن النبي ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصده عن ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، حتى دخل الناس في الإسلام الواحد تلو الآخر، وقد كان النبي ﷺ في منعة من عمه أبي طالب الذي كان يحبه ويحنو ويحامي عليه لأن الله قد امتحن قلبه بحبه حباً طبيعياً لا شرعياً(١).

أما آحاد المسلمين فقد لقوا الأذى الكثير من كفار قريش حتى حدثت بعض المواجهات بينهم ومن هنا جاءت فكرة البحث عن مكان آمن يجتمع فيه رسول الله ﷺ مع أصحابه يعلمهم شعائر دينهم ويتلو عليهم ما يتنزل عليه من القرآن، فوقع اختياره ﷺ على دار الأرقم(٢) مقراً آمناً يجتمع فيه رسول الله ﷺ مع أصحابه بعيداً عن أنظار كفار قريش.



---

(١) انظر البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٢ بتصرف.

(٢) دار الأرقم: تقع هذه الدار عند جبل الصفا، قرب المسجد الحرام على يسار الصاعد إلى الصفا، ويبدو أنه كان في مكان ما على سفح جبل الصفا يسمح له بالإشراف على ما حوله، فقد كان الدار يقع في ربع بني عائذ من بني مخزوم، وهي الآن المعروفة بدار الخيزران اشتراها الخليفة المنصور وأعطاها ولده المهدي ثم أعطاها المهدي للخيزران أم ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد.انظر السيرة الحلبية: علي برهان الحلبي، المطبعة المصرية، ط١، ج١، ص٣-٩، وانظر قراءة جديدة في العهد المكي: رعد محمد البرهاوي، مرجع سابق، ص٨، ٩.

المطلب الثاني:
دار الأرقم بن أبي الأرقم[1] رضي الله عنه

تذكر كتب السيرة أن النبي ﷺ، اتخذ من دار الأرقم مقراً له يجتمع فيه مع أصحابه رضي الله عنهم وذلك بعد المواجهة التي حدثت بين سعد بن أبي وقاص[2] رضي الله عنه مع نفر من المشركين فقد ذكر ابن إسحاق ~ أن أصحاب النبي ﷺ كانوا إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعاب يستخفون بصلاتهم عن قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع نفر من أصحاب النبي ﷺ يصلون في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين، فأنكروا عليهم صنيعهم وعابوهم، حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً منهم بلحي بعير فشجه فكان أول دم أهريق في الإسلام[3]، ومن ذلك أصبحت دار الأرقم مقراً سرياً للدعوة يجتمع فيه النبي ﷺ مع المسلمين.

وكان لاختيار النبي ﷺ دار الأرقم مقراً لتعليم من أسلم أمور دينهم أسباب منها:

السبب الأول: أن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه، فما كان يخطر ببالهم أن يتم

----

(١) الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه: اسمه عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم يكنى أبا عبد الله صاحب النبي ﷺ، ومن السابقين الأولين، شهد بدرا توفي في خلافة معاوية سنة ٥٥هـ، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم.انظر الإصابة: مرجع سابق، ج٢، ص١٩٧، ١٩٨، وانظر سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٩.

(٢) سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، يكنى أبو إسحاق، أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أميه، كان سابع سبعة في الإسلام، وأحد العشرة وآخرهم موتاً، وكان مجاب الدعوة، وهو أول من رمى سهما في سبيل الله، واختلف في وفاته.انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر بن عبد البر، بتحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ج٢، (ص٦٠٦-٦١٠)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة: مرجع سابق، ج٢، ص٣٣، ٣٤.

(٣) انظر السيرة النبوية: لابن هشام: مرجع سابق ج١، ص٢١١.

لقاء محمد ﷺ وأصحابه بداره[1].

السبب الثاني: أن الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم، فلو كان الأرقم معروفاً بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره، لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو[2].

السبب الثالث: أن الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه، كان فتى عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم يفكر كفار قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر في بالهم أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار، من أصحاب محمد ﷺ، بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه رضي الله عنهم أو بيته هو نفسه عليه الصلاة والسلام، فقد يخطر على ذهنهم أن يكون مكان التجمع الأغلب في أحد دور بني هاشم أو في بيت أبي بكر الصديق، أو في بيت عثمان بن عفان رضي الله عنهم أو غيرهم[3].

وأضف نقطة رابعة وهي:

أن المتأمل في موقع الدار يجدها أنها تقع عند الصفا وهذا الموقع يقع في قلب قريش ومكان اجتماعها فلا يخطر على أذهانهم أن النبي ﷺ يلتقي مع أصحابه رضي الله عنهم خفية في تلك الدار القريبة منهم والله أعلم.

ومن أجل هذا نجد أن اختيار هذا البيت كان في غاية الحكمة من الناحية الأمنية، ولم نسمع أبداً أن قريشاً داهمت ذات يوم هذا المركز وكشفت مكان اللقاء، إنما كان أقصى ما وصلت إليه هو شكها أن يكون اللقاء في دار عند الصفا[4].

وإن دل ذلك على شيء، إنما يدل على ما كان يتمتع به عليه الصلاة والسلام من الحكمة

---

(١) انظر المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير الغضبان، دار الوفاء، ص٣٨.

(٢) انظر المرجع السابق: ص٣٨.

(٣) انظر المرجع السابق، ص٣٩.

(٤) انظر المرجع السابق: ص٣٩.

والتدبير والدقة في اختيار المكان الآمن لأصحابه إذ كان عليه الصلاة والسلام يسعى بكل جهده من أجل حماية أصحابه رضي الله عنهم، وكان من الحكمة أن لا يجتمع بهم إلا سراً، لأنه لو اجتمع بهم علناً فلا شك أن المشركين يحولون بينه وبين ما يريد من تزكية المسلمين وتعليمهم الكتاب والحكمة، وربما يفضي ذلك إلى مصادمة بين الفريقين، كالتي حصلت بين سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ونفر من المشركين، ومن المعلوم أن المصادمة لو تعددت لأدى ذلك إلى عرقلة الدعوة في مهدها فكان من الحكمة الاختفاء، فكان عامة الصحابة يخفون إسلامهم وعبادتهم، واجتماعهم، أما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين ظهراني المشركين لا يصرفه عن ذلك شيء[1].

واستمر النبي ﷺ في دعوته وقد ظن كفار قريش بادىء الأمر أن هذه الدعوة مقتصرة على أقاربه عليه الصلاة والسلام من بني هاشم وبني عبد المطلب، فكانوا غير منكرين، لما يقول، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أن غلام بني عبد المطلب يُكلم من السماء فكان ذلك حتى عاب آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وذكر هلاك آبائهم الذين كانوا على الكفر، ومن هنا بدأت عداوة كفار قريش للنبي ﷺ.

قال ابن إسحاق ~ : " فلما بادئ رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون، وحدب[2] على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، مضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره، لا يرده عنه شيء[3].

فلما رأى كفار قريش أن النبي ﷺ مستمر في دعوته ولا يكف عن سب

---

(١) انظر الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، دار ابن كثير، ط٨، ص٩٨بتصرف.

(٢) عطف وأشفق. انظر معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج٢، ص٣٦.

(٣) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢١١، ٢١٢.

آلهتهم[1]، وتسفيه أحلامهم وأن عمه مانعهم، أجمعوا على معاداته وخلافه، واتخذوا في ذلك كافة الأساليب في محاربته وهذا ما سيتم بيانه في المطلب التالي.



---

(١) قال ابن القيم ~ : "لم يكن رسول الله ﷺ سباباً ولا شتاماً ولا فحاشاً، وإنما كان ينفي عن آلهة المشركين ما كانوا يتوهمون لها من صفات لا تليق إلا بالله سبحانه، ويصفها بما وصفها الله في قوله: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) جزء من الآية (١٩٤)

وقوله: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ سورة النساء: (آية ١١٧)

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ سورة الأعراف: (آية: ١٩٧)، وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ سورة يونس: (آية: ٦٦).

وغير ذلك مما أنزله الله عليه في تعرية آلهتهم المزعومة مما كانوا يعتقدون" زاد المعاد: لابن قيم الجوزية: مرجع سابق، ج٣، ص١٣.

المطلب الثالث: الأساليب التي استخدمها كفار قريش في مواجهة الدعوة

استمر النبي ﷺ في دعوته لا يرده عن ذلك شيء، وأخذ يدعو الناس إلى الإسلام حتى انتشر ذكر النبي ﷺ وكان عليه الصلاة والسلام ينكر ويعيب على المشركين عبادتهم للأصنام وأنها لا تضر ولا تنفع، وأن ما يفعلونه يخالف ما كانت عليه الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام فاستاء المشركون لما كان يقوله عليه الصلاة والسلام من سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم فأجمعوا على عداوته ومحاربته ففكروا في التماس طرق للصد عنها، وكان في مقدمة محاولتهم الذهاب إلى عمه أبي طالب ومفاوضته في شأن ابن أخيه.

أ- مفاوضة كفار قريش أبى طالب في أمر الرسول ﷺ :

عندما رأى كفار قريش أن الرسول ﷺ ماضٍ في دعوته ومصر عليها، ولا يعيرهم أي اهتمام في صدِّهم وتكذيبهم له وأن عمه أبا طالب قد أحاطه بحمايته، عند ذلك مشوا إليه وطلبوا منه أن يكف ابن أخيه عنهم، وأن يترك ما يقوم به من سب آلهتهم وتسفية أحلامهم وعيب دينهم قال عقيل ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو شاهد عيان مشارك في الحدث: "جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا. فقال: يا عقيل، انطلق فائتني بمحمد ﷺ فانطلقت إليه، فاستخرجته من كنس أو قال خنس -يقول بيت صغير - فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: (ترون هذه الشمس)؟ قالوا: نعم.قال: (فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منه بشعله). فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا"[1].

---

(١) البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٤.

قال الألباني: هذا إسناد حسن، رجاله كلهم رجال مسلم وفي يونس بن بكير وطلحة بن أبي يحيى كلام لا يضر وقد تابعه عبد الواحد بن زياد: نَّا طلحة بن يحيى به.

=

لقد كان لأبي طالب موقف نبيل خالف فيه المشركين وظل يدافع عن ابن أخيه بكل غالٍ ورخيص، إلا أن لهذا الموقف النبيل لأبي طالب جعله يقع في حرج وحيرة، فكفار قريش يطلبون منه التخلي عن مناصرة ابن أخيه وإلا سوف يقومون على عداوته هو وابن أخيه، فكان لابد من أبي طالب أن يختار أحد الأمرين.

الخيار الأول: أن يستمر في نصرة رسول الله ﷺ وحمايته، ومن ثم يفارق قومه وعشيرته التي يعتز بها ويفتخر بقوتها، وسؤددها والذي هو واحد من زعمائها وكبير أشرافها.

الخيار الثاني: أن يخذل رسول الله ﷺ ، فيسلمه لهم يفعلون به ما شاؤوا، ليرضى عنه قومه وعشيرته، ويسلم من مفارقتهم وعداوتهم وهذا أمر لا يتناسب مع شرفه ومركزه الاجتماعي في الوسط القبلي، فما كان من أبي طالب إلا أنه أبى خذلان ابن أخيه واستمر في نصرته وحمايته وظل يدافع عنه طيلة حياته، إلا أنه استمر على دين قومه ولم يسلم، وقد كان ذلك لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

لقد فشل كفار قريش في مفاوضتهم مع أبي طالب من أجل التخلي عن ابن أخيه فعمدوا إلى اتخاذ أسلوب آخر ألا وهو التعجيز.

ب- طلب المعجزات[1]:

لقد يئس كفار قريش من مواجهة الدعوة والتي استخدموا طرقاً شتى لإجهاضها، فقد أكل الحقد قلوبهم حين رأوا المسلمين يتزايدون يوماً بعد يوم، وقفوا

= أخرجه الطبراني (من معجم الأوسط) ج١، ص٨٧١٧ وج٢، ص٢٤١ .

وعبد الواحد بن زياد ثقة محتج به في الصحيحين فهو متابع قوي ليونس بن بكير.

(١) المعجزة هي: "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، انظر الإتقان في علوم القرآن، : للسيوطي، دار الفكر، بيروت، ج١، ص١١٦.

عاجزين أمام هذه الدعوة، ولكن ماذا عسى أن يفعلوا هذه المرة بعد أن باءت محاولاتهم في إقناع عمه بالتخلي عنه ﷺ بالفشل، ففكروا هذه المرة في طلب شيء من الرسول ﷺ يعجز عن إنفاذه في رأيهم ونسي هؤلاء أو تناسوا بأن محمداً عليه الصلاة والسلام لديه رب ينصره عليهم ويؤيده بما شاء الله من المعجزات.

لقد شاء الله سبحانه وتعالى أنه ما يرسل من رسول إلا ويؤيده بالمعجزات الدالة على صدق نبوته، وهذه المعجزات التي يجريها الله على يد رسله لابد أن تكون فوق مقدور البشر ولا يستطيعون الإتيان بمثلها، فكفار قريش عندما طلبوا من النبي ﷺ هذه المعجزات لم يكن على سبيل الهداية والرشاد وإنما على سبيل العناد والتكبر لهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه مالوا ورغبوا لعلم الله سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادو لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولظلوا في غيهم، وضلالهم يترددون.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾(1)

قال ابن عباس رضي الله عنه: "قالت قريش للنبي ﷺ: ادعو لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بكَ قال: (وتفعلون؟) قالوا: نعم. قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربكَ عز وجل يقرأ عليكَ السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً. فمن كفر بعد ذلكَ منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين، وإن شئتَ فتحت لهم باب التوبة والرحمة؟

قال: بل باب التوبة والرحمة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾(2)".

---

(١) سورة يونس: االآية (٩٦، ٩٧).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٥٩).

لقد شاءت حكمة الله ﷻ أن لا يجاب كفار قريش ما سألوا، حتى لا يصيبهم ما صاب الأمم من قبلهم لعلمه ﷻ أنهم إذا أجابوا ما سألوا لن يؤمنوا فيهلكوا كما أهلك من قبلهم. وهو الذي أرسل نبيه محمدﷺ رحمة للعالمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾(1).

وأمام إلحاح المشركين وعنادهم استجاب لهم فسألوه أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر. "عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، ﷺ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ."(2)

"وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﷺ، أَنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ"(3).

وقد نقل ابن كثير ~ : "إجماع المسلمين على وقوع هذه المعجزة، في زمنه عليه الصلاة والسلام وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع "(4).

وقد خلَّد القرآن هذه المعجزة فقال ﷻ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾(5).

فلو أن ذلك لم يحصل (معجزة انشقاق القمر)لتشكك المسلمون في دينهم وخرجوا منه، ولقال الكفار: إن محمداً يكذب علينا فما انشق القمر ولا رأينا شيئاً من

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب انشقاق القمر، ج٥، ص١٢٦ حديث رقم (٣٧٤) وصحيح البخاري: كتاب التفسير، باب وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا" ج٦، ص٥٢١، حديث رقم (١٢٩٢) وصحيح مسلم :كتاب التوبة، باب انشقاق القمر ج٤، ص٤٨٣ حديث رقم (٧١٧٨).

(٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ج٥، ص١٢٧، حديث رقم (٣٧٦) وصحيح البخاري: كتاب التفسير، باب (وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا) ج٦، ص٥٢١، حديث رقم (١٢٩٢)، وصحيح مسلم: كتاب التوبة، باب انشقاق القمر، ج٤، ص٤٨٤، حديث رقم (٧١٨١).

(٤) البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٣.

(٥) سورة القمر: الآية (١).

ذلك، ولكن الذي حدث زاد المؤمنين إيماناً، وتحير الكافرون أمام هذه المعجزة التي ما يملكون سوى أن يفسروها بأنها سحر مستمر[1].

وقد أثبت العلم الحديث وقوع هذه المعجزة التي كانت سبباً في إسلام الاقتصادي السياسي البريطاني، داود موسى بيكوك وشكل حزباً إسلامياً في بريطانيا بعد إسلامه وهو الآن رئيس هذا الحزب، وقد كان سبب إسلامه ما ذكره ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكان في وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) على شاشة التلفزيون البريطاني، أنهم كانوا يدرسون التركيب الداخلي للقمر فوجدوا حقيقة أبهرتهم وذلك بأنهم اكتشفوا أن القمر قد انشق في يوم من الأيام ثم التحم وقد عرفوا ذلك بسبب وجود حزام من الصخور المتحولة بقطع القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه، فاستشاروا علماء الأرض والجيولوجين فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد حدث إلا إذا كان هذا القمر قد انشق ثم التحم، ولما سأل المسلمين عن تاريخهم وهل سجل لديهم حادث انشقاق القمر وعرف منهم الجواب أعلن إسلامه[2].

لقد أجرى الله ﷻ هذه المعجزة العظيمة على يد نبيه محمد ﷺ لتؤكد على صدق نبوته وأنزل فيها قرآنا يتلى آناء الليل وأطراف النهار، ويسخر الله ﷻ هؤلاء الأمريكان الذين ينفقون آلاف الدولارات لاكتشاف هذه المعجزة التي حدثت قبل ألف وأربعمائة سنة والتي جاء خبرها في القرآن الكريم، ليؤكد للعالمين عظم هذا الدين الحق وليعكف المسلمون على هذا القرآن الذي به من الآيات والإعجاز ما تعجز عنه الأفهام والألسنة.

ومع هذه المعجزة الباهرة التي شاهدها كفار قريش مشاهدة العيان لووا رؤوسهم وأخذوا يصدون وهم مستكبرون، فقد بين الله ﷻ أنه مهما أنزل عليهم من

---

(١) انظر بينات الرسول ﷺ ومعجزاته: عبد المجيد الزنداني، بمساعدة عبد الله الجودة وآخرون، مركز البحوث بجامعة الإيمان، ط١، ص٢٢٧.

(٢) انظر بينات الرسول ومعجزاته: عبد المجيد الزنداني، مرجع سباق، ص٢٤٩ بتصرف.

الآيات الدالة على عظمته ﷻ والتي تدل على صدق نبيه عليه الصلاة والسلام فما هم بمؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾[1].

لقد أيد الله نبيه محمداً ﷺ بالكثير من المعجزات كانشقاق القمر، وتكثير الطعام، ونبع الماء من بين أصابعه وغيرها، ومع هذه المعجزات الباهرات كان موقف كفار قريش من الدعوة موقف العناد والتكبر والتعالي عن الحق وعدم الإيمان، ولم يعترفوا بها، بل اقترحوا معجزات أخرى من عند أنفسهم، إلا أن الله يفعل ما يشاء، ولذلك لم يجيبهم الله إلى ما طلبوا.

الحكمة في أنهم لم يجابوا لما طلبوا لأنهم لم يسألوا مسترشدين وجادين، وإنما سألوا متعنتين ومتسهزئين، وقد علم الله سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما طلبوا لما آمنوا، وللجّوا في طغيانهم يعمهون ولظلُّوا في غيهم وضلالهم يترددون: قال الله ﷻ: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾[2].

ولذا قضى الله ﷻ، ألا يجابوا إلى ما سألوا، لأن سننه سبحانه، أنه إذا طلب قومٌ آيات فأجيبوا، ثم لم يؤمنوا عذبهم عذاب الاستئصال كما فعل بعاد وثمود وقوم فرعون وغيرهم، وليس أدل على أن القوم كانوا متعنتين متكبرين من أن عندهم القرآن، وهو آية الآيات وبينة البينات، ولذلك لما سألوا ما اقترحوا من هذه الآيات وغيرها ردَّ عليهم[3] سبحانه بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ

(١) سورة الأعراف: الآية (١٣٢).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٠٩-١١١).

(٣) انظر السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٣، ج١، ص٣١، ٣٢.

يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾[1].

لقد كان هدف زعماء كفار قريش من تلك المطالب، هو شن حرب إعلامية ضد الدعوة والداعية، وتآمرا على الحق، كي تبتعد القبائل العربية عنه ﷺ، لأنهم يطالبون بأمور يدركون أنها ليست طبيعة هذه الدعوة، ولهذا أصروا عليها، بل لقد حرصوا بأن لو تحقق شيء من ذلك، فلن يؤمنوا أيضاً بهذه الدعوة. وهذا كله محاولة منهم لإظهار عجز الرسول ﷺ واتخاذ ذلك ذريعة لمنع الناس عن اتباعه[2].

ومن الحكم كذلك في عدم إجابة ما طلبوا أن الله ﷻ أكرم هذه الأمة بنبيها ﷺ إذ أرسله رحمة للعالمين فبه رفع الله ﷻ عن هذه الأمة عذاب الاستئصال في الدنيا.

قال السهيلي ~ : "إن التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من إزالة الجبال عنهم، وإنزال الملائكة يوجب في حكم الله ألا يلبث الكافرين بها، وأن يعاجلهم بالنقمة، كما فعل بقوم صالح وبآل فر عون، فلو أعطيت قريش ما سألوا من الآيات وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا، ولكن الله أكرم محمداً في الأمة التي أرسله إليهم، إذ سبق في علمه أن يكذب به من يكذب ويصدق به من يصدق وابتعثه رحمة العالمين بر وفاجر، أما البر فرحمته إياهم في الدنيا والآخرة، وأما الفاجر فإنهم أمنوا من الخسف والغرق، وإرسال حسبان عليهم من السماء"[3].

كما أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية فلا يخاطب بتعاليمها أشخاص بأعينهم، قصروا عقولهم على الجانب المادي، فلو آمنوا عن طريق تلك الخوارق والآيات

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٥٠-٥٢).

(٢) انظر الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي: علي رضوان أحمد الأسطل دار المنار الأردن، ط١، ص٤٠-٥١.

(٣) الروض الأنف: للسهيلي، مرجع سابق، ج٢، ص٤٦.

فحسب فما شأن الأجيال التي ستأتي بعدهم على مر العصور وتعاقب الأجيال[١].

وقد أراد الله تعالى أن يكون الإيمان بهذا الدين عن غير هذا الطريق، أن يكون بهذا القرآن المعجز، وبما يدعو إليه هذا القرآن، عن طريق الحوار والإقناع الذي يملكه المسلمون في شتى أعصارهم وأمصارهم، لأنه خاتمة الكتب، ولأنه لكل جيل ولكل زمان، ولكل مكان.. ومعجزة هذا الدين تتحقق يوم يحكم في هذه الأرض بأناس قد تربوا عليه، وعاشوا له وماتوا في سبيله، يومها يتم التحول العجيب في دنيا الناس فيخرجون من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة[٢].

لم يكتفِ كفار قريش بهذا بل أرادوا أن يمتحنوا النبي ﷺ بأن يسألوه عن أشياء حدثت في الماضي بقصد إحراجه والتشهير به بأنه غير صادق تعالى الله عما يقولون ولكن هذه المرة استعانوا بأحبار اليهود، فبعثوا النضر بن الحارث[٣] ومعه عقبة بن أبي معيط[٤] فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم

---

(١) انظر عالمية الدعوة الإسلامية والتحديات الموجهة إليها في الفترة المكية، عماد محمد عمارة يس، ط١، مكتبة عباد الرحمن، ص٢١.

(٢) انظر فقه السيرة النبوية: منير الغضبان، دار الوفاء، ط١، ص١١٨، ١١٩.

(٣) النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، أحد أعداء الله، قُتل يوم بدر كافراً، قتله علي بن أبي طالب صبراً عند رسول الله ﷺ بالصفراء. انظر جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ص١٢٦.

(٤) عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، كان سيداً كثير المال جواداً، مطعم ابن مطعم، قتل يوم بدر كافراً قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح صبراً. انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٢٦٦ وانظر جمهرة أنساب العرب: لابن حزم، مرجع سابق، ص٨٠

يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي، فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبي، وإن لم يفعل، فهو رجل متقوِّل، فاصنعوا في أمره ما بدالكم فأقبل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم.

فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجيبة، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يستثنِ، فانصرفوا عنه فمكث رسول الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليله لا يُحدث إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى حزن رسول الله ﷺ فمكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله ﷻ بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الله، الفتية:، والرجل الطواف، والروح قال ابن إسحاق ~ : "فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبريل حتى سئوت ظناً، فقال له جبريل: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[1]. [2]

وقد نزلت الآيات على النبي ﷺ جوابا لما سألوه فأما سؤالهم عن الفتية، فقد نزل

(١) سورة مريم: الآية (٦٤).

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٠-٢٤٤.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ
إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ
نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟
رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ
أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ
ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ
وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ
ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ
بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم
بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ
يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ
قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ
وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾(1).

وقد ذكر ابن كثير ~ في تفسير قصة أصحاب الكهف، والذي مفاده أن هؤلاء الفتية كانوا مؤمنين وقد أنكروا صنع قومهم الذين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فاعتزلوهم واتخذوا لهم معبداً يعبدون فيه الله فلما عرف قومهم بذلك

---

(١) سورة الكهف: الآية (٩-٢٢).

أرسلوا إلى ملكهم الذي عرضوا عليه الإيمان بالله فأبى وتهددهم وتوعدهم، وكان من لطف الله بهم أن هداهم إلى الهرب منه والفرار بدينهم، فآووا إلى الكهف، وهذا المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد خوفاً على دينه(١)، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شعف الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ"(٢).

لقد أنزل الله ﷻ هذه الآيات والذي ذكر فيها قصة هؤلاء الفتية يلفت نظر النبي ﷺ على مشروعية الهجرة وإرشاداً للمؤمنين على الطريق السليم الذي ينبغي أن يسلكوه عند خوف الفتنة في الدين، وأن لا سبيل لهم في مواجهة كفار قريش، لذلك حرص النبي ﷺ عن البحث عن مكان آمن لأصحابه يقيمون فيه شعائر دينهم ويقومون بواجب الدعوة إلى الله خارج مكة لذلك أمرهم بالهجرة إلى الحبشة وسيأتي بيان ذلك في موضعه، ونزل قوله تعالى، فيما سألوه عن الرجل الطواف: قال تعالى:
﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ
فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ
فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ
مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا
سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن
دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق، ج٣، ص٨٧-٩٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ج٤، ص٥٧٥، ٥٧٦ حديث رقم (١٤٦٠).

ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾(1).

أنزل الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ هذه الآيات والتي بها خبر الرجل الذي طاف مشارق الأرض ومغاربها، وقد أثنى الله ﷻ عليه، وقد كانت هذه الآيات جواباً لما سأله قومه عن خبر ذلك الرجل، وكانت هذه الآيات بشارة للمؤمنين الصالحين فإن الله ﷻ ينصرهم على عدوهم، فقد سخّر الله ﷻ ذو القرنين لنصرة القوم الذين استنجدوا به من الأذى الذي كانوا يلقونه من قوم يأجوج ومأجوج فبنى لهم السد كذلك فإن الله ﷻ سخر للمهاجرين إلى الحبشة ذلك الملك العادل الذي وجدوا عنده المكان الآمن لدعوتهم وإقامة شعائر دينهم.

وما زال السياق القرآني يتنزل على الرسول ﷺ ونزل قوله تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح. ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾(2).

عَنْ عَبْدِ الله ﷺ، قَالَ: " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ، عَنِ الرُّوحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ تَسْأَلُوهُ لاَ يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَنَسْأَلَنَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسَكَتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقُمْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ قَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾(3).

فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقه فيما حدَّث، وموقع

---

(1) سورة الكهف، آية (84-98).

(2) سورة الإسراء: آية (85).

(3) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب قوله تعالى: " وما أوتيتم من لعلم إلا قليلاً "ج1، ص125، 126 حديث رقم (123).

نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوا عنه، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه، فعتوا على الله وتركوا أمره عياناً، ولجوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون أي اجعلوه لغواً وباطلاً، واتخذوه هزواً لعلكم تغلبونه بذلك فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم(١).

ج - الإدعاء بأن القرآن أساطير الأولين:

لقد قام كفار قريش بصرف الناس عن هذه الدعوة فقاموا بالتشكيك حول هذه الدعوة وتشويه تعاليمها، وبث الدعايات الكاذبة حولها، ذلك بأنهم ادعوا بأن القرآن أساطير الأولين، وزعموا أن هذا القرآن مفترى، وأن الرسول ﷺ قد استعان بقوم آخرين.

قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾(٢).

قال ابن كثير ~ : "وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته يعلم كل أحد بطلانه، فإنه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمداً ﷺ لم يكن يعاني شيئاً من الكتابة لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحواً من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته وبره وأمانته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة "(٣).

ولقد زعم المشركون أن النبي ﷺ تعلم القرآن، من رجل أعجمي قال الله ﷻ:

----

(١) انظر السيرة النبوية، لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٩.

(٢) سورة الفرقان: الآية (٤، ٥).

(٣) تفسير القرآن الكريم: لابن كثير، مرجع سابق، ج٣، ص٣٢١.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾(1).

فإن جميع أهل بلده وقومه المعادين له يعلمون أن هذا ظلم له وزور ولهذا لم يقل هذا أحد من عقلائهم المعروفين، وكذلك قولهم أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، فإن قومه المكذبين له يعلمون أنه ليس عنده من يملي عليه كتاباً وقد تبين ما يظهر كذبهم(2) بقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾(3).

وقد رد الله ﷻ على افتراءات الذين قالوا بأن القرآن من عند محمد ﷺ فهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تشير بأن القرآن من عند الله تعالى وليس من عند محمد ﷺ ولا من عند أحد من الخلق.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾(4) وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾(5).

وقال ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾(6) وغيرها من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله ﷻ.

بالإضافة إلى أن القرآن قد حكم بأنه من عند الله، فإن رسولنا محمد ﷺ لم يدع

---

(١) سورة النحل: الآية (١٠٣).

(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي، دار الفضيلة، ج١، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) سورة الفرقان: الآية (٦).

(٤) سورة النمل: الآية (٦).

(٥) سورة التكوير: الآية (١٩-٢١).

(٦) سورة السجدة: الآية (٢).

ولم ينسب هذا القرآن لنفسه.

قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ (1).

وما زالت الحرب التي شنها كفار قريش على محمد ﷺ وأصحابه قائمة، وما زالوا يبحثون عن أسلوب آخر لإيقاف هذه الدعوة فكل المساعي والأساليب التي استخدموها باءت بالفشل عندها جن جنونهم وهم يرون أعداد المسلمين يتزايدون يوماً بعد يوم، فما عليهم أن يفعلوا إلا أنهم استخدموا هذه المرة اسلوبا آخر ألا وهو التعذيب.

د - ما لقيه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ من الأذى والتعذيب:

مضى كفار قريش على ما هم عليه يتخذون كافة الأساليب من أجل إيقاف هذه الدعوة، ولكنهم رأوا أن هذه الأساليب لا جدوى لها فصاحب الدعوة ماضٍ في دعوته لا يثنيه شيء عنها وأعداد المسلمين يتزايدون يوماً بعد يوم، فاجتمع سادات كفار قريش واتخذوا قراراً حاسماً، بأن لا يألوا جهداً في محاربة الإسلام وإلقاء الأذية والتعذيب على محمد ﷺ وأصحابه ﷺ.

ويمكن تقسيم هذا الأذى إلى قسمين:

أ - قسم خاص بالنبي ﷺ.

ب - قسم خاص بالصحابة ﷺ.

فأما ما لقيه النبي ﷺ من الأذى فهو كذلك ينقسم إلى قسمين:

١ - ما لقيه النبي ﷺ من الأذى بالأقوال كالاتهامات التي وجهها كفار قريش للنبي ﷺ، والسب والشتم والسخرية منه عليه الصلاة والسلام.

٢ - ما لقيه النبي ﷺ من الأذى بالأفعال وذلك بالتعرض للنبي ﷺ جسدياً

(1) سورة الكهف: الآية (١١٠).

كالتعرض له في الطريق بإلقاء القاذورات أمام بيته عليه الصلاة والسلام وفي طريقه، وكإلقاء سلى[1] الجزور[2] على ظهره ومحاولة إلقاء الصخرة على رأسه وغير ذلك.

ويمكن بيان ذلك بالآتي:

١-ما لقيه النبي ﷺ من الأذى بالأقوال:

لقد مكث النبي ﷺ بين قومه نحو أربعين سنة وهو معروف لديهم بالصدق والأمانة ولكن بعد أن أكرم الله نبيه محمداً ﷺ بالرسالة تغير موقف كفار قريش من النبي ﷺ، وذلك حين خالفهم ألصقوا به التهم فتارة يقولون عنه ساحر قال الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾[3].

وتارة يقولون عنه أنه مجنون، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾[4] وتارة أخرى يتهمونه بالشاعر قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧﴾[5].

ولم يكتف القرآن بحكاية هذه التهم، بل تولى تكذيبها وتزييفها وردها رداً قوياً في أكثر من مناسبة قال الله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ

---

(١) السَّلى: الجلد الرَّقيق الذي يَخْرُج فيه الوَلدُ من بطن أمه مَلْفوفا فيه. وقيل هو في المَاشِية السَّلَى وفي النَّاس المَشِيمة والأوّلُ أشبهُ لأن المَشِيمة تخرج بعدَ الولد ولا يكونُ الولدُ فيها حين يخرجُ.انظر النهاية في غريب الحديث: مرجع سابق، ج٢، ص٩٨٦.

(٢) الجَزُور: البَعِير ذكرا كان أو أنثى إلا أنَّ اللَّفْظة مُؤنثة تقول الجَزُورُ وَإن أردْت ذكَرا والجمْع جُزُرٌ وجَزَائر.انظر النهاية، ج١، ص٧٤٢.

(٣) سورة ص: الآية (٤).

(٤) سورة الحجر: الآية (٦).

(٥) سورة الصافات: الآية (٣٥ - ٣٧).

لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾[(١)].

وأنزل ﷻ ينفي ما نسبوا إليه من الشعر ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾[(٢)]، فجعل كفار قريش حين منع الله نبيه ﷺ منهم، وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، وجعل القرآن يتنزل في كفار قريش بأحداثهم، وفيما نصبوا لعداوته منهم، فمنهم من سمى لنا ومنهم من نزل فيهم القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار[(٣)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾[(٤)].

قال ابن إسحاق ~ : "مر رسول الله ﷺ بالوليد بن المغيرة[(5)]، وأمية بن خلف[(٦)] وبأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزءوا به فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا

----

(١) سورة القلم: الآية (١ – ٣).

(٢) سورة يس: الآية (٦٩).

(٣) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٩.

(٤) سورة المطففين: الآية (٢٩– ٣٣).

(٥) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤي، يسمى الوحيد أمه صخرة بنت الحارث ابن عبد الله بن عبد شمس. انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢١٢، وانظر: جمهرة انساب العرب: لابن حزم، مرجع سابق، ص٣٠٠.

(٦) أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، أمه صفية بنت أسد بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة الثقفي، يقال له الغطريف، قتل يوم بدر كافراً، قتله رجل من الأنصار من بني مازن، انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٢٧٠، وانظر جمهرة أنساب العرب: لابن حزم، مرجع سابق، ص١٥٩، وانظر نسب قريش للزبيري: علق عليه ليفي بروفنسال، دار المعارف، ط٣، ج١١، ص٣٨٧.

كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾[1]"[2].

فأقام رسول الله ﷺ على أمر الله تعالى صابراً محتسباً، مؤدياً إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء، فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء كفى الله نبيه محمداً ﷺ المستهزئين فأنزل الله عليه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾[3] [4].

٢- وما لقيه رسول الله ﷺ من الأذى بالأفعال:

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: "حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ فَنَظَرَ حَتَّى إِذَا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنْعَةٌ قَالَ فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَرَسُولُ الله ﷺ سَاجِدٌ لاَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ- قَالَ وَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْهُ قَالَ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ الله ﷺ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ"[5].

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠).

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٢٨، ٢٩.

(٣) سورة الحجر: الآية(٩٤ - ٩٦).

(٤) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨ - ٣٩.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى، ج١، ص٢٧٧، حديث =

قال ابن إسحاق ~ : "ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزيرة صدق على الإسلام، يشكو إليها، ويهلك عمه أبو طالب، وكان له عضداً وحرزاً في أمره ومنعه وناصراً على قومه، وذلك قبل مهاجرته إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً، ولما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب، دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك قال ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب "[1].

إن المتأمل لما حصل له ﷺ يجد أنه تحمل الكثير من المشاق، وصبر على أذى قومه وإن المرء ليتألم أشد الألم عندما يرى أن أهله وأقاربه يقفون في وجهه ويحرضون الملأ عليه ويتفننون في إيذائه كما فعل عمه أبو لهب، ولكن رسول الله ﷺ قابل السيئة منهم بالحسنة، وكان يشفق عليهم لما يفعلون به لأنه عليه الصلاة والسلام يعرف عاقبة ذلك، فإن كفار قريش لم يدعوا أسلوباً إلا وحاربوا به رسول الله ﷺ، ولكنه صبر على أذاهم وهذه سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه. قال الله تعالى : ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾[2].

= رقم (٤٩٠)، وصحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ج٤، ص٤٥٢، حديث رقم (١١٢٣)، وصحيح البخاري: كتاب الجزية، باب طرح الجيف المشركين في البئر، ج٤، ص٥٣٨، حديث رقم (١٣٥١)، وصحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ من المشركين بمكة، ج٥، ص١٢١، حديث رقم (٣٥٩)، وصحيح مسلم: كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ج٣، ص٢٧٦، ٢٧٧.

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٤٤.

(٢) سورة فصلت: الآية (٤٣).

وقد ذكر رسول الله ﷺ ما لاقاه من الأذى من قومه فقال: " لقد أخفت في الله ﷻ وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله، وما يؤذى أحد، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولا لبلال طعام نأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال "[1].

إلا أن هذه الأذية له ﷺ لا يظن ظان أنها منقصة له ﷺ بل هي رفعة له ودليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: "قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة"[2] وذلك سنه من سنن النبيين السابقين عليهم الصلاة والسلام فالشدة التي تحصل لهم منه محمودة لأنها لرفع الدرجات والضيقة التي تحصل لهم أيضاً محمودة لأنه لو كان يمس الذهب هوان من إدخاله النار لما اختير له العرض على النار فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التي تصيبهم كالنار التي يعرض عليها الذهب فإن ذلك لا يزيد الذهب إلا حسناً فكذلك الشدائد لا تزيد الأنبياء إلا رفعة[3].

----

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ٣٤، ج٢، ص٥٩٥، ٥٩٦، حديث رقم (٢٤٧٢)وأخرجه ابن ماجه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل بلال، ج١، ص٦٦، ٦٧، حديث رقم (١٢٣) وأخرجه أحمد، ج١٩، ص٢٤٥، حديث رقم (١٢٢١٢).

قال الألباني: "قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح".

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ج٢، ص٥٦٥، حديث رقم (٢٣٩٨) وابن ماجة: كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ج٣، ص٣١٧، حديث رقم (٣٢٦٥) وأحمد، ج١، ص١٧٣، حديث رقم (١٤٩٤).

وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) السيرة الحلبية، مرجع سابق، ج١، ص٣٢١-٣٢٢.

بأبي وأمي أنت يا رسول الله لقد أديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده فجزاك الله عنا خير الجزاء اللهم اجمعنا بحبيبنا وسيدنا محمد ﷺ في جنات الفردوس.

لم تتوقف بعد الحرب التي شنها كفار قريش على محمد ﷺ وأصحابه، وعندما رأوا أن محمداً ﷺ لا يكف عن دعوته رغم ما فعلوا من أجل إيقاف هذه الدعوة ففكروا فلم يجدوا بُداً من فتنة الأتباع.

ب - ما لقيه الصحابة رضي الله عنهم من الأذى والتعذيب:

لما عرف كفار قريش أن رسول الله ﷺ، قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ﷺ اقبلوا على بعض أصحابه رضي الله عنهم بالأذية، فغدت كل قبيلة على من أسلم منها تعذبه وتمنعه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك أي حتى أن منهم من فتن عن دينه ورجع إلى الشرك ومنهم من فتن عن دينه ولم يرجع إلى الكفر.

وهذه بعض نماذج للذين فتنوا في دينهم ولكنهم ثبتوا وصبروا وتحملوا المشاق من أجل هذا الدين العظيم.

أ - بلال بن رباح[1] رضي الله عنه:

كان بلال بن رباح رضي الله عنه مملوكاً لأمية بن خلف، وقد تفنن أمية في تعذيبه فقد كان يجعل في عنقه حبلا ويدفعه إلى الصبيان يلعبون به ويطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول (أحد أحد) وقد أثَّر الحبل في عنقه، ومرة يخرجه إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه يوماً وليلة فيطرحه على ظهره في الرمضاء أي الرمل إذا اشتدت حرارته التي

---

(١) بلال بن رباح الحبشي، المؤذن، أمه حمامة.. اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه، فلزم النبي ﷺ وأذن له وشهد معه جميع المشاهد وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، ثم خرج مجاهداً إلى أن مات بالشام. انظر الإصابة في تمييز الصحابة: مرجع سابق، ج١، ص١٦٥.

لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، وما كان من بلالٍ إلا أنه ثبت وصبر واحتسب ولم يؤثر هذا التعذيب الشديد عليه في إيمانه ومبادئه بل زاده إصراراً وعزيمة ويرد قائلاً له أنا لا أشرك بالله شيئاً أنا كافر باللات والعزى، واستمر أمية في تعذيب بلال وهو لا يفتر عن إثبات الوحدانية لله ﷻ، ومر عليه أبو بكر رضي الله عنه يوماً وهو ملقى على ظهره في الرمضاء وعلى صدره تلك الصخرة فقال: لأمية بن خلف ألا تتقي الله تعالى في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى قال: أبو بكر عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قبلت قال: هو لك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالاً فأعتقه[1].

لقد أنقذ الله سبحانه وتعالى بلالا بأبي بكر { الذي لم يطب نفساً أن يرى أخوه المسلم يعذب وهو ينظر إليه، ولم يكتف بذلك بل إنه إذا مر على أحد من المسلمين وهو يعذب ويستطيع مساعدته فعل ذلك دون أن يبالي بذهاب ماله، فعل الصديق رضي الله عنه ذلك قبل أن يعرف فضل العتق، وهو حين يفعل ذلك لا يريد منهم منفعة بل إنه حين يشتري هؤلاء العبيد يعتقهم لله ﷻ، حتى إن أباه أبو قحافة عاتبه في ذلك فقال: يا بني، إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعوك ويقومون دونك؟ قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه يا أبت، إني إنما أريد ما أريد، لله ﷻ قال فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه، وفيما قال له أبوه[2]:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ
﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ
﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا
يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ

(١) انظر السيرة الحلبية: مرجع سابق، ج١، ص٣٢٥.

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هاشم، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٣.

عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١) ﴾[1].

ب – خباب بن ا لأرت رضي الله عنه[2]:

وممن عذب بسبب دينه فثبت عليه خباب بن الأرت رضي الله عنه فإنه كان فتى في الجاهلية فاشترته أم أنمار وكان قينا أي حداداً وكان ﷺ يألفه ويأتيه، فلما أسلم وأخبرت بذلك مولاته صارت تأخذ الحديد وقد أحمتها بالنار فتضعها على رأسه فشكا ذلك لرسول الله ﷺ فقال اللهم انصر خباباً فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوي مع الكلاب فقيل لها اكتوي فكان خباب يأخذ الحديدة وقد أحماها فيكوى رأسها[3].

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ، أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَالله لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"[4].

فهل اقتصر أذى المشركين على هؤلاء الرجال الأبطال الذين بذلوا أنفسهم

---

(١) سورة الليل: الآية (٥-٢١).

(٢) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، يكنى أبا عبد الله، سبي في الجاهلية فبيع في مكة فكان مولى أم أنمار الخزاعية، ثم حالف بني زهرة، كان من السابقين الأولين شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، نزل الكوفة ومات بها، سنة سبع وثلاثين وله من العمر ثلاث وستون، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج١، ص٤١٦، وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج٢، ص٤٣٧، ٤٣٨.

(٣) السيرة الحلبية: مرجع سابق، ج١، ص٣٢٧.

(٤) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٥، ص٤٩، ٥٠ حديث رقم (١٣٩).

وأموالهم في سبيل هذه الدعوة، بل لقد طالت أيديهم إلى النساء ولم يألوا جهداً في تعذيبهن دون رأفة أو رحمة. فقد سجل التاريخ أسماء هؤلاء النساء المؤمنات اللائي ضحين بأنفسهن في سبيل هذه الدعوة وليكنَّ قدوة لمن بعدهن من النساء فها هي خديجة < أول من آمنت بهذه الدعوة وكانت عوناً لرسول الله ﷺ تواسيه وتخفف عنه ما يجده من العناء والأذى في سبيل هذه الدعوة، وهذه سمية أم عمار < قد وهبت جسدها ونفسها يتفنن المشركون في تعذيبها في سبيل الله ﷻ، فكانت أول شهيدة في الإسلام ومن أمثالهن كثير، وهذا يدل دلالة واضحة أن للمرأة المسلمة دوراً عظيماً في نصرة هذا الدين سواء أكان ذلك في تربية أبنائهن أو في ثباتهن على إيمانهن ومبادئهن، وعلى نساء المؤمنين أن يقتدين بهؤلاء النساء اللاتي سجل التاريخ دورهن في هذه الدعوة، فكانت أول من آمن بهذه الدعوة امرأة، وأول شهيدة في الإسلام كانت امرأة.

ومن هؤلاء النساء اللاتي سجل التاريخ تضحيتهن في سبيل الله على سبيل المثال لا الحصر:

زنيرة[١] < عذبت في الله تعالى حتى عميت فقال لها يوماً أبو جهل إن اللات والعزى فعلا بك ما ترين فقالت له كلا والله لا تملك اللات والعزى نفعاً ولا ضراً، هذا أمر من السماء وربي قادر على أن يرد علي بصري فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالى عليها بصرها فقال كفار قريش أن هذا من سحر محمد ﷺ فاشتراها أبو بكر < وأعتقها[٢].

ولم يقتصر أذى كفار قريش على الضعفاء من العبيد سواءً كانوا رجالاً أم نساءً

---

(١) زنيرة بكسر أولها وتشديد النون المكسورة بعدها تحتانية مثناة ساكنة، الرومية من بني عمرو بن المؤمل، كانت من السابقات إلى الإسلام وممن يعذب في الله، وكان عمر رضي الله عنه قبل إسلامه يتولى تعذيبها، فأعتقها أبو بكر رضي الله عنه، انظر الإصابة في تمييز الصحابة: مرجع سابق، ج٤، ص٣١١، ٣١٢.

(٢) انظر السيرة الحلبية: مرجع سابق، ج١، ص٣٢٧.

بل قد تعداه إلى غيرهم من الأحرار ممن لهم عشيرة ومنعة، فإذا كانت أيدي المشركين قد تطاولت على أشرف الخلق ﷺ فغيره من باب أولى، فمن الذين لقوا الأذى من كفار قريش وكان ذا شرف ومنعةٍ من قومه:

د- أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

لم يقتصر أذى المشركين للمسلمين الضعفاء فقط، بل لقد نال أشراف المسلمين، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد أُوذي في الله وضرب وحثوا على رأسه التراب، وكان أكثر الرجال الذين تعرضوا لمحنة الأذى والفتنة بعد رسول الله ﷺ، نظراً لصحبته الخاصة له والتصاقه به في المواطن التي كان يتعرض فيها للأذى من قومه، فينبري الصديق مدافعاً عنه وفادياً إياه بنفسه، فيصيبه ما يصيبه من أذى القوم وسفههم[1].

ومما وقع لأبي بكر رضي الله عنه من الأذية ما ذكره بعضهم أن رسول الله ﷺ لما دخل دار الأرقم ليعبد الله تعالى ومن معه من أصحابه فيها، ألح أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ في الظهور فرأى الخروج إلى المسجد فقال: يا أبا بكر إنّا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة إلى المسجد وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ودعا إلى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا إلى الله تعالى وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضرباً شديداً وَوُطِئَ أبو بكر بالأرجل وضرب ضرباً شديداً وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين أي مطبقتين ويحرفهما إلى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فَأَجْلَت المشركين عن أبي بكر وحملوه في ثوب إلى أن أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا إلى أبي بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال ما فعل رسول الله ﷺ فتركوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله

---

(١) انظر محنة المسلمين في العهد المكي: مرجع سابق، ص٧٥.

مالي بصاحبك فقال اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب فإنها كانت أسلمت < وهي تخفي إسلامها فاسأليها عنه فخرجت إليها وقالت لها: إن أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله ﷺ فقالت لا أعرف محمد ولا أبا بكر ثم قالت لها تريدين أن أخرج معك قالت نعم فخرجت معها إلى أن جاءت أبا بكر ﵁ فوجدته صريعاً فصاحت وقالت: إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وإني لأرجو أن ينتقم الله منهم فقال: أبو بكر ما فعل رسول الله ﷺ فقالت له: هذه أمك تسمع قال فلا عليك منها أي أنها لا تفشي سرك قالت: سالم فقال أين هو؟ فقالت في دار الأرقم فقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله ﷺ .قالت أمه: فأمهلناه حتى إذا هدأت الرحيل وسكن الناس فخرجت به يتكئ على حتى دخل على رسول الله ﷺ فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال: بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما بي من بأس إلا ما نال الناس من وجهي وهذه أمي برة بولدها فعسى الله أن ينقذها بك من النار فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت(1).

إن المتأمل لما حدث لأبي بكر ﵁، يجد التضحية في سبيل هذه الدعوة فإن أبا بكر قد هانت عليه نفسه لذا لم يهتم لما حدث له، وكان جوابه حين رق له الرسول ﷺ "ما من بأس إلا ما نال الناس من وجهي" لقد وطئ أبو بكر ﵁ بالأرجل وضرب ضرباً شديداً حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه، وهو لا يبالي في ذلك، لأنه باع نفسه لله ﷻ حين أسلم وليصنع به المشركون ما شاءوا مادام ذلك في سبيل الله.

كما أن هذه الحادثة تبين الحب الشديد الذي يكنه أبو بكر ﵁ لرسول الله ﷺ فإنه امتنع عن الطعام والشراب حتى يأتي رسول الله ﷺ ويطمئن عليه كذلك يلاحظ حرص أبي بكر ﵁ على الإسلام وذلك لأنه أصر على الرسول ﷺ بإظهار الإسلام وألح عليه رغم أن المسلمين لا يزالون يهابون من كفار قريش وهم قلة مستضعفين، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على أن الإيمان قد ملأ قلبه ووجدانه، ولم يبالِ بما قد

---

(١) انظر السيرة الحلبية: مرجع سابق، ج١، ص٣٢٢، ٣٢٣.

يحدث له من جراء فعله هذا.

كذلك يلاحظ حرص أبي بكر ﷺ على أمه وإنقاذها من النار من خلال قوله للرسول ﷺ " هذه أمي برة بولدها فعسى الله أن ينقذها بك من النار فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت".

وقد برز هنا دور العصبية القبلية فها هم بنو تيم يتوعدون بقتل عتبة بن ربيعة إن مات أبو بكر، إن العصبية القبلية كان لها دور في ذلك الحين، فالعصبية القبلية هي التي جعلت كفار قريش ترفض هذه الدعوة كما أنها هي التي جعلت رسول الله ﷺ في منعة عمه أبي طالب، وهي كذلك من جعلت بني هاشم وبني عبد المطلب مسلمهم وكافرهم يدخلون الشعب مع رسول الله ﷺ وسيتم توضيح ذلك عند حديثي عن المقاطعة، كذلك ينبغي أن لا يُنسى التصرف السليم من أم جميل بنت الخطاب وحرصها على عدم الإباحة بأي شيء حتى تحصل على الأمان فقد كانت حريصة على سلامة رسول الله ﷺ لذلك أنكرت معرفتها برسول الله ﷺ وبأبي بكر ﷺ.

هذه بعض نماذج لما لقيه أصحاب رسول الله ﷺ من الأذى وهي على سبيل المثال لا الحصر.

إن المتأمل فيما سبق يجد أن أصحاب رسول الله ﷺ قد تعرضوا للأذى والتعذيب، وكل ذلك في سبيل الله ﷻ وابتغاء مرضاته، فقد تفنن المشركون في تعذيبهم ولم يفرقوا في ذلك بين الرجال والنساء ولا بين الأحرار والعبيد وإن كان النصيب الأوفر للعبيد، فالعبيد في رأي كفار قريش ليسوا أحراراً لا في أبدانهم ولا في عقولهم وهم ضمن متاع كفار قريش ولا يملكون الحق في أن يقولوا ما يريدون بل عليهم أن يتبعوا أسيادهم من كفار قريش[1].

عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: " أكان المشركون يبلغون من

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام والسيرة النبوية: جاسم حكيان علي، دار الفكر، ط١، ص١٦١.

أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له؟ اللات والعزى إلهك من دون الله، فيقول نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده "[١]

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو عليه من العافية، بمكانه من الله ثم من عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء[٢]، قال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لايظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً، مما أنتم فيه "[٣]

ما سبق كان عاملاً قوياً في الهجرة إلى الحبشة فقد رأى رسول الله ﷺ ما عليه أصحابه من الأذى وخاف عليهم الافتتان في الدين فأذن لهم بالخروج إلى الحبشة من أجل إيجاد مكان آمن للدعوة وفراراً بدينهم، وهذا ما سيتم بيانه إن شاء الله بالتفصيل عند حديثي عن أحداث الهجرة إلى الحبشة.

هـ - المقاطعة:

استمر كفار قريش في محاربتهم للدعوة واستخدموا في ذلك كافة الأساليب، ولما رأوا ثبات المسلمين واستمرار الرسول عليه الصلاة والسلام في دعوته وخصوصاً بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة ورأوا أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب { مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وأخذ الإسلام يفشو في القبائل، فاجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني عبد

----

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٤.

(٢) انظر المصدر، ج١، ص٢٥٥.

(٣) سبق تخريجه، ص٦٤.

المطلب، على أن لا ينكحوا منهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة[١] ويقال: النضر بن الحارث، فلما فعل ذلك كفار قريش انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه، واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب إلى كفار قريش فظاهرهم، وكان أبو لهب يفتخر بصنيعه هذا وفي مظاهرته لقومه فقد لقي هند بنت عتبة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشاً فقال: يا بنت عتبة، هل نصرتِ اللات والعزى، وفارقت من فارقهما وظاهرتِ عليهما قالت: نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة[٢]. وكان أبو جهل بن هشام قد لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد < ، وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري بن هاشم[٣]فقال: مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها! خل سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ له أبو البختري لحي بعير فضربه به

---

(١) منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد الدار بن قصي، أمه نبت النبَّاس بن زراه التميمي حليف بني عبد الدار، كاتب الصحيفة الذي دعا عليه ﷺ فشلت بعض أصابعه، انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٦، وانظر نسب قريش للزبيري، مرجع سابق، ص٢٥٤.

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٦-٢٧٩ بتصرف.

(٣) اسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي، أمه أروى بنت الحارث بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وهو أحد من قام بنقض الصحيفة، قتل يوم بدر كافراً قتله المجَّدر بن زياد البلوي حليف الأنصار، انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢١٢، وج٢، ص٢٢٦، وانظر جمهرة انساب العرب لابن حزم، مرجع سابق، ص١١٧، وانظر نسب قريش للزبيري، مرجع سابق، ج٦، ص٢١٣.

فشجه ووطئه وطأ شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه[1].

وكانت الصحيفة قد علقت في جوف الكعبة وكان كفار قريش في ذلك بين راض وكاره، فسعى في نقض الصحيفة من كان كارهاً لها، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو[2] فكان يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو عبد المطلب في الشعب ليلاً، قد أوقره طعاما، حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه، ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم يأتي به وقد أوقره براً فيفعل به مثل ذلك ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية[3]، فقال: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبداً، قال: ويحك يا هشام، فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله أن لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها، قال: قد وجدت رجلاً، قال فمن هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أبغنا رجلاً ثالثاً، فذهب إلى المطعم بن عدي[4] فقال له: يا مُطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف،

---

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٩.

(٢) هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك، كان ابن أخي فضل بن هاشم بن عبد مناف لأمه، فكان هشام لبني هاشم واصلاً وكان ذا شرف في قومه، وأحد الذين سعوا لنقض الصحيفة، انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص١٣.

(٣) زهير بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكانت أمه عاتكه بنت عبد المطلب، انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص١٣.

(٤) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، وكان شريفاً من حلفاء قريش وساداتهم، وهو الذي أجار رسول ﷺ حين رجع من الطائف، والذي سعى في نقض الصحيفة، مات بمكة قبل بدر، انظر جمهرة أنساب العرب: لابن حزم، مرجع سابق، ص١١٥، انظر نسب قريش: للزبيري، مرجع سابق، ج٦، ص٢٠٠.

وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه! أما والله لئن مكنتموهم من هذه لتجدنهم إليهم منكم سراعاً، قال ويحك! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: أبغنا ثالثاً، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال زهير بن أبي أمية، قال: أبغنا رابعاً. فذهب إلى أبي البختري بن هشام، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدي، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا معك، قال: أبغنا خامساً. فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب[1]، فكلمه، وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمى له القوم.فاتعدوا خطم الحجون ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا عدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حُلة فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى نشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.قال أبو جهل، وكان في ناحية المسجد، كذبت والله لا تشق، قال زمعة بن الأسود، أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت، قال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها، ولا نقر به؟ قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، تشاوروا فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا "باسمك اللهم "[2]

----

(١) الأسود بن عبد المطلب، وهو أبو زمعة أمه فهيرة بنت أبي قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وأبو زمعة أحد المستهزئين الذين ذكرهم الله بقوله (أنا كفيناك المستهزئين) قتل يوم بدر كافراً، انظر نسب قريش: للزبيري، مرجع سابق، ج٦، ص٢١٨.

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص١٢-١٧.

لقد نقضت تلك الصحيفة الظالمة وكان نقضها على أيدي كفار قريش الذين كانوا في قرارة أنفسهم غير راضين بما كتب فيها، إن هذا الحصار الاقتصادي والاجتماعي الذي فرضه كفار قريش ليؤكد على شدة العداوة التي يكنونها للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

إن هذه المقاطعة تجعل المسلم يستقي منها الدروس والعبر ومن ذلك:

أولاً: الصبر على ما يصيب المسلم من الأذى مادام على حق، فإنه لا يبالي بما يفعل به السفهاء وفي الآخر لابد له من النصر، لذلك نجد أن الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، صبروا وقاسوا مرارة الجوع والعطش ومع ذلك أتاهم الفرج والنصر من الله عن طريق أعدائهم.

ثانياً: الترابط والتكافل فتجد أن بني هاشم وبني عبد المطلب قد وقفوا صفاً واحداً ويداً واحدة مسلمهم وكافرهم، وهذا هو شأن المجتمع الجاهلي فإن العصبية القبلية كانت تلعب دوراً مهماً في ذلك المجتمع.

ثالثاً: لابد للمسلم أن يعلم بأن كل ما أصابه فهو خيراً له فإن هذه المقاطعة جعلت العرب ينقموا على كفار قريش فعلهم هذا فلم يكونوا راضين بما فعلوا في بني قومهم وكانوا متعاطفين معهم، فذاع صيت الرسول ﷺ بين قبائل العرب وعرض عليه الصلاة والسلام الإسلام على القبائل عند قدومهم إلى موسم الحج، ووجدوا أن هذه الدعوة حق وإلا لما تحمل صاحب الرسالة وأصحابه هذا الأذى والعذاب فما أن انفك الحصار حتى أقبل الناس على الإسلام، وهكذا ارتد سلاح الحصار الاقتصادي على أصحابه، وكان عاملاً قوياً من عوامل انتشار الدعوة الإسلامية عكس ما أراد زعماء الشرك تماماً[1].

---

(١) انظر السيرة النبوية: الصلابي، مرجع سابق، ص١٨٦ بتصرف كبير.

هكذا تجلى موقف كفار قريش من دعوة النبي ﷺ، موقف العناد والتكبر والتي لم تدع أسلوباً أو وسيلةً إلا وحاربت بها الرسول ﷺ، ولم تتوقف محاربتهم للرسول ﷺ حتى بعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، بل ظلت تحاربه إلى أن فتح الله له مكة، وأما تفسير محاربة كفار قريش للرسول ﷺ وإصرارهم على الكفر والعناد وعدم الإيمان بدعوته مع أنهم في قرارة أنفسهم يعلمون صدق هذه الدعوة وصدق الداعي إليها، والتي ظهرت في الكثير من مواقفهم، فيمكن معرفة ذلك في المطلب التالي.

المطلب الرابع:
أسباب كفر قريش وعدم إيمانها بالنبي ﷺ

لقد أدرك سادة الشرك وزعماؤه أن في الإسلام خطراً حقيقياً على نظام حياتهم القائم على الظلم والاستكبار والعدوان، فمصالحهم الاقتصادية باتت مهددة بالخطر، معتقدين أن انتشار الإسلام في مكة سيعرض تحالفاتهم الاقتصادية والتجارية إلى خلل وخسارة لاسيما وأن هؤلاء السادة كانوا يتولون الإشراف على الحرم وإدارة موسم الحج، الذي كان بمثابة الضرع الذي يدر عليهم بالكثير من الأموال ، وهم يجهلون مصير هذا الأمر إذا ما ساد الإسلام في مكة[1].

ومن ناحية أخرى، فإن الأعراف التي توارثوها كابراً عن كابر، قضت باحترام تراث الآباء والأجداد، وها هوالقرآن يعرض بهؤلاء ويصرح بأنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون.

لذا قضى النمط العقلي السائد رفض مثل هذا التصور، فأصروا بما اعتقدوهم أهلاً للاحترام والتعظيم وإن كانوا مثل ما جاء وصفهم في القرآن قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾[2]

ولم يكن خوفهم على ضياع الزعامة والرئاسة في قومهم بأقل أثراً في زيادة تمسكهم بما كانوا عليه من حال الكفر والشرك كل هذا جعلهم يقفون بكل ما أوتوا من قوةٍ وحيلة للتصدي للدين الجديد، بألسنتهم وأيديهم[3].

---

(١) انظر فقه السيرة النبوية: نوري، مرجع سابق، ص٨٠، ٨١.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٧٠).

(٣) انظر السيرة النبوية: نوري، مرجع سابق، ص٨١.

ويمكن إجمال أسباب مقاومة قريش وعدم إيمانها بالتالي:

١ - لأن الرسول ﷺ عاب آلهتهم التي يعبدونها ونعتها بمختلف النعوت كما علّمه الله تعالى في القرآن فقال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾[(١)]

وأطلق الرسول ﷺ على كل من لم يؤمن من قريش اسم المشركين، والكافرين، والضالين، والمجرمين، والفاسقين، والآثمين وغير ذلك من أوصاف الذم[(٢)].

٢ - دعا الإسلام إلى تنظيم اجتماعي يختلف اختلافاً أساسياً عن التنظيم الذي كان قائماً في الجزيرة العربية، وخاصة في مكة فهو يدعو إلى الإنسانية والرحمة والشفقة والعطف على الضعيف والصدق والاستقامة ويضع للتفاضل الاجتماعي مقاييس جديدة تقوم على أساس التقوى والأخلاق الفاضلة الصالحة بصرف النظر عن الثروة أو الجاه أو النسب، فانتشار الإسلام معناه تأثير مركز المتنفذين والأغنياء، إذ لم تكن لهم صفات أخلاقية حميدة، ويحل محلهم أناس ربما كانوا فقراء أو ممن ليسوا من العشائر المكية قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾[(٣)]

٣ – أنكر الرسول ﷺ النظام السياسي المكي الذي يدين بالطاعة للرؤساء والكبراء ودعا إلى الطاعة للرسول ﷺ الذي تأتي بواسطته أحكام الإسلام، فأمر الله المؤمنين بطاعة الرسول ﷺ قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[(٤)] وقال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[(٥)].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٩٨).

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام: جاسم صكبان علي، دار الفكر، ط١، ص١٥٩.

(٣) سورة الحجرات: الآية (١٣).

(٤) جزء من الآية (٣٢) من سورة آل عمران.

(٥) جزء من الآية (٧١) من سورة الأحزاب.

فارتاع كفار قريش من هذه الدعوة وكرهوا أن ينزل الوحي على محمد ﷺ لأنهم لم يقروا له بالزعامة، ولم يكن من الزعماء السياسيين في مكة، وجاءت أشد المقاومة من الزعماء السياسيين من ذوي الجاه والشرف في مكة والمساهمين في اجتماعات دار الندوة للصد عن دين الله تعالى(1).

٤ - كان المجتمع القرشي مجتمعاً تجارياً بأمس الحاجة إلى السلام والهدوء من وجهة نظركفار قريش وأن السماح لأي حركة بالانتشار يعني خلق جو من الخوف والاضطراب مما يؤثر على سير معاملاتها التجارية في الداخل والخارج فاختاروا الوقوف في وجه الدعوة إلى عبادة الله(2).

٥ - وكان الرق منتشراً في الجزيرة العربية انتشاره في كل بلاد العالم، وكان العبد رقيق العقل، والقلب، بالإضافة إلى الرق الجسماني، بمعنى أنه لم يكن له أن يتدين بغير دين سيده، ولا يحب أو يكره إلا تبعاً لحب سيده وكرهه، وكان جسمه خاضعاً لأوامر سيده، فلما جاء الإسلام لم يعترف برق العقل والقلب، وقرر أن العقل والقلب لا يتطرق لها الرق، فالرقيق حر في فهمه وتدينه وحبه وكراهته، وأن رق الجسم غير مطلق، وأن للرقيق حقوقاً لدى سيده في الطعام والكساء والزواج، وليس لسيده أن يطلب منه الحرام أو يكلفه ما يشق عليه من العمل، فلما دخل بعض العبيد الإسلام، ورحب بهم محمد ﷺ، واعتبر السادة هذا التصرف تمرداً، من العبيد، كما اعتبروا محمداً ﷺ مثيراً للفتن، وأنه لم يكتف بذويه يدعوهم لعقيدته بل راح يدفع الإسلام إلى بيوت السادة والكبراء عن طريق العبيد على الرغم من عدم إرادة أصحاب القصور(3).

٦ - السيادة القبلية والتنافس عليها حين لم يستطع كفار قريش أن يفرقوا بين النبوة وبين السيادة، أو بين النبوة وبين الملك، وحسبوا أن التسليم بدين محمد ﷺ معناه

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام والسيرة النبوية: جاسم حكيان، مرجع سابق، ص١٥٩، ١٦٠.

(٢) انظر المرجع السابق، ص١٦٠.

(٣) انظر التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ص٢١٨، ٢١٩.

التسليم بالزعامة له ولآله من بني المطلب، وكانت هناك منافسة شديدة بين قبائل العرب على الرياسة والسلطان، فلم يكن من الممكن أن تسلم زمامها لمحمد ولبني المطلب، وأن تفقدبطونها المختلفة مكانتها وسيادتها[1].

٧ - المساواة بين السادة والعبيد فالعرب يهتمون بالطبقات اهتماماً شديداً، لكل إنسان طبقته التي يجب ألا يتعداها، وإذا بدعوة محمد ﷺ تجعل المساواة بين الناس أساساً هاماً من أسسها، وتسوي بين السيد وعبده، بل تجعل العبد أفضل من سيده لو كان أكثر منه تقوى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2] من أجل هذا لم يقبل السادة أن يدخلوا في هذا الدين الذي يهدم تقاليدهم، وأسس الحياة عندهم، ويسوي بينهم وبين العبيد الأذلاء في نظرهم[3].

٨ - الفزع من البعث إذ يقرر الدين الإسلامي أن هناك بعثاً بعد الموت وأن هناك حساباً للناس، يكافأ المحسن فيه على إحسانه، ويعاقب المذنب على سيئاته وآثامه، قال الله ﷻ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾[4].

ولم يستطع كفار قريش أن يقبلوا هذا الدين الذي يعيد الإنسان للحياة بعد الموت، ويعيده ولا سلطان له ولا نفوذ بيده، ثم يحاسب هذا الإنسان بعدالة على ما ارتكبه، ما أبشع الصورة التي تصورها كفار قريش للإسلام هذه الصورة التي دفعتهم إلى رفض هذا الدين الجديد وعدم اتباعه والدخول فيه، إنها صورة العدالة التي لا

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي، مرجع سابق، ص٢١٩.

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٣).

(٣) انظر التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي، مرجع سابق، ص٢١٩.

(٤) سورة القارعة: الآية (١-١١).

يرضاها الظالم، وصورة الحساب الذي يفر منه المذنبون[1].

٩ - تقليد الآباء إذ كان تقليد الآباء واتباع سلوكهم في العبادات والمعاملات شيئاً راسخاً عند العرب، ولذلك كرهوا أن يخرجوا من دين آبائهم وأن يتبعوا ديناً جديداً، وصاحوا في غباء وجمود (حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) فوبخهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[2].

١٠- بيع الأصنام إذ كان هذا السبب مادياً، فقد كان بين العرب من يحترف نحت الأصنام على شكل اللات والعزى ومناة وهبل، وكان هؤلاء يبيعون من هذه الأصنام للحجاج الذين كانوا كثيراً ما يشترونها للتبرك والذكرى فلما جاء الإسلام حرم عبادة الأصنام ونحتها وبيعها، ووجد هؤلاء التجار في الإسلام حائلاً بينهم وبين أرباحهم وعاملاً يقضي على تجارة الأصنام بالكساد والبوار، ولذلك سرعان ما قاوموا الإسلام وثاروا عليه[3].

ومما يتصل بهذا السبب أيضاً إحساس سدنة الكعبة بأنهم سيفقدون ما كانوا يتمتعون به من ثروة ونفوذ بسبب خدمتهم للأصنام ورعايتهم لزائريها كما ظن أهل مكة على العموم أن الكساد سوف يصيبهم جميعاً بسبب إعراض الحجيج عن مكة إذا بطلت عبادة الأصنام بها[4].

و أضف نقطة أخرى في سبب مقاومة كفار قريش للدعوة وكانت سبباً في كفرهم وعدم إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وهي:

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي، مرجع سابق، ص٢٢٠.

(٢) جزء من الآية (١٠٤) من سورة المائدة.

(٣) انظر التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي، مرجع سابق، ص٢٢٠، ٢٢١.

(٤) انظر المرجع السابق، ص٢٢١.

الكبر والحسد، فالكبر هو الذي منع إبليس لعنه الله من السجود لآدم قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[(1)]، والحسد هو الذي جعل قابيل يقتل أخاه هابيل قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[(2)] فالكبر هو الذي أخرج إبليس من الجنة وجعله مخلداً في النار والحسد هو الذي جعل الأخ يقتل أخيه فكان من الخاسرين.

إن المتتبع لكتب السيرة يجد أن كفار قريش يعلمون في قرارة أنفسهم مصداقية ما جاء به محمد ﷺ وهو الذي كان معروفا لديهم بالصدق والأمانة، ولكن كبرهم وحسدهم جعلهم يقفون في وجه هذه الدعوة، بأن جعل الله هذا النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب فيكون لهم الشرف والمكانة عند العرب، ومن الأدلة على ذلك قصة النفر من قريش الذين كانوا يستمعون إلى قراءة النبي ﷺ، فكان جواب أبي جهل حين سأله الأخنس بن شريق عما سمع من النبي ﷺ، فقال له "يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه"[(3)] فالحسد هو الذي جعل أبا جهل يرفض هذه الدعوة بل يعادي النبي ﷺ، وكذلك فإن كفار قريش حين ذهبوا إلى اليهود ليسألوهم بشأن النبي

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٤).

(٢) سورة المائدة: الآية (٢٧-٣٠).

(٣) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥١.

ﷺ فأخبروهم بأن يسألوه عن أمر الفتية، والرجل الطوَاف والروح، فإن هو أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فلما أجابهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقه فيما حدث، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيب حين سألوه عما سألوه عنه، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه، فعتوا على الله وتركوا أمره عياناً، ولجوا فيما هم عليه من الكفر[(١)].

هذه بعض الأمور التي توضح مدى الحقد والحسد الذي كان عليه كفار قريش ولعلها من الأسباب التي جعلتهم يرفضون هذه الدعوة ولم يؤمنوا بها والله أعلم.

بقي أمر أخر يجب أن يوضح، هو أن المتأمل لما سبق يجد أن ما حدث للنبي ﷺ وأصحابه ﭬ من الأذية والتعذيب لم يكن هناك مقاومة لما حدث لهم إلا النذر اليسير، يعني أن النبي ﷺ لم يقاتل كفار قريش في الفترة المكية، وهذا ما سيتم توضيحه في المطلب التالي.



---

(١) انظر السيرة النبوية :لابن هشام ،مصدر سابق ، ج١، ص٢٤٩.

المطلب الخامس:
حكمة الكف عن القتال في مكة

اقتضت الحكمة الإلهية بأن لا يشرع الجهاد في هذه المرحلة من الدعوة، ولم يشرع إلا بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، ولم يأذن الله للمسلمين في مكة بالانتصار من الظلم، والرد على العدوان، ودفع الأذى بالقوة وكثيرون منهم كان يملك هذا، فلم يكن ضعيفاً ولا مستضعفاً، ولم يكن عاجزاً عن رد الصاع صاعين، مهما يكن المسلمون في ذلك الوقت قلة، ويمكن توضيح ذلك ببيان السمات التي اتسمت بها هذه المرحلة من الدعوة، وذلك بأن المرحلة المكية كانت تقتضي أن تكون العلاقة بين المسلمين والمشركين علاقة غير قتالية، علاقة بيان للحق، وصبر على الأذى فيه، واحتساب لكل ما عرفته ربوع مكة ورمضاؤها من أذى للمصطفى ﷺ وعذاب واضطهاد لبلال وعمار وخباب وآل ياسر وغيرهم ﷺ أجمعين[1].

لقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه تبعاً للتوجيهات القرآنية بضبط النفس والتحلي بالصبر والحلم والأناة، وعدم مواجهة عدوان المشركين بالمثل حرصاً على حياتهم، لأنهم مادة الإسلام الناشئة ومكونه الرئيس، وحماية لمستقبل الدعوة الوليدة أن يئدها المتربصون بها، وهي لاتزال غضة طرية، ولعل المشركين كانوا شديدي الحرص على مواجهة حاسمة مع الدعوة وهي في طور التأسيس والبناء للقضاء عليها[2].

ولكن الحكمة الإسلامية بتوجيه من الوحي فوَّتت عليهم الفرصة بالدعوة إلى أخلاق التسامح وكظم الغيظ والعفو والصفح وقد جاء الأمر بالكف عن القتال في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[3]، وإن كانت هذه الآية مدنية، فهي تشير إلى ما حدث بمكة من الأمر بالكف عن القتال سواء

---

(١) انظر في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ط١، ج٢، ص٧١٣بتصرف.

(٢) انظر منهج النبي ﷺ: محمد أمحزون، دار السلام، ط٢، ص١١٥.

(٣) جزء من الآية (٧٧) من سورة النساء.

بمبادأة المشركين أو الرد على عداوتهم(١).

ولعل من حكم الكف عن القتال في هذه المرحلة ما ذكره صاحب الظلال ~ وسأوجزها فيما يلي:

١ - إن الكف عن القتال في مكة ربما كان لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة، لقوم معينين، وسط ظروف معينة، ومن أهداف التربية في مثل هذه البيئة، تربية الفرد العربي على الصبر وتربيتة كذلك على ضبط أعصابه، فلا يندفع لأول مؤثر كما هي طبيعته ولا يهتاج لأول مهيج ومن ثم يتم الاعتدال في طبيعته وحركته ثم تربيته على أن يتسع نظام المجتمع الجديد والتقيد بأوامر القيادة الجديدة، حيث لا يتصرف إلا وفق ما تأمره مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعادته وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي المسلم لإنشاء (المجتمع المسلم).

٢ - وربما كان ذلك أيضاً، لأن الدعوة السلمية أشد أثراً وأنفذ، في مثل بيئة قريش، ذات العنجهية والشرف، والتي قد يدفعها القتال معها في مثل هذه الفترة إلى زيادة العناد وإلى نشأة ثارات دموية جادةٍ كثارات العرب المعروفة، كحرب داحس والغبراء، وتكون هذه الثارات الجديدة مرتبطة في أذهانهم وذكرياتهم بالإسلام، وحينئذ يتحول الإسلام من دعوة إلى ثارات تنسى معها فكرته الأساسية.

٣ - وربما كان ذلك أيضاً، اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت فلم تكن هناك نظامية عامة، هي التي تعذب المؤمنين إنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد، يعذبونه ويفتنونه ومعنى الإذن بالقتال - في مثل هذه البيئة أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت.. ثم يقال: هذا هو الإسلام! ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال ! فقد كانت دعاية كفار قريش في الموسم، في أوساط العرب القادمين للحج والتجارة: إن محمداً يفرق بين الوالد وولده فوق تفريقه لقومه وعشيرته! فكيف لو

---

(١) انظر منهج النبيﷺ في الدعوة: محمد أمحزون، مرجع سابق، ص١١٥، ١١٦.

كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد، والمولى بقتل الولي.

٤ – وربما كان ذلك أيضاً، لما يعلمه الله من أن كثيراً من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم، ويعذبونهم، هم بأنفسهم سيكونون من خيرة المسلمين الخلص، بل من قادته مثل عمر بن الخطاب ﷺ.

٥ – وربما كان ذلك أيضاً، لأن النخوة العربية، في بيئة قبلية من عادتها أن تثور للمظلوم الذي يتحمل الأذى، ولا يتراجع وخاصة إذا كان الأذى واقعاً على كرام الناس فيهم.. وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب.

٦ – وربما كان ذلك أيضاً لقلة عدد المسلمين حينذاك وانحصارهم في مكة، حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة، أو بلغت أخبارها متناثرة، حيث كانت القبائل تقف على الحياد، من معركة داخلية بين كفار قريش وبعض أبنائها، حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف.. ففي هذه لحال قد تنتهي المعركة المحدودة إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة حتى لو قتلوا هم أضعاف من يقتل منهم ويبقى الشرك وتنمحي الجماعة المسلمة، ولم يقم في الأرض للإسلام نظام، ولا وجد له كيان واقعي... وهو دين جاء ليكون منهج حياة، ونظاما صالحا لكل زمان ومكان.

٧- إنه لم تكن هناك ضرورة قاهرة ملحة، لتجاوز هذه الاعتبارات كلها، الأمر بالقتال، ودفع الأذى، لأن الأمر الأساسي في هذه الدعوة كان قائماً ومحققاً وهو "وجود الدعوة" ووجودها في شخص الداعية محمد ﷺ وشخصه في حماية سيوف بني هاشم، فلا تمتد إليه إلا وهي مهددة بالقطع ولذلك لا يجرؤ أحد على منعه من إبلاغ الدعوة وإعلانها في ندوات قريش حول الكعبة، ومن فوق جبل الصفا، وفي الاجتماعات العامة ولا يجرؤ أحد على سجنه أو قتله، أو أن يفرض عليه كلاماً بعينه يقوله، وحين طلب إليه أن يكف عن سب آلهتهم وعيبها لم يكف، وحين طلبوا إليه أن يسكت عن سب دين آبائهم وأجدادهم لم يسكت، وحين طلبوا إليه أن يدهن فيدهنوا

أي أن يجاملهم فيجاملوه، بأن يتبع بعض تقاليدهم يتبعوا هم بعض عباداته لم يدهن، إن هذه الاعتبارات كلها فيما نحسب كانت بعض ما اقتضت حكمة الله تعالى معه أن يأمر المسلمين بكف أيديهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة لتتم تربيتهم، وإعدادهم، وليقف المسلمون في انتظار أمر القيادة في الوقت المناسب، وليخرجوا أنفسهم من المسألة كلها، فلا يكون لذواتهم فيه حظ لتكون خالصة لله وفي سبيل الله، وأياً كانت حكمة الله من وراء هذه الخطة، فقد كان هناك المتحمسون يبدون لهفتهم على اللحظة التي يأذن الله فيها بالقتال[(١)].

ويمكن إضافة نقطة أخرى وذلك بأن المرحلة المكية كانت مرحلة تثبيت للعقيدة، وترسيخ لها في نفوس المسلمين وإثبات لوحدانية الله ﷻ، فإذا ما رسخت العقيدة في نفوس المسلمين وقوي الإيمان جاءت المرحلة الثانية وهي أمرهم بالقتال، كما أن المرحلة المكية تعتبر مرحلة انتقالية فهي مرحلة الانتقال من الكفر إلى الإيمان وهي مرحلة انتقالية بما فيها من عادات وتقاليد وعبادة وحياة، كما أن الرسول ﷺ كان حريصاً على إعداد الصحابة وتربيتهم على تحمل أعباء الدعوة في المرحلة القادمة منها، ولا ننسى أن عدد المسلمين في هذه المرحلة قليل، فإذا شرع القتال في هذه المرحلة يقضي على الإسلام في مهده، ولكن عندما قوي الإسلام وزادت أعداد المسلمين في الفترة المدنية شرع الله القتال واستطاع المسلمون القضاء على الكفر وأهله والله اعلم.

---

(١) انظر في ظلال القرآن: سيد قطب، مرجع سابق، ج٢، ص٧١٤، ٧١٥.

المبحث الثاني

البحث عن أماكن آمنة للدعوة

<u>ويشتمل على أربعة مطالب :</u>

المطلب الأول : الهجرة إلى الحبشة.

المطلب الثاني: خروج النبي ﷺ إلى الطائف.

المطلب الثالث: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل.

المطلب الرابع: هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.

* *   * *   * *

المبحث الثاني: البحث عن أماكن آمنة للدعوة

بعد أن بينت سابقاً موقف كفار قريش من الدعوة، وكيف أنها استخدمت كافة الأساليب ضد الدعوة، فلا بد من معرفة الطريقة التي واجه بها الرسول ﷺ تلك الأساليب، لقد ضاقت مكة ذرعاً بالرسول ﷺ وبأتباعه، وبدأت معهم حرباً ضارية من الكيد والإيذاء والمقاطعة، سبقت الإشارة إليها، ففكر الرسول ﷺ بالخروج بالدعوة من مكة، وكان الهدف من ذلك:

أولاً: البحث عن مكان آمن يأمن فيه المسلمون على دينهم، ويسلمون من أذى كفار قريش وفتنتهم، حيث لا تطالهم يدهم، ولا يمتد إليهم بطشهم.

ثانياً: البحث عن بيئة تقبل الدعوة، وتستجيب لها في مقابل عنت كفار قريش وكنودهم، ومن هذه البيئة تنطلق الدعوة إلى آفاق الأرض تحقيقاً لأمر الله بالتبليغ للعالمين، فأقدم الرسول ﷺ على عدد من الخطوات الكفيلة بإذن الله لتحقيق هذين الهدفين[1] منها الهجرة إلى الحبشة، وخروجه عليه الصلاة والسلام إلى الطائف ومن ثم هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة.



---

(١) انظر الغرباء الأولون: سليمان بن فهد العودة، دار ابن الجوزي، ط١، ص١٥٠، ١٥١ بتصرف.

المطلب الأول:
الهجرة إلى الحبشة

لقد كانت الخطوة الأولى التي اتخذها الرسول ﷺ من أجل حماية الدعوة وأصحابها، هي أنه أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وذلك حين رأى ما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم من البلاء، وما هو عليه من العافية، إذ إن الرسول ﷺ كان تحت حماية عمه أبي طالب، وكان لا يستطيع أن يرفع عنهم ما هم فيه من البلاء قال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله خرجا مما أنتم فيه "[1] فخرجوا عند ذلك رضي الله عنهم إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً بدينهم[2].

لقد ترك الصحابة رضي الله عنهم ديارهم وأهليهم استجابة لأمر رسول الله ﷺ، وحفاظاً على أنفسهم من الافتتان في الدين، وقد تعددت الأسباب المعللة لهجرة المسلمين للحبشة، وتتفق المصادر حيناً وتختلف حيناً آخر في ذكر سبب أو عدة أسباب لهذه الهجرة، وجميع هذه الأسباب المتناثرة والتأليف بينها يعطي صورة لأحوال المسلمين في مكة في تلك الفترة من جانب، ويحدد الأهداف التي من أجلها خرج المسلمون للحبشة من جانب ولعل أبرز هذه الأسباب ما يلي:

١-ظهور الإيمان وكثرة المسلمين[3].

منذ أن أعلن الرسول ﷺ دعوته بعد أن أنزل عليه قول الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[4] وأعداد المسلمين يزدادون يوماً بعد يوم، ولا شك أن

----

(١) سبق تخريجه، ص٦٤.

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٥.

(٣) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، ط١، ص١٥، ١٦.

(٤) سورة الحجر: الآية (٩٤).

هذا يقلق كفار قريش ويقض مضجعهم وهم يرون ظهور الإيمان، وكثرة المسلمين، فقد عملوا جاهدين لإيقاف مده[(١)].

يقول ابن سعد ~ : "لما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتُحُدِّث به ثار ناس كثير من المشركين بمن آمن من قبائلهم فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: "تفرقوا في الأرض، فقالوا: أين نذهب يا رسول الله؟قال ههنا، وأشار إلى الحبشة "[(٢)].

ويقول موسى بن عقبة ~ : "ثم إن قريشاً، ائتمرت[(٣)] رؤيتهم[(٤)] واشتد مكرهم، وهموا بقتل رسول الله ﷺ، أو إخراجه حين رأوا أصحابه يزدادون ويكثرون"[(٥)].

ولا شك أن كفار قريش يخشون أثر هذا المد، وتأثيره على من لم يسلم بعد، الأمر الذي دفعهم للتضييق على المسلمين مما دفعهم للهجرة إلى الحبشة.

٢-إيذاء كفار قريش وعدوانهم:

حين أحس كفار قريش بالخطر إثر ظهور الإيمان وكثرة المسلمين، وباءت كل محاولاتهم مع الرسول ﷺ وعمه أبي طالب بالفشل، وحيث إنه لم يكن بإمكانهم مقارعة الحجة بالحجة، أو سماع المحجة الصادقة، من نبي الأمة ﷺ عمدوا إلى أسلوب

(١) انظر الهجرة الأولى: مرجع سابق، ص١٥ بتصرف.

(٢) الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر بيروت، ج١، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٣) ائتمر القوم: بمعنى تشاوروا، انظر تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ج١٥، ص٢١٢.

(٤) أي أفْكَرَ وتأنَّى وهو افْتَعَل من رُؤْيةِ القلب أو من الرأْي، انظر النهاية: مرجع سابق، ج٢، ص٤٤٧.

(٥) دلائل النبوة: للبيهقي، خرج أحاديثه وعلق عليه عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ج٢، ص٢٨٥.

الإيذاء كي يتفرق المسلمون عن محمد ﷺ ويكرهوا الدين الجديد، واستخدموا سلطان القبيلة طريقاً للأذى والتعذيب[(١)].

قال ابن إسحاق ~ : "فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم "[(٢)].

وتضيف رواية موسى بن عقبة ~ افتتان بعضهم: "فكانت فتنة شديدة وزلزالاً، فمنهم من عصم الله، ومنهم من افتتن، فلما فعل بالمسلمين ذلك أمرهم رسول الله ﷺحين دخل الشعب مع بني عبد المطلب بالخروج إلى أرض الحبشة "[(٣)].

ويؤكد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في حواره مع نجاشي الحبشة نموذجاً لعدوان كفار قريش، والتي سيتم بيانه إن شاء الله في الفصول القادمة فقال: " ولما قهرونا وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.."[(٤)].

وقد ذكرت سابقاً نماذج لإيذاء المؤمنين قبل هجرة الحبشة تكشف عن عدوان كفار قريش فلما بلغ أذى المشركين للمسلمين مبلغه، ولم يكن بمقدور النبي ﷺ أن يمنعهم كان في الهجرة للحبشة مخرج لهم[(٥)].

والذي يقرأ أسماء من هاجر إلى الحبشة أولاً، وثانياً، ويعرف أنسابهم، وبيوتهم، وأحوالهم الاجتماعية، ومكانتهم في أقوامهم يعلم علم اليقين أن هجرتهم أرفع من أن

----

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص١٧، ١٨.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٢.

(٣) دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٨٥.

(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٦.

(٥) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص١٧-٢٠بتصرف.

تكون بمجرد الفرار من الأذى، أو لمجرد الهرب، مما يلقون من البلاء، وإنما كانت هجرة قوم آمنوا بالله رباً وبنبيه محمد ﷺ رسولاً[1].

٣-الفرار بالدين[2]:

لم يكن الأذى الجسدي الواقع على المسلمين بمكة هو السبب الأول في الهجرة، بل هناك سبب أقوى منه ألا وهو الفرار بالدين خشية الافتتان فيه، فالفرار بالدين كان من أهم أسباب الهجرة إلى الحبشة، كيف لا يكون ذلك والإيمان أغلى ما يملكه الإنسان في هذه الحياة، فالمهاجرون يعرفون قدر الإسلام والإيمان، فهم لتوهم خرجوا من حمأة الجاهلية وظلمات الكفر، ويقدر الإسلام حق قدره من عاش فترة في الجاهلية فيفر حتى ولو كان على حساب الأهل والعشيرة، والمال والوطن[3]، قال ابن إسحاق ~ : "فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم."[4] فسلامة الدين وتحقيق العبودية لرب العالمين هدف ينشده المسلمون ومن أجله يخرجون، حتى ولو كان لبعضهم ما يشفع له بالمقام ويتسع له المكان، ويؤخذ بالجوار[5].[6]

وقد ذكر البيهقي ~ ما يجلى هذه الفتنة الواقعة على المسلمين وكانت من أسباب إذن الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة: " واشتدوا على من اتبعه، على دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة وزلزالاً شديداً فمنهم من عصم الله ومنهم من افتتن، فلما حصل بالمسلمين ذلك أمرهم رسول الله ﷺ حين دخل الشعب

---

(١) انظر محمد رسول الله ﷺ: محمد الصادق عرجون، دار القلم، ج٢، ص١١، ١٢.

(٢) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٢٢.

(٣) المرجع السابق: ص٢٢.

(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٥.

(٥) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٢٣.

(٦) كما قال ابن الدغنة لأبي بكر رضي الله عنه، وأجاره وسيتم بيان ذلك في الحديث عن هجرته.

مع بني عبد المطلب بالخروج إلى أرض الحبشة "[١].

وفي حوار جرى بين مصعب بن عمير[٢] ﷺ وأمه، ما يكشف عن ظروف الهجرة، ويؤكد خشية الفتنة، وذلك حين بلغ أمه مقدمه إلى مكة من المدينة مع السبعين من الأنصار الذين وافوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية وكان - كما في الرواية - حين قدم مكة جاء إلى منزل رسول الله ﷺ أولاً ولم يقرب منزله، يخبر رسول الله ﷺ عن الأنصار وإسلامهم، فأرسلت إليه أمه تقول: يا عاق أتقدم بلداً أنا فيه "لا تبدأ بي؟ فقال: ما كنت لأبدأ بأمر قبل رسول الله ﷺ، فلما سلم على رسول الله ﷺ وأخبره بما أخبره ذهب إلى أمه فقالت: إنك لعلى ما أنت عليه من الصبأة بعد! قال: أنا على دين رسول الله ﷺ، وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله ﷺ، قالت: ما شكرت ما رئتك مرة بأرض الحبشة، ومرة بيثرب فقال: أفر بديني أن تفتنوني[٣].

وهكذا يُلخص مصعب أسباب الهجرة والغربة بالفرار بالدين، وفي شعور المسلمين وهم بالحبشة بالأمن على دينهم، ما يؤكد الفتنة الحاصلة لهم بمكة[٤].

فقد ذكر ابن سعد ~ أن المهاجرين قالوا: "وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار، أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه"[٥].

وأكد هذا السبب في الهجرة الثانية حين هاجر جعفر ومن معه فقال:

---

(١) دلائل النبوة: للبيهقي ومرجع سابق، ج٢، ص٢٨٥.

(٢) مصعب بن عمير: ابن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي بن كلاب العبدري يكنى أبا عبدالله، كان أنعم غلام بمكة، وأجوده خله مع أبويه، أسلم قديماً والنبي ﷺ في دار ا لأرقم، وكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فعلمه عثمان بن طلحة، فأعلم أهله فأوثقوه، فلم يزل محبوساً إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدراً ثم شهد أحداً ومعه اللواء فاستشهد، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٩٨.

(٣) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج٣، ص١١٩.

(٤) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٢٢-٢٥بتصرف.

(٥) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٤.

"خرج جعفر بن أبي طالب ﷺ في رهط من المسلمين عند ذلك فراراً بدينهم أن يفتنوا عنه إلى أرض الحبشة "[1].

بل ذكر ابن إسحاق ~ أن الفتنة حين الهجرة الثانية كانت أشد منها حين كانت الهجرة الأولى للحبشة، فقال: "فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة "[2].

وقال الواقدي رحمة الله: "فكانت خرجتهم الآخرة أعظمها مشقة ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى "[3].

٤ - البحث المبكر عن مكان آمن للمسلمين[4]:

لقد سعى عليه الصلاة والسلام للبحث عن مكان آمن للمسلمين، يستطيعون فيه إقامة شعائر دينهم، ويقومون بما يجب عليهم تجاه هذا الدين من واجب الدعوة إلى الله، وذلك بعد أن أصبحت مكة غير آمنة بسبب محاربة كفار قريش للمسلمين ومحاولتهم القضاء على الدعوة، فالحفاظ على الإسلام، يستوجب الحفاظ على هؤلاء الصفوة المؤمنة والبحث لهم عن مكان آمن يستترون به عن أعين الكفار والمناوئين ريثما يشتد عود الإسلام وتهدأ العاصفة كل ذلك ضرورة تحتمها هذه المرحلة بمكة.

وهذا الدين هو رسالة الله الأخيرة في الوجود ورسالة محمد ﷺ ليست للعرب وحدهم بل للناس كافة ولئن ضاقت فجاج مكة بالمؤمنين أو تطير القرشيون

---

(١) دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٩٣.

(٢) السير والمغازي: لابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ص٢١٣.

(٣) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٧.

(٤) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٢٧.

بمحمد ﷺ ومن آمن معه، فأرض الله واسعةً [١].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [٢].

وقد ظل رسول الله ﷺ يفكر في البحث عن مكان آمن للدعوة والمؤمنين بها، قبل ذهابه للطائف، وقبل هجرته للمدينة، ولاسيما حين اشتد أذى المشركين عليهم [٣] فالرسول ﷺ عندما أمر أصحابه رضي الله عنهم بالهجرة إلى الحبشة لم يكن دون علمه عليه الصلاة والسلام بأن الحبشة هي المكان الآمن لأصحابه، بل كان عن دراسة وتخطيط ومعرفة منه عليه الصلاة والسلام بأحوال الحبشة، سبقها التوجيه الإلهي ففي ظل تلك الظروف التي مرت على المسلمين نزلت سورة الكهف، والتي بينت شأن أولئك الفتية الذين فروا من مليكهم الظالم، فقد كانت سورة الكهف إرشاداً للمؤمنين ووضحت لهم الطريق الذي ينبغي لهم أن يسلكوه في مثل تلك الظروف.

وفعلاً فقد وجد المهاجرون في أرض الحبشة ما أمنهم وطمأنهم وفي ذلك تقول أم سلمة < : "لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه "[٤].

والمهاجرون بأرض الحبشة مع أمنهم يؤدون دوراً مهماً في نشر رسالة الإسلام ويكفيهم أن يدخل الملك في دينهم وأن يساندهم في مهمتهم، ويشيع ذكر القرآن والإسلام، وويتقلص دور النصرانية ويتلاشى الإنجيل المحرف، حتى إذا تغير الحال، وظهر الإنفراج في ميدان الصراع لصالح المسلمين، واستسلم كفار قريش واعترفوا بقوة المسلمين وصالحوهم، وتضمنت بنود الصلح أن تضع الحرب أوزارها بين

----

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٢٧.

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٥٦).

(٣) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق: ص٢٨.

(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٤.

الطرفين لمدة عشر سنين وأصبحت المدينة آمنة فلا بد من طلب المهاجرين وعودتهم ومشاركتهم في بناء الدولة ومساهمتهم في نشر الإسلام، وهنا تصبح (المدينة) كـ(الحبشة) آمنة، وحينها يعود المهاجرون للمساهمة في بناء دولة الإسلام[1].

٥ - نشر الدعوة خارج مكة[2]:

على أن هذا الأمن للمهاجرين في الحبشة لا ينبغي أن يفهم أنه لذوات أنفسهم، ولا أنه للنجاة من أذى المشركين فحسب وإن كان ذلك مطلباً، بل وراءه التوفر والتفرغ للدعوة لدين الله ونشر الإسلام في آفاق الأرض، وأساس ذلك طبيعة رسالة الإسلام الخاتمة والعامة، ومن مستلزمات ذلك أن تبلغ هذه الرسالة الأحمر والأسود، وحين تضيق أرض أو تستغلق قلوب فلا بد من الهجرة إلى أرض أخرى، ولابد من مخاطبة عقول آخرين، وكذلك كان من أسباب وأهداف هجرة المسلمين للحبشة نشر الدين وتبليغ الدعوة للآخرين[3].

ولقد استنتج عدد من الباحثين المحدثين من أحداث السيرة ونوعية المهاجرين ما يؤكد وجهة النظر تلك، يقول سيد قطب ~ : "ومن ثم كان بحث الرسول ﷺ عن قاعدة أخرى غير مكة، قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية، ويتاح فيها أن تخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة، حيث تظفر بحرية الدعوة وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديري كان هو السبب الأول والأهم للهجرة، ولقد سبق الاتجاه إلى يثرب لتكون قاعدة للدعوة الجديدة عدة اتجاهات سبقها الاتجاه إلى الحبشة، حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل، والقول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية، فلو كان الأمر كذلك

----

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٣٠.

(٢) انظر المرجع السابق: ص٣١.

(٣) انظر المرجع السابق: ص٣١.

لهاجر إذن أقل الناس وجاهة وقوة ومنعة من المسلمين، غير أن الأمر كان على الضد من هذا فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا إنما هاجر رجال ذوو عصبيات، لهم من عصبيتهم في بيئة قبلية – ما يعصمهم من الأذى ويحميهم من الفتنة، وكان عدد القرشيين يؤلف غالبية المهاجرين، فمنهم جعفر بن أبي طالب وأبوه وفتيان بني هاشم معه هم الذين كانوا يحمون النبي ﷺ، ومنهم الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة المخزومي وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.. وغيرهم، وهاجرت نساء كذلك من أشرف بيوتات مكة ما كان الأذى ينالهن أبداً، وربما كان وراء هذه الهجرة أسباب أخرى كإثارة هذه في أوساط البيوت الكبيرة في قريش وأبناؤها الكرام المكرمون يهاجرون بعقيدتهم، فراراً من الجاهلية، تاركين وراءهم كل وشائج القربى، في بيئة قبلية تهزها هذه الهجرة على هذا النحو هزاً عنيفاً، وبخاصة حين يكون من بين المهاجرين مثل أم حبيبة بنت أبي سفيان، زعيم الجاهلية، وأكبر المتصدين لحرب العقيدة الجديدة وصاحبها، ولكن مثل هذه الأسباب لا ينفي احتمال أن تكون الهجرة إلى الحبشة أحد الاتجاهات المتكررة في البحث عن قاعدة حرة، أو آمنة على الأقل للدعوة الجديدة وبخاصة حين نضيف إلى هذا الاستنتاج ما ورد عن إسلام نجاشي الحبشة، ذلك الإسلام الذي لم يمنعه من إشهاره نهائياً إلا ثورة البطارقة عليه – كما ورد في روايات صحيحة "[1].

ويوافق سيد قطب ~ في نظريته الأستاذ منير الغضبان ويضيف قائلا: "هذه اللفتة العظيمة من سيد ~ لها من السيرة ما يعضدها ويساندها، وأهم ما يؤكدها في رأيي هو الوضع العام الذي انتهى إليه أمر مهاجرة الحبشة، فلم نعلم أن رسول الله ﷺ قد بعث في طلب مهاجرة الحبشة حتى مضت هجرة يثرب وبدر وأحد والخندق، والحديبية.

لقد بقيت يثرب معرضة لاجتياح كاسح من قريش خمس سنوات وكان آخر

----

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٢٩.

هذا الهجوم والاجتياح في الخندق، وحين اطمأن رسول الله ﷺ إلى أن المدينة قد أصبحت قاعدة أمينة للمسلمين وانتهى خطر اجتياحها من المشركين عندئذ بعث في طلب المهاجرين من الحبشة، ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله ﷺ لو سقطت يثرب في يد العدو "[1].

أما الأستاذ دروزة فيميل إلى أن فتح المجال للدعوة في الحبشة كان سبباً من أسباب الهجرة حيث يقول: "بل إنه ليخطر بالبال أن يكون من أسباب اختيار الحبشة النصرانية أمل ووجود مجال للدعوة فيها، وأن يكون هدف انتداب جعفر متصلاً بهذا الأمل، ولعل فيما روي أكثر من مرة عن إسلام النجاشي وغيره من الأحباش ووفادة بعضهم على النبي ﷺ مسلمين مستطلعين ما يستأنس به على هذا الخاطر، إذ يرى أثر نجاح لهذه الدعوة في هاتيك الديار"[2].

وأذهب أنا إلى ما ذهب إليه الأساتذة الفضلاء أنه كان من أهم أسباب الهجرة إلى الحبشة هو نشر الدعوة خارج مكة وأضيف بأن الدعوة الإسلامية هي دعوة عالمية لا تختص فقط بالقرشيين فمنذ أن صدع الرسول ﷺ بالدعوة وأُذن بدين جديد يعم مشارق الأرض ومغاربها، فكان لابد من نشر هذا الدين العالمي، وكان أول فوج قام بهذه المهمة العظيمة هم مهاجروالحبشة الذين يعتبرون أول وفد إسلامي ينشر الدعوة خارج مكة فلو كان المقصود من الهجرة هو الفرار من الأذى لكان لزاماً حين هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة واستقر هناك إن يبعث إلى مهاجري الحبشة للحاق به إلى المدينة، وهذا لم يحصل إلا بعد مرور فترة من الزمن، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أن مهاجري الحبشة كانت لديهم مهمة الدعوة إلى دين الله وعندما انتهت هذه المهمة أمر الرسول ﷺ برجوعهم إلى المدينة.

وإلى ما سبق فإنني أستنتج سبباً آخر في هجرة الصحابة ﷺ إلى الحبشة ألا وهو:

---

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير الغضبان، دار الوفاء، ص٥٠، ٥١.

(٢) سيرة الرسول ﷺ: محمد عزة دروزه، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الانصاري، ج١، ص٢٦٥.

٦- الحرية الدينية في ممارسة العبادة:

من خلال تتبع أحوال المهاجرين في مكة تبين أنهم كانوا لا يستطيعون أداء شعائر دينهم بكل حرية، وذلك بسبب مضايقة كفار قريش لهم لذلك كان من الأسباب التي جعلت الصحابة يهاجرون إلى الحبشة هو البحث عن مكان آمن يستطيعون من خلاله ممارسة عبادتهم بكل حرية، ودون خوف من أحد.

إن الحرية في ممارسة العبادة مطلب مهم في حياة الإنسان فمنذ أن نزل الوحي على الرسول ﷺ وأخذ يدعو قريشا إلى الإسلام، والمسلمون يخفون إسلامهم ولا يستطيعون ممارسة عبادتهم خوفاً من كفار قريش، فما إن يعلم المشركون بإسلام أحد، إلا وتسلطوا عليهم بالعذاب والتنكيل، لذلك اتخذ الرسول عليه الصلاة والسلام من درا الأرقم مقراً لهم يجتمع فيه مع أصحابه، كما ذكرت سابقاً.

لقد حاصر كفار قريش أصحاب النبي ﷺ، حتى إن الواحد منهم كان لا يستطيع أن يقرأ القرآن فقد ذكر ابن إسحاق ~ ما كان حدث لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه حين جهر بالقرآن حيث قال: "كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبدالله بن مسعود: أنا . قالوا: إنا نخاشهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله سيمنعني: قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم " رافعاً بها صوته فقرأ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾[1] ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأملوه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك، فقال، ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: لا، حسبك، قد

(١) سورة الرحمن: الآية (١، ٢).

أسمعتهم ما يكرهون"[١] ولا ينسى ما قد حدث لأبي بكر ﷺ، حين طلب من الرسول ﷺ الظهور في المسجد، وما كان قد حدث له من جراء ذلك [٢].

حتى إن الرسول ﷺ والذي كان في منعةٍ من عمه لم يسلم من ذلك الأذى عندما كان يظهر عبادته فها هو الشقي عقبة بن أبي معيط يضع سلا الجزور على ظهره وهو يصلي[٣] لقد حارب كفار قريش أصحاب رسول الله ﷺ فلم يستطيعوا أن يؤدوا شعائر دينهم، فكان المخرج لهم من ذلك هو الهجرة إلى الحبشة، فقد وجد الصحابة ﷺ في تلك الهجرة رغم ما فيها من المشقة والغربة وترك الأهل والوطن ما كانوا يرجونه من الأمن، والابتعاد عن الافتتان في الدين والحرية في ممارسة العبادة، بل إنهم قاموا كذلك بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وقد ذكرت ذلك أم سلمة < وهي تصف حال المهاجرين، وكيف أنهم وجدوا في أرض الحبشة الأمن الذي استطاعوا من خلاله أن يعبدوا الله بكل حرية فقالت: "لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه"[٤].

وقد ذكر الأستاذ صادق عرجون مقاصد لهذه الهجرة يمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: البعد عن مواطن الافتتان في الدين للذين لا يستطيعون رد الاعتداء تمسكاً بعرى الصبر، إلى أن تتمكن الدعوة من توطيد أقدامها في السير إلى غايتها قوية، فهي هجرة إلى دعوة ونقلة إلى رجعة، ومخرج من ضيق إلى فرج.

ثانياً: البعد عن إثارة المعوقات في طريق سير الرسالة، وتبليغ دعوتها، لأن المؤمنين المهاجرين كانوا في كثرتهم من شباب قريش خاصة، وشباب قبائل العرب

----

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٠.

(٢) انظر السيرة الحلبية: مرجع سابق، ج١، ص٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) انظر صحيح البخاري:، ج١، ص٢٧٧، وانظر صحيح مسلم، ج٣، ص٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٤.

عامة، تملؤها النخوة والحمية والأنفة من الرضا بالضيم، والاستسلام للظلم، وربما نفذ صبرهم، وضاقت أنفسهم بما يلقون من جور واستبداد بهم، فتدفعهم طبيعتهم البشرية، وحميتهم العربية إلى مقاومة الظلم، ورد الاعتداء، كما وقع في قصة سعد بن أبي وقاص ﷺ الآنفة الذكر فلو تكرر ذلك وفي المسلمين كثرة من أمثال سعد حمية وأنفة - لكان فيه شغل شاغل لرسول الله ﷺ، ولأصحابه عن السير بالدعوة في طريق التبليغ بعيدة عن المعوقات ومكان فيه مصادمة لحكمة الاستمرار بالدعوة، لتجتذب إلى ساحتها أصحاب القلوب الواعية، والقلوب السليمة الذين تتكون منهم كتائبها عندما تسنح الفرصة لظهورها والجهر بها، وهي قوية الشكيمة، ثابتة الدعائم، وطيدة الأركان.

ثالثاً: تخفيف الأزمات النفسية التي كانت - لو استمر المهاجرون في بقائهم بمكة، لم يهاجروا - تضيف أعباء جديدة إلى الأعباء التي يتحملها رسول الله ﷺ في تلقي الوحي برسالته، وحمل أمانة تبليغها والإنذار بها، وهو يرى أصحابه ﷺ يؤذون أشد الأذى، ويعذبون أقسى العذاب، ولا يستطيع منعهم وحمايتهم مما يلاقون، دون أن يؤذن لهم في رد الاعتداء.

رابعاً: إفساح المجال أمام رسول الله ﷺ للسير بالدعوة قدماً في طريق التبليغ، ولاشك أن هجرة من هاجر من المسلمين كان فيها هذا الإفساح الذي يخفف من الأعباء النفسية التي تشغل رسول الله ﷺ بالتفكُّر في أمرهم، وهم يتعرضون للفتنة في دينهم بما ينالهم في أنفسهم من شديد الأذى، وفادح البلاء(١).

وتستمر مسيرة الرسول ﷺ في البحث عن أماكن آمنة للدعوة، فيعزم الرسول ﷺ على الخروج إلى الطائف، لعله يجد المكان الآمن لدعوته.

---

(١) انظر محمد رسول الله ﷺ: الصادق عرجون، مرجع سابق، ج٢، ص١٠، ١١.

المطلب الثاني:
خروج النبي ﷺ إلى الطائف

انتهى رسول الله ﷺ من مصاولة المشركين في مكة ودعوتهم، فلم يستجيبوا، فآذوه أشد الإيذاء، وحاربوه، وبلغ الأذى غايته ونهايته، وقد أوصدوا أبواب الهداية عن نفوسهم في طريق الرسول ﷺ، وهو حريص عليهم، وعلى نجاتهم وفوزهم، فلا القريب يستجيب، ولا البعيد يرحم، ولا صاحب الرأي يحمله رأيه ليفاوض هذا النبي الأمي عليه الصلاة والسلام.

تلقى رسول الله ﷺ الأذى بكل أصنافه وأنواعه: الأذى القولي، والفعلي، وأذى الدعاية المشوهة لدعوته ولرسالته ولعرضه ولسمعته ولرأيه وعقله ﷺ، إلَّا أنَّه قابل ذلك بالصبر وعدم اليأس والإحباط(١).

أدرك الرسول ﷺ أن لا مقام له في مكة خصوصاً بعد موت عمه وزوجه خديجة < ، فقادة مكة من المشركين أصروا على مواقفهم، والمسلمون موزعون بين الحبشة وبين مكة مضطهدون، والأمر محصور في الدعوة دون تغير في الواقع القائم، فكان لابد من البحث عن مكان آمن تنطلق منه الدعوة، وكان أقرب المواقع لمكة الطائف، فمضى رسول الله ﷺ إليها(٢).

قال ابن إسحاق ~ : "ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله ﷻ، فخرج إليهم وحده .ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن

---

(١) انظر قصة الرسالة: عائض القرني، مؤسسة الريان، ص١٠٩ بتصرف.

(٢) انظر المنهج الحركي للسيرة النبوية: الغضبان، مرجع سابق، ص٩٩.

عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنبره بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم، هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر! أما وجد الله أحداً يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً. لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أردَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم فيما يذكر لي - إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه، فيذئرهم(١) ذلك عليه"(٢).

لقد ذهب الرسول ﷺ إلى ثقيف وكان يرجو أن يجد عندهم قبولاً لدعوته، فبدأ بأشراف القوم وذلك لأنه إذا صلح الحاكم صلحت رعيته وإذا فسد فسدت رعيته إلَّا أنهم لم يقبلوا دعوته، بل لقد استهزأوا به عليه أفضل الصلاة والسلام، فلما يئس الرسول ﷺ منهم طلب منهم كتمان أمره هذا حتى لا يعلم كفار قريش بفعلهم هذا، فيزيدون في إيذائه ويتجرؤون عليه أكثر، إلَّا أنهم لم يفعلوا ذلك بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من كان يتبعه فعمد إلى ظل حبلة(٣) من عنب يجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف(٤).

لقد أخذ الرسول ﷺ بأسباب الحيطة والحذر، وطلب من هؤلاء القوم بعدم

(١) يذئرهم عليه: يجرئهم عليه، انظر الصحاح في اللغة: الفرابي، ج١، ص٢٢٢.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٤٦.

(٣) الحبلة: الكروم، وهي ثمرة من فصيلة القطنيات كالفول والعدس والفاصوليا وغيرها، وتكون ذات فلقتين وبضع بذرات وهي تتفتح عندما تنضج، انظر المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج١، ص١٥٣.

(٤) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧.

إفشاء سره وكتمان أمره، لكن كان شأن هؤلاء القوم شأن العدو فقد أفشوا سر رسول الله ﷺ ولم يكتفوا بذلك بل قد أغروا به سفهاءهم وصبيانهم يرجمونه بالحجارة عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد حزن الرسول ﷺ ولم يكن حزن الرسول ﷺ ناجماً عن سوء المعاملة الذي عومل بها من قبل القوم وما أصابه من الأذى منهم، وإنما كان لعدم قبول دعوته، فإن كان أهل الطائف قد أعرضوا عن الحق ولم يؤمنوا، فإن هناك من يعرف الحق ويطلبه، وفي قصته ﷺ مع النفر من الجن ما يوضح ذلك، قال ابن إسحاق ~ : "ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة(١) قام من جوف الليل فمرّ به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن أهل نصيبين(٢) فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه ﷺ. قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾(٣)، إلى قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾(٤) وقال ﷻ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾(٥) إلى آخر القصة في هذه السورة"(٦)(٧).

---

(١) بنخلة بفتح النون وسكون المعجمة موضع بين مكة والطائف على ليلة من مكة وهي التي ينسب إليها بطن نخل، انظر فتح الباري، مرجع سابق، ج٨، ص٦٧٤.

(٢) قاعِدَةُ دِيارِ رَبيعَةَ، انظر القاموس المحيط، مرجع سابق، ج١، ص١٧٧.

(٣) سورة الأحقاف: الآية (٢٩).

(٤) سورة الأحقاف: الآية (٣١).

(٥) سورة الجن: الآية (١).

(٦) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨.

(٧) قال ابن القيم الجوزية ~ : "بأن ما ذكره ابن إسحاق ~ في كون استماع الجن للقرآن كان تلك الليلة مرجعه من الطائف، وفيه نظر، فإن استماعهم كان ابتداء المبعث قبل خروجه ﷺ إلى الطائف بسنين، نبه =

لقد قيض الله ﷻ هؤلاء الجن ليستمعوا إلى رسول الله ﷺ ويؤمنوا ويولوا إلى قومهم منذرين.

لقد أطلع الله نبيه محمداً ﷺ بإسلام هؤلاء الجن حتى تطيب نفسه، مما يقوي عزيمته، إن قصة هؤلاء الجن لتدل دلالة واضحة بأن دعوة محمد ﷺ ليست دعوة خاصة فإنما هي دعوة عالمية حتى إنها شملت الجن، فالرسول ﷺ مرسل إلى الثقلين الجن والإنس.

لقد رجع سول الله ﷺ إلى مكة وهو مهموم وحزين، لعدم قبول دعوته، وكان ذلك أشد ما لقى رسول الله ﷺ فقد ذكرت أم المؤمنين عائشة < ، ما أصاب رسول الله ﷺ في الطائف يقول عروة ﷺ: " إِنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ يَا رَسُولَ الله هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ فَقَالَ: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِى عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِى إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ(١) فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِى فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ

= على ذلك ابن كثير ~ في تفسيره. انظر (٤/ ٢٠٦) وقد روى البخاري في صحيحه ومسلم من حديث ابن عباس قال: "انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ... وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فتراجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم، قال: حيل بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، خمسة النفر الذين أخذوا بنحو تهامة، إلى رسول الله ﷺ بنخله، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً فأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: (قل أوحي...). وانظر: ما كتبه الحافظ في الفتح (٨/ ٧٦٣) المرجع: زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق، ص٣٣.

(١) قرن: ميقات أهل نجد، ويقال له قرن المنازل بفتح الميم، وقرن الثعالب، وأصل القرن أنه كان جبلا صغيرا انقطع من جبل كبير، انظر تهذيب الأسماء والصفات: النووي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج١، ص١٣٦٨.

فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ[1] ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »[2].

لقد أرسل الله ﷻ إلى نبيه جبريل عليه السلام ليخبره بأن الله سمع ورأى ما أصابه من القوم وأنه معه ومطلع على ما دار بينه وبين القوم، وفي ذلك مواساة لرسول الله ﷺ وتخفيف عنه لما أصابه وطلب منه أن يأمر ملك الجبال ليطبق عليهم الأخشبين فما كان من النبي ﷺ وهو في هذه الحالة من التعب الجسمي والنفسي وقد حانت له فرصة الانتقام لنفسه، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك وهو الرحيم بأمته والموقن بنصر الله وأنه سيتم دينه ويخرج من أصلاب هؤلاء من يوحد الله ويعبده.

فلما دخل رسول الله ﷺ مكة قال له زيد بن حارثة وكان رفيقه في رحلته إلى الطائف: كيف تدخل عليهم، يعني كفار قريشٍ وهم أخرجوك؟ فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه، ثم انتهى إلى حراء، فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي: أدخل في جوارك؟ فقال: نعم، فدعا بنيه وقومه، فقال: تلبّسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول الله ﷺ، ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام فقام مطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم، فانتهى

---

(١) هما جبلا مكة قعيقعان وأبو قبيس سميا بذلك لعظمهما وخشونتهما، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١، ص٧٦ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب إذا قال أحدكم آمين، ج٤، ص٥٥٨، حديث رقم (١٣٩٥) وصحيح مسلم: كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى من المشركين والمنافقين، ج٣، ص٢٨٩، حديث رقم (٤٦٧٦).

رسول الله ﷺ، إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين وانصرفا إلى بيته، ومطعم بن عدي وولده مطيقون به "[1].

لقد رجع رسول الله ﷺ إلى مكة، بعد رفض أهل الطائف الدعوة، ولكن رسول الله ﷺ رجع إلى مكة وهو مطمئن النفس واثق بنصر الله خصوصاً بعد إسلام والجن ودخل مكة بجوار المطعم بن عدي لقد أجار مطعم رسول الله ﷺ، بينما رفض الأخفش بن شريق الإجارة وتعلل بأنه حليف والحليف لا يجير، كذلك رفض سهيل بن عمرو بقوله: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، لقد أقدم المطعم بن عدي على هذه الخطوة وهو يعلم مدى خطورتها.

فقد يعادي قريشا كلها من أجل هذه الإجارة، إذ أي اعتداء يقع على محمد ﷺ لابد أن يرد هذا الاعتداء، ولو أدى الأمر إلى حرب بينه وبينهم، وقد كان للمطعم كذلك موقف مشرف حين قام مع نفر من قريش في نقض الصحيفة الظالمة إن المطعم بن عدي كافر لا يختلف في عقيدته أبداً عن بقية قريش وإن أبا جهل وأبا لهب كافران كذلك مثل المطعم، لكن الفرق بين النوعية واضح: كافر مسالم مناصر للمسلمين، وكافر عدو ومحارب، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: "وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ"[2].

لقد حفظ رسول الله ﷺ هذا الصنيع للمطعم، فقَالَ: "فِي أُسَارَى بَدْرٍ لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ "[3].

----

(١) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢١٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب إنَّ الله يؤيِّد الدِّين بالرجل الفاجر، ج٤، ص٤٩٤، حديث رقم (١٢٣٧).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الخمس، باب ما منَّ النَّبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس، ج٤، ص٥٢٠، حديث رقم (١٣٠٩)، وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ج٥، ص١٨٣، حديث رقم (٥١٧).

إن حماية المطعم، كانت محصورة على الحماية الشخصية لا على حرية الدعوة، لذلك كان رسول الله ﷺ يبحث عن موطن آخر يستطيع أن ينطلق منه للدعوة في سبيل الله[١].

وأما خروج النبي ﷺ إلى الطائف فكان من أجل تحقيق هدفين هما:

أولاً: طلب النصرة والمنعة للدعوة، خصوصاً بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان يناصره ويمنعه كما ذكر ذلك ابن إسحاق ~ حيث قال: "فخرج رسول الله إلى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه "[٢].

ثانياً: البحث عن مكان آمن للدعوة، خصوصاً بعد أن أصبحت مكة غير آمنة، وتكون ثقيف قاعدة جديدة للانطلاق ونشر الدعوة.

وأما سبب اختيار النبي ﷺ للطائف دون غيرها:

فلأن سكان الطائف منقسمون على أنفسهم وفيهم عشيرتان بارزتان هم بنو مالك والأحلاف فكانت علاقتهم أوثق بمكة، وكانت قبيلة ثقيف بالطائف تتاجر بالسفر مسافات شاسعة بالتعاون غالباً مع قريش، وكان كثير من أغنياء مكة يملكون الأملاك في الطائف ويقضون فيها فصل الصيف، فالوليد بن المغيرة كان من الأغنياء في قريش ويملك البساتين في الطائف، كذلك البستان الذي نزل به الرسول ﷺ بعد إيذاء أهل الطائف، كان لأبناء ربيعة وهم من القرشيين، وكانت قبيلتا هاشم وعبد شمس على اتصال مستمر مع الطائف، كما كانت مخزوم تربطها مصالح مالية مشتركة مع ثقيف، وكان القرشيون يقرضون الأموال للثقفيين رباً فاحشاً لذلك حين لاحظ الرسول ﷺ أن مصالح المكيين فيها، أراد أن يضرب اقتصاد القرشين بنشر الإسلام فيها ليفصلهم عن أهل مكة، وكذلك يهدد تجارتهم مع اليمن يضاف إلى ذلك أن

(١) انظر المنهج الحركي للسيرة النبوية: مرجع سابق، ص١٠٢، ١٠٣.

(٢) السيرة النبوية: لابن إسحاق، مرجع سابق، ج٢، ص٤٦.

الرسولﷺ حاول اتخاذ الطائف قاعدة لما فيها من مزايا استراتيجية ومحاولة استغلالها واستغلال حالة التبعية لأثرياء قريش حيث يعيش المستضعفون أوضاعاً أسوأ من أوضاع أمثالهم في مكة، كذلك عبيدها لأنها بيئة زراعية صناعية(١).

وقد يكون قصد رسول الله ﷺ إلى الطائف، إما لأنه المركز الثاني للقوة والسيادة في الحجاز بعد مكة، قول الوليد بن المغيرة: "ينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين)(٢) أو لأن أخواله ﷺ من ثقيف فقد رضع في بني سعد وهم بمقربة من الطائف وفيهم مراضعه وحواضنه فخرج إلى الطائف "يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه"(٣).



----

(١) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام: مرجع سابق، ص١٦٨.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: للطبري، مرجع سابق ، ج١، ص٥٥٤.

المطلب الثالث:
عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل

لقد رجع النبي ﷺ من الطائف بعد أن تعرض للأذى من قومها، ومع ذلك فإن ما حصل له لم يثنه عن مقصده بل لقد استمر في دعوته وأخذ يبحث عن مكان آمن لدعوته فبدأ يعرض نفسه على القبائل، قال ابن إسحاق ~ : "ثم قدم رسول الله ﷺ مكة، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلاف وفراق لدينه، إلا قليلاً مستضعفين، ممن آمن به فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه الله به"(١) فما كان من كفار قريش إلا أنهم ازدادوا في إيذاء النبي ﷺ بعد رجوعه من الطائف ولم يكتفوا بذلك بل حين كان يعرض نفسه على القبائل تعرض للأذى كذلك، فكان لا يدعو قبيلة إلا ويخلفه أبو لهب ويكذبه، فعن ربيعة بن عباد الديلي، وكان جاهليا أسلم فقال: "رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه فما رأيت أحدا يقول شيئا وهو لا يسكت يقول أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا إلا أن وراءه رجلا أحول وضيء الوجه ذا غديرتين(٢) يقول إنه صابئ كاذب فقلت من هذا قالوا محمد بن عبد الله وهو يذكر النبوة قلت من هذا الذي يكذبه قالوا عمه أبو لهب قلت إنك كنت يومئذ صغيرا قال لا والله إني يومئذ لأعقل"(٣)

وقد كان أبو لهب وأبو جهل لعنهما الله يتناوبان على أذية رسول الله ﷺ عندما

---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨.

(٢) الغَدِيرةُ: الضَّفِيرَةُ من ذَوائِبِ الرَّأْسِ، انظر تاج العروس، مرجع سابق، ج١٢، ص٤٠٧.

(٣) أخرجه أحمد، ج٣، ص٤٩٢ ، حديث رقم (١٦٠٦٣).

وقال المحقق: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

يدعو في الأسواق والمواسم[1]، وكان يجد منهما عنتاً كبيراً، إضافة إلى ما يلحقه من المدعوين أنفسهم، فقد أطبقت كل القبائل على تكذيبه، فمثلاً لقي من بني عامر بن صعصعة ما لم يلق من أحد من العرب[2]، ولقي رسول الله ﷺ من بني حنيفة مثل ما لقي من بني عامر وقد ذكر ابن إسحاق ~ أن النبي ﷺ عرض نفسه الكريمة على كندة وكلب وبني عامر بن صعصعة وبني حنيفة[3] ومع ذلك كله فلم ييأس رسول الله ﷺ بل استمر يدعو القبائل في المواسم.

و يلاحظ من دعوة النبي ﷺ القبائل أنه يقصد بذلك تحقيق هدفين:

١- إيواء الرسول ﷺ، وذلك بإيجاد المكان الآمن الذي يستطيع الرسول ﷺ من خلاله أن ينشر دعوته.

٢ - النصرة والحماية له عليه الصلاة والسلام ولأتباعه رضي الله عنهم حتى يستطيع أداء رسالته، ولا يشترط قبول دعوته، لذلك كان يقول عليه الصلاة والسلام بأنه لا يكره أحداً على قبول دعوته وإنما كان يريد الحماية والنصرة.

لقد كان لموقف كفار قريش الرافض للدعوة أثر عظيم في امتناع سائر العرب عن قبول الدعوة، حتى ولو لم يبذل كفار قريش أي جهد في مقاومة الدعوة وتشويه صورة الداعية في نفوس الناس، لأن الناس كانوا يتطلعون إلى موقفهم وينتظرون قرارهم، وذلك لعدة أسباب منها:

أ - مكانة قريش في نفوس العرب، فقد كان العرب يعظمون أهل بيت الله، ويمنحونهم الإجلال والإكبار، لقيامهم على البيت، ووفائهم بما يحتاجه قصَّاده من

----

(١) انظر السيرة النبوية: لابن كثير، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة بيروت، ج٢، ص١٥٧.

(٢) انظر أنساب الأشراف: البلاذري، تحقيق سهيل زكار وآخرون، دار الفكر، ط١، ج١، ص٢٧٤.

(٣) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٥، ص٥٠، ٥١.

الطعام والشراب وغيره، وتسابقهم في ذلك، وتنافسهم عليه[١].

وكان لقصي بن كلاب دور عظيم في ترسيخ هذه المكانة وتعميق جذورها، حيث جمع قريشاً في مكة، ووطد مكانتها، وانتزع سدانة البيت من جرهم بعد حروب طاحنة، واختط لقريش خطة الشرف والسيادة ولا تزال قصة أصحاب الفيل وقدوم جيش أبرهة الحبشي في هدم الكعبة عالقة في أذهان الناس، وكان لحماية الله بيته من أبرهه وجيشه، وإهلاكهم بالصورة التي ذكرها الله في القرآن، أثر مضاعف في حرمة البيت، وقداسته عند العرب، ومن ثم في حرمة جيرانه وسدنته، وهذا جعل القرشيين يسيرون حيث شاءوا في بلاد العرب، آمنين، من غارات السلب والنهب التي كان يشنها اللصوص، والصعاليك، وقطاع الطرق، حيث تحميهم القبائل، وتجيز قوافلهم، ومن ثم كانت رحلة الشتاء والصيف إلى اليمن والشام، وهذا أنعش تجارة قريش، ودعم اقتصادها لهذا ولغيره كانت العرب تنظر إلى قريش نظرة تقديس وتعظيم وامتياز، وكانت قريش – من حيث الجملة – جديرة بهذه المكانة، لما منحها الله من الخصائص الفطرية، والمميزات الذاتية، ويدل لذلك أن الإسلام جاء يدعم مكانة قريش، وحصر الخلافة فيها وأن الله ذكَّرهم في القرآن الكريم بما امتن به عليهم من هذا الحرم الآمن، حيث يتخطف الناس من حولهم، وأنه جعله مثابة للناس وأمناً، وحرك أفئدة الناس تهوي إليه، وتجبى إليه ثمرات كل شيء، وأنه حفظه من الأحباش وغيرهم، لذلك عندما هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، كان ذلك بمثابة الضربة القاسية على كفار قريش، حيث أنهم خافوا من أن يتمركز المسلمون في الحبشة ويكونون قاعدة هناك مع الأحباش ثم يأتون إلى مكة ليغزوها وليس هذه المرة من أجل هدم الكعبة وإنما من أجل تخليصها من كفار قريش، فالمرة الأولى حين غزاها أبرهة قد حماها الله ولكن هذه المرة إذا حصل غزو لمكة فيكون بتأييد من الله عز وجل[٢].

---

(١) انظر الغرباء الأولون: مرجع سابق، ص٨٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٨٩ بتصرف.

ويرجع عدم قبول القبائل دعوة النبي ﷺ كذلك، لأن العرب كانت تتربص بإسلامها إسلام هذا الحي من قريش، فلما رأت صدودهم عن الدعوة وزرايتهم بها، انصرفت عنها، ولم تأبه لها إلى حين شاء الله لها أن تسلم(١).

ب - ويضاف إلى تأثير تلك المكانة الخاصة التي تبوأتها قريش عند العرب أن الرسول ﷺ المبعوث كان من قريش نفسها، وكان منطق العرب يقول: إن القبيلة أعلم وأدرى بصاحبها، وأخبر بشأنه، فلم تكد قبيلة من قبائل العرب تفكر أول الأمر بالاستجابة لدعوته عليه الصلاة والسلام وإيوائه، وهذا قبيلته ترفض دعوته، وتعرض عنها، وهي ذات المكانة والسؤدد! وهي قبيلته التي تعرفه حق المعرفة وكان قولهم حين يدعوهم الرسول ﷺ(٢).

"قوم الرجل أعلم به... أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه..."(٣).

بالإضافة لما سبق فإن ما قام به كفار قريش من دعايات كاذبة ضد رسول الله ﷺ، كان لها دور في امتناع القبائل عن قبول دعوة النبي ﷺ فعن جابر رضي الله عنه قال: " مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول من يؤويني ؟من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر كذا قال فيأتيه قومه فيقولون أحذر غلام قريش لا يفتنك ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع..."(٤).

---

(١) انظر الغرباء الأولون: مرجع سابق، ص٩٠ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص٩٠ .

(٣) البداية والنهاية: لابن كثير، مصدر سابق، ج٢، ص٥١٣ .

(٤) أخرجه أحمد ج٣، ص٣٢٢ حديث رقم (١٤٤٩٦)
قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ومع موقف تلك القبائل التي عرض الرسول ﷺ دعوته عليها، ورفضها له، فإن ذلك لم يثن الرسول ﷺ بل استمر في عرض دعوته، وانتقاله من قبيلة إلى أخرى يلتمس المواسم، حتى قيض الله ﷻ له هؤلاء الأنصار ﭬ الذين بايعوه على النصرة والإيواء والحماية.

قال ابن إسحاق ~ : "فلما أراد الله ﻷ إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعوده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً.

قال لهم: من أنتم؟

قالوا: نفر من الخزرج؟

قال: أمن موالي يهود؟

قالوا: نعم.

قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟

قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله ﻷ، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أو ثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن، قد أظل زمانه فنتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: ياقوم، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الإسلام، وقالوا، إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ، ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدِّين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن

رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا، وهم ستة نفر من الخزرج"[١].

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ[٢].

بيعة العقبة الأولى:

حتى إذا كان العام المقبل أتى من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب[٣].

وسميت بيعة النساء، لأنها كانت على الأمور التي ورد ذكرها في سورة الممتحنة خاصة ببيعة النساء[٤].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾[٥].

عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ[٦] رضي الله عنه: " أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ

----

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مصدر سابق، ج٥، ص٥ .

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مصدر سابق، ج٢، ص٥٣-٥٥.

(٣) انظر المصدر السابق، ج٢، ص٥٥.

(٤) انظر محمد رسول الله: محمد رضا، دار الكتب العلمية، ص١٤٨، ١٤٩.

(٥) سورة الممتحنة: الآية (١٢، ١٣).

(٦) عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوض الله الخزرجي الأنصاري السالمي، يكنى أبا الوليد، وأمه قرّة العين بنت عبادة بن نصلة بن مالك بن العجلان شهد بدراً، والمشاهد كلها، ثم وجهه عمر رضي الله عنه إلى الشام قاضياً ومعلماً فأقام بحمص، ثم انتقل =

أَصْحَابِهِ: " بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ " فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ "[1] فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقريء بالمدينة.

مما سبق يتبين أن بيعة العقبة الأولى كانت في الثاني عشر من البعثة في موسم الحج، التي تمت بين رسول الله ﷺ وهؤلاء النفر من الأنصار رضي الله عنهم قائمة على شروط فبعد أن دعاهم النبي ﷺ إلى توحيد الله ودخلوا في الإسلام، فكان لابد أن يبين لهم الأمور التي تقدم في الإسلام، وأمرهم أن لا يقربوا شيئاً منها وهي كالآتي:

١- الشرك: وهو من أعظم الذنوب والذي يخرج صاحبه من الملة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2] وكان أول ما دعا إليه الأنبياء

= إلى فلسطين، ومات بها، ودفن بالبيت المقدسي. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، بتحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ج، ص٨٠٧، ٨٠٨.

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب بعد علامة الإيمان حب الأنصار، ج١، ص٧١، ٧٢ حديث رقم (١٧) وصحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة، ج٥، ص١٣٥ ، حديث رقم (٣٩٨).

وصحيح البخاري: كتاب التفسير، باب "إذا جاءك المؤمنات يبايعنك" ج٦، ص٥٣٢ حديث رقم (٤١٣١٩)، وصحبح البخاري: كتاب الحدود، باب الحدود وكفارة، ج٨، ص٥٧٢ حديث رقم (١٦٣١)، وصحيح البخاري: كتاب الحدود، باب توبة السارق، ج٨، ص٥٧٦ حديث رقم (١٦٤٩)، وصحيح مسلم: كتاب الحدود والديات، باب الحدود وكفارات لأهلها، ج٣، ص٢٠٦، ٢٠٧، حديث رقم (٤٤٨١)، (٤٤٨٢)، (٤٤٨٣).

(٢) جزء من الآية (٤٨) من سورة النساء.

جميعاً هو توحيد الله وترك الشرك. قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾(1).

٢ - السرقة.

٣ - الزنى.

٤ - قتل الأولاد.

٥ - البهتان.

٦ - العصيان في المعروف.

وهذه التي وردت في الحديث من الكبائر.

عَنْ عَبْدِ الله، ﷺ، قَالَ: "سَأَلْتُ، أَوْ سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ، أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ الله أَكْبَرُ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهْوَ خَلَقَكَ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ قَالَ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾(2)"(3).

بيعة العقبة الثانية:

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبيه وإعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله.

عن ابن إسحاق قال فحدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين

---

(1) جزء من الآية (٣٦) من سورة النساء.

(2) سورة الفرقان: الآية (٦٨).

(3) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب "والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون" ج٦، ص٤٧٣، حديث رقم (١١٨٥).

أخو بني سلمة أن أخاه عبيد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعب بن مالك وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها قال: "...وخرجنا إلى الحج فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله ﷺ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر[(١)] سيد من سادتنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوته إلى الإسلام وأخبرته بميعاد رسول الله ﷺ فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائهم نسيبة بنت كعب أم عمارة[(٢)] إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت[(٣)] إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع قال فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب[(٤)].

----

(١) عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاري والخزرجي السلمي بن عبد الله الصحابي المشهور، معدود في أهل العقبة وبدر وكان من النقباء واستشهد بأحد. انظر الإصابة في تمييز الصحابة: مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٠.

(٢) أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم من بني مازن ابن النجار الأنصارية النجارية والدة عبد الله وحبيب من بني زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وشهدت أحدا مع زوجها وولدها، وشهدت بيعة الرضوان ثم شهدت قتال مسيلمة باليمامة وجرحت يومئذ اثنتي عشرة جراحة وقطعت يدها وقتل ولدها حبيب روت عن النبي ﷺ أحاديث، انظر الإصابة، مرجع سابق، ج٨، ص٢٦٥.

(٣) أسماء بنت عمروبن عدي بن ناني بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب ابن سلمة أم منيع الأنصارية من المبايعات بيعة العقبة. انظر الاستيعاب، مرجع سابق، ج٢، ص٧٥.

(٤) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، عم الرسول ﷺ يكنى أبا الفضل، =

وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر بن أخيه ويتوثق له فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم فقال يا معشر الخزرج قال وكانت العرب مما يسمون هذا ا ي من الأنصار الخزرج أو سها وخزرجها إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه وهو في عز من قومه ومنعة في بلده قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت قال فتكلم رسول الله ﷺ فتلا ودعا إلى الله ﷻ ورغب في الإسلام قال: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم" قال فأخذ البراء بن معرور(١) بيده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا رسول الله ﷺ فنحن أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان(٢) حليف بني عبد الأشهل فقال يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها يعني العهود فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال بل الدم الدم الهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقد قال:

= أمه نُتيلة بنت جناب بن كلب، شهد بدراً مع المشركين مكرهاً، فأسر فافتدى نفسه، ورجع مكة فأسلم، هاجر قبل الفتح وشهد الفتح وحنين، ومات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج٣، ص٥١٢ .

(١) البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي الخزرجي، يكنى أبا البشر، أمه الرباب بنت النعمان، بن امرئ القيس، بن عبد الأشهل، كان سيد الأنصار وكبيرهم، أول من استقبل الكعبة للصلاة وأول من أوصى بثلث ماله، مات قبل قدوم رسول الله ﷺ. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج١، ص١٥٢ .

(٢) أبو الهيثم بن التيهان: بفتح المثناة الفوقانية مع كسرها ابن مالك بن عتيك، بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعور الأنصاري الأوسي.. وزعور أصغر عبد الأشهل، والتيهان لقب واسمه مالك وهو مشهور بكنيته، وفي مصنف عبد الرزاق اسمه عبد الله، شهد بدراً وبيعة العقبة وكان نقيبا والمشاهد كلها، اختلف في وفاته والأصوب، أنه سنة عشرين. انظر الإصابة، مرجع، سابق، ج٤، ص٢١٢، ٢١٣.

رسول الله ﷺ أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وأما معبد بن كعب فحدثني في حديثه عن أخيه عن أبيه كعب بن مالك قال كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ثم تتابع القوم "(١).

إن المتأمل في أحداث هذه البيعة يجد أنها تمت بعد حيطة وحذر، فقد قدم الأنصار والبالغ عددهم ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان من المدينة مع قومهم المشركين، في موسم الحج في سرَّية تامة حيث لم يعلم قومهم بإسلامهم ولا سبب مجيئهم، و تم اللَّقاء مع النبي ﷺ في الشعب بعد ثلث الليل، ولم يعلم بهم أحد، سوى عمه العباس الذي كان على الكفر في ذلك الوقت.. وإنما بسبب حبه للنبي ﷺ أراد أن يحضر معه البيعة حتى يوثق أمره، إن تحرك هؤلاء النفر وهم بهذا العدد الذي ليس بالقليل ولم يشعر بهم أحد يدل دلالة واضحة على ما يتمتع به هؤلاء من الحنكة ومن حسن التصرف، حتى بعد أن عرف كفار قريش بهذا الاجتماع بعد أن صرخ الشيطان بذلك تصرف هؤلاء المسلمين بحنكة حيث إنهم سكتوا حين سألهم كفار قريش عن هذا الاجتماع، أمَّا المشركون القادمون معهم فقد أنكروا هذا لأنهم لم يكونوا يعلمون بهذا الاجتماع الذي تم بسرية تامة وبهذا تم البيعة بتوفيق الله ﷻ على شروط زيادة على الشروط في بيعة النساء، وتسمى هذه البيعة بيعة الحرب.

قال ابن إسحاق ~ : "وكانت بيعة الحرب حين أذن لرسول الله ﷺ في القتال شروطاً سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن الله بها فيها وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه، واشترط على القوم لربه، جعل لهم على الوفاء بذلك الجنة"(٢).

---

(١) أخرجه أحمد، ج٣، ص٤٦٠ ، حديث (١٥٨٣٦) قال المحقق: حديث قوي وهذا إسناد حسن.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٧٣ .

عن عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: "بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لاَ نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ"[1].

لقد سخر الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ هؤلاء الأنصار الذين وجد عندهم النصرة والإيواء والحماية والمكان الآمن له عليه الصلاة والسلام ولصحابته رضي الله عنهم ليس هذا فقط بل لقد آمنوا بدعوته بعد أن رفضها كفار قريش والكثير من القبائل، لقد أعز الله دينه بهؤلاء الأنصار الذين نصروا نبيه عليه الصلاة والسلام، وضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

قال الله تعالى: مادحاً لهم ومبيناً فضلهم وشرفهم، وكرامتهم وإيثارهم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[2].

وبهذا انتهى عهد الاضطهاد والتعذيب والتكذيب لرسول الله ﷺ ولأصحابه رضي الله عنهم وبدأ عهد الاستقرار، والاستعداد للقتال ونشر الدعوة في جميع بقاع الأرض[3].

وقد كانت بيعتا العقبة الأولى والثانية، تمهيداً للهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة، فقد كان من صنع الله تعالى لرسوله وللإسلام أن هيأ الله الأوس والخزرج وهما قبيلتان عربيتان عظيمتان في مدينة يثرب، لتقدر هذه النعمة التي لا نعمة أعظم منها، وتسبقا أهل عصرهما وأبناء الجزيرة، إلى الترحيب بالإسلام والدخول فيه، حين تنكرت له قبائل العرب وفي مقدمتها وعلى رأسها كفار قريش.

وقد ساعد على ذلك عدة عوامل، وهي من تيسير الله تعالى وفضله إذ كانت

(١) صحيح مسلم: كتاب المغازي، باب النهي عن منازعة الأمر أهله، ج٣، ص٣٣٩، حديث رقم (٤٧٩٦).

(٢) سورة الحشر: الآية (٩).

(٣) انظر الغرباء الأولون: مرجع سابق، ص١٧٥.

فارقة بين قريش وأهل مكة، وقبائل يثرب العربية منها:

١ - ما طبع الله عليه هاتين القبيلتين (الأوس والخزرج)، من الرقة واللين، وعدم المغالاة في الكبرياء وجحود الحق وذلك يرجع إلى الخصائص الدموية والسلالية التي أشار إليها رسول الله ﷺ حين وفد من اليمن بقوله: " أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ"[(١)].

وهما ترجعان في أصلهما إلى اليمن، نزح أجدادهم منها في الزمن القديم[(٢)].

٢ - ومنها أنها قد أنهكتهما الحروب الداخلية وما يوم بعاث ببعيد[(٣)] وقد اكتووا بنارها، وذاقوا مرارتها، وعافوها، ونشأت فيهم رغبة في اجتماع الكلمة، وانتظام الشمل، والتفادي من الحروب، وذلك ما عبروا عنه[(٤)] بقولهم: "إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فإن يجمعهم الله بك، فلا رجل أعز منك"[(٥)].

٣ - ومنها أن كفار قريش، وسائر العرب قد طال عهدهم بالنبوات والأنبياء وأصبحوا يجهلون معانيها بطول العهد، وبحكم الأمية والإمعان في الوثنية، والبعد عن الأمم التي تنتسب إلى الأنبياء وتحمل الكتب السماوية على ما دخل فيها من التحريف والعبث أما الأوس والخزرج فكانوا يسمعون اليهود يتحدثون عن النبوءة والأنبياء ويتلون صحف التوراة ويفسرونها، بل كانوا يتوعدونهم به، ويقولون إنه

----

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج٥، ص٣٠١، حديث رقم (٨٣٠).

(٢) انظر السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي، دار الشروق، ط٧، ص١٥٤.

(٣) يوم بعاث: بضم أوله وهو موضع على ميلين من المدينة كان به وقعة بين الأوس والخزرج قبيل الإسلام، انظر فتح الباريء، مرجع سابق، ج١، ص٨٨ .

(٤) انظر السيرة النبوية: الندوي، مرجع سابق، ص١٥٤ .

(٥) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٥٣ .

سيبعث نبي في آخر الزمان، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، لذلك لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام قال بعضهم لبعض "يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام"(١).

وبذلك لم تكن بين أبناء الأوس والخزرج وسكان المدينة من العرب المشركين تلك الفجوة العميقة الواسعة من الجهل والنفور من المفاهيم الدينية والسنن الإلهية التي كانت بينها وبين أهل الكتاب الذين كانوا يختلطون بهم بحكم البلد والجوار والصلح والحرب، والمخالفات، فلما تعرفوا على رسول الله ﷺ وقد حضروا الموسم، ودعاهم إلى الإسلام ارتفعت الغشاوة عن عيونهم وكأنهم كانوا من هذه الدعوة على ميعاد(٢).



---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٥٣.

(٢) انظر السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي، مرجع سابق، ص١٥٥.

المطلب الرابع:
هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة

منذ أن تمت البيعة بين الرسول ﷺ والأنصار ﭫ، انتهت المرحلة المكية وبدأت المرحلة المدنية، فهذه - الهجرة - مرحلة انتقالية من عهد الظلم والعدوان والافتتان إلى عهد الانطلاق والسير بالدعوة إلى بقاع الأرض، لقد بشر الرسول ﷺ بهذه الهجرة منذ أن أوحى الله إليه، بأنه سيكذب ويؤذى ويخرجه قومه من مكة التي كانت أحب البقاع لرسول الله ﷺ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ... فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ "، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ"(١).

ولأهمية هذه الهجرة، فهي حدث غير مجرى التاريخ فقد أطلع الله نبيه محمداً ﷺ على دارهجرته قبل أن يهاجر إليها.

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ"(٢).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ج١، ص٦٠ حديث رقم (٣).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر رضي الله عنه في عهد النبي ﷺ، ج٣، ص٢٠٦، حديث رقم (٥٣٠)، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، =

بعد أن أطلع الله نبيه محمداً ﷺ مكان هجرته وتمت بيعة الأنصار على الإيواء والحماية والنصرة، وبعد أن اطمأن رسول الله ﷺ بأنه وجد المكان الآمن له ولأصحابه أذن لهم بالهجرة إلى المدينة.

لم تكن فكرة الهجرة إلى يثرب مفاجئة بالنسبة للمسلمين في مكة، فثمَّة استعدادا ذهنياً ومادياً سبق وهيأ لها، فقد كان لهم إخوة غادروهم منذ مدة من الزمن إلى ديار بعيدة هي الحبشة، فكانت الهجرة إليها درساً بليغاً بالنسبة لهم، إذ الديار غاية في البعد، واللسان غير اللَّسان، والدِّين غير الدِّين، ذهبوا وحدهم بدون نبيهم[(١)] أما هجرة المدينة فهي إلى قوم بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام وأبدوا استعدادهم لاستقبال الرسول ﷺ وأصحابه ﭫ ووفروا لهم النصرة والإيواء والحماية.

قال ابن إسحاق ~ : "فلما أذن الله تعالى له ﷺ وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن تبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة"[(٢)] وخرج المسلمون جميعاً إلى المدينة، فلم يبق بمكة منهم إلا رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعلي { ، أو مفتون محبوس، أو مريض، أو ضعيف عن الخروج[(٣)].

و لم تكن هجرة المسلمين من مكة هينة سهلة يسمع بها كفار قريش ويطيبون بها نفساً، بل كانوا يضعون العراقيل في سبيل الانتقال من مكة إلى المدينة، فيمتحنون المهاجرين بأنواع من المحن، وكان المهاجرون لا يعدلون عن هذه الفكرة، ولا يؤثرون

= إلى المدينة، ج٥، ص١٣٩، حديث رقم (٤١٠).

(١) انظر فقه السيرة النبوية: مرجع سابق، ص١٥٢.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٨٤ .

(٣) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٦.

البقاء في مكة، مهما دفعوه من قيمة فمنهم من كان يضطر إلى أن يترك امرأته وابنه في مكة، ويسافر وحده، كما فعل أبو سلمه ﷺ، ومنهم من كان يضطر إلى أن يتنازل عن كل ما كسبه في حياته، وجمعه من مادة، كما فعل صهيب ﷺ[(١)].

اجتماع كفار قريش بدار الندوة وتآمرهم على قتل النبي ﷺ:

بعد أن فشل كفار قريش في منع الصحابة ﷺ من الهجرة إلى المدينة، على الرغم من أساليبهم الشنيعة والقبيحة التي اتخذوها في سبيل ذلك، إلا أنهم أدركوا خطورة الموقف، وخافوا على مصالحهم الاقتصادية، وكيانهم الاجتماعي القائم بين قبائل العرب، لذلك اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر القضاء على قائد الدعوة[(٢)].

قال ابن إسحاق (رحمه الله): "ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها ويتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه"[(٣)].

و كان أبو بكر ﷺ راغباً في الهجرة خصوصاً بعد أن هاجر مجموعة من أصحاب رسول الله ﷺ، فحين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فقال له رسول الله ﷺ لا تعجل، لعلّ الله يجعل لك صاحباً، قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه، حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين، فاحتبسهما يعلفهما استعداداً لذلك"[(٤)].

----

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ص١٦٠ .

(٢) انظر السيرة النبوية: للصلابي، مرجع سابق، ص٢٦٨ .

(٣) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٩٤ .

(٤) انظر المصدر السابق، ج٢، ص٩٧.

عَنْ عَائِشَةَ، < ، قَالَتْ: "لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرُعْنَا إِلاَّ وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلاَّ لأَمْرٍ حَدَثَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ قَالَ يَا رَسُولَ الله إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ قَالَ أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ قَالَ الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ الله قَالَ الصُّحْبَةَ قَالَ يَا رَسُولَ الله إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ فَخُذْ إِحْدَاهُمَا قَالَ قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ"[1].

خروج النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في طريقهم إلى المدينة:

لم يعلم، بخروج رسول الله ﷺ أحد، حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين، أما علي رضي الله عنه، فإن رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله الودائع، التي كانت للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته، فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار ثور عند فلاة، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر[2] أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة[3]، مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب إذا اشترى متاعاً أو دابّة فوضعه عند البائع، ج٣، ص١٤٦، حديث رقم (٣٨٧).

(٢) عبدالله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، أمه، وأم أسماء واحدة امرأة من بني عامر بن لؤي شهد الطائف مع رسول الله ﷺ فرمى بسهم، رماه به أبو محجن الثقفي، فدمل جرحه حتى انتفض به فمات منه، في أول خلافة أبيه، في شوال سنة إحدى عشرة وكان إسلامه قديماً، ولم يسمع له بمشهد إلا شهوده الفتح وحنين والطائف. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب: مرجع سابق، ج٣، ص٨٨٤.

(٣) عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يكنى: أبو عمرو كان مولّداً من مولّدي الأزد، مملوكاً للطفيل بن عبد الله بن سخيرة فأسلم وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر من الطفيل فأعتقه، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، شهد بدراً، وأحداً، ثم قتل يوم بئر معونة وهو ابن أربعين سنة.

=

يأتيهما إذا أمسى في الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصلحهما.

انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى الغار ليلاً، فدخل قبل رسول الله ﷺ، فتلمس الغار، لينظر أفيه سبع أو حية، يقي رسول الله ﷺ بنفسه فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر رضي الله عنه[(1)] وجعل كفار قريش يبحثون عنهم حتى وصلوا إلى الغار، وعندما أحاط المشركون بالغار، وأصبح منهم رأي العين طمأن الرسول ﷺ الصديق بمعية الله لهما. عَنْ أَبِي بَكْرٍ، رضي الله عنه، قَالَ: " قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا فَقَالَ مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا"[(2)].

وسجل الحق ذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[(3)]

ولما لم يجده المشركون جعلوا مائة ناقة لمن يردّه عليهم حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر < بسفرتها، ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق

= انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج٢، ص٧٩٦.

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٩٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب مناقب المهاجرين، وفضلهم، ج٥، ص٦٢، حديث رقم (١٧٦) وصحيح البخاري: كتاب التفسير، باب (ثاني اثنين إذ هما بالغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) ج٦، ص٤٠٦، حديث رقم (١٠٨٧).

وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج٤، ص١٥٧، حديث رقم (٦٢٤٤).

(٣) سورة التوبة: الآية رقم (٤٠).

السفرة فإذا ليس لها عصام، فتحل نطاقها فتجعله عصاماً ثم علقتها به، فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر ﷺ ذات النطاقين لذلك(١).

عَنْ أَسْمَاءَ، < قالت: " صَنَعْتُ سُفْرَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَا الْمَدِينَةَ فَقُلْتُ لأَبِي مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبُطُهُ إِلاَّ نِطَاقِي قَالَ فَشُقِّيهِ فَفَعَلْتُ فَسُمِّيتُ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ "(٢).

فلما قرب أبو بكر، ﷺ الراحلتين إلى رسول الله ﷺ، قدم له أفضلهما ثم قال أَبُو بَكْرٍ الصَّحَبَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "نَعَمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: بِالثَّمَنِ... وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ"(٣).

وسار النبي ﷺ مع صاحبه أبي بكر الصديق ﷺ فبينما هما في الطريق إلى المدينة، أدركهما سراقة بن مالك بن تيم(٤) وقد كان طمع قبل إسلامه في نيل الكسب العظيم، الذي أعده كفار قريش لمن برسول الله ﷺ فأجهد نفسه لينال ذلك، ولكن الله ﷻ بقدرته التي لا يغلبها غالب جعله يرجع مدافعاً عن رسول الله ﷺ بعدما كان جاهداً عليه(٥).

----

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٩٨، ٩٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، ج٥، ص١٤٣، حديث رقم (٤١١).

(٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٥، ص١٤٠، ١٤١ حديث رقم (٤١٠).

(٤) سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، أبو سفيان: صحابي، له شعر. كان ينزل قديدا. له في كتب الحديث ١٩ حديثا، وكان في الجاهلية قائفا أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله ﷺ حين خرج إلى الغار مع أبي بكر، وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ، انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٣، ص٨٠.

(٥) انظر الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي، مكتبة الرشد، ط١، ص٣٤٤.

عن سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُم قال: " جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ الله ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ، أَوْ أَسَرَهُ فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً[1] بِالسَّاحِلِ - أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهْيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ[2] فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ[3] الأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ[4] فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ الله ﷺ وَهْوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الاِلْتِفَاتَ سَاخَتْ[5] يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا

(١) أسودة: جمع قلة لسواد، وهو الشخص لأنه يرى من بعيد أسود. انظر النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤١٨.

(٢) الأكمة: جمعها إكام، وهي الرابية وتجمع الآكام على أكم والأكم على آكام، انظر النهاية، مرجع سابق، ج١، ص٥٩.

(٣) الزج بالضم: الحديدة التي في أسفل الرمح، والجمع: زججة بوزن عقبة وزجاج بالكسر لا غير. انظر القاموس المحيط، مرجع سابق، ج١، ص٩٨.

(٤) الزلم واحد الأزلام: وهي القداح التي كانت في الجاهلية عليها مكتوب الأمر والنهي افعل ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها في وعاء فإذا أراد سفراً أو زواجاً أو أمراً مهماً أدخل يده فأخرج منها زلماً فإن خرج الأمر قضى لشأنه، وإن خرج النهي كف عنه، ولم يفعله، انظر النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ج٢، ص٣١١.

(٥) ساخت يدا فرسي: أي غاصت في الأرض، يقال: ساخت الأرض بنا تسوخ وتسيخ، انظر النهاية، مرجع سابق، ج٢، ص٤١٦.

فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ[1] سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي[2] وَلَمْ يَسْأَلاَنِي إِلاَّ أَنْ قَالَ أَخْفِ عَنَّا فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[3] ثُمَّ مَضَى رَسُولُ الله ﷺ"[4].

وصول النبي ﷺ المدينة واستقبال الأنصار:

وسار النبي ﷺ حتى وصل المدينة وكان الأنصار رضي الله عنهم ينتظرون قدومه فيخرجون في الصبح حتى يردهم حر الظهيرة قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: "فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ[5] مِنْ آطَامِهِمْ لأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ[6] يَزُولُ بِهِمُ

---

(١) عثان: أي دخان، وجمعه عواثن على غيرقياس، انظر النهاية، مرجع سابق، ج٣، ص١٨٣.

(٢) فلم يرزآني: أي لم يأخذا مني شيئاً، قال: رزأته أرزؤه وأصله النقص، انظر النهاية، مرجع سابق، ج٢، ص١١٨.

(٣) رقعة من أديم: أي قطعة من جلد، انظر القاموس المحيط، مرجع سابق،ج٤،ص١٠٠.

(٤) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبيﷺ وأصحابه، ج٥، ص١٤١، ١٤٢.

(٥) أطم: بضم أوله وثانيه، بناء مرتفع، وهو كالحصن، انظر النهاية، مرجع سابق، ج١، ص٥٤.

(٦) مبيضين: أي عليهم ثياب بيض، انظر الفتح، مرجع سابق، ج٧، ص٢٤٣.

السَّرَابُ[1] فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاَحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ[2] فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَامِتًا فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَهْوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا[3] لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حِجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ الْمَنْزِلُ ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْغُلاَمَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فَقَالاَ لاَ بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ هَذَا الْحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ، وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ، فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ

---

(١) يزول بهم السراب: أي يزول بهم السراب عن النظر بسبب عروضهم له، وقيل ظهرت حركتهم للعين، والسراب الذي تراه نصف النهار كأنه ماء.انظر الفتح، مرجع سابق، ج٧، ص٢٤٣.

(٢) اتفق علماء السيرة على أن قدوم النبي ﷺ إلى المدينة في شهر ربيع الأول، ولكنهم اختلفوا في تحديد مدة قدومه من الشهر نفسه، ولكن الأشهر والذي عليه الجمهور ما ذكره ابن إسحاق بان قدومه كان لاثنتي عشر ليلة خلت من ربيع الأول كما ذكر ذلك ابن كثير حيث قال: "وهذا أي قول ابن إسحاق هو المشهور الذي عليه الجمهور.انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٣، وانظر البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٣، ص٢٥٣ .

(٣) المِرْبد: الموضع الذي يُجْعَل فيه التَّمر لِيَنْشَف كالبَيْدَر للحِنْطة والمِرْبَد: الموضع الذي تُحْبَس فيه الإبل والغنم وبه سُمِّيَ مِرْبَد المدينة والبَصْرة، وهو بكسر الميم وفتح الباء من رَبَد بالمكان إذا أقام فيه، ورَبَدَه إذا حَبَسه.انظر النهاية،مرجع سابق ج٢ ،ص(٤٥٥) .

رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرِ هَذَا الْبَيْتِ"(١).

وعند وصوله ﷺ إلى المدينة، قِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: "جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ: فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ"(٢).

فكان بحق يوم فرح وابتهاج لم تر المدينة يوماً مثله، ولبس الناس أحسن لبسهم كأنهم في عيد، ولقد كان حقاً يوم عيد، لأنه اليوم الذي انتقل في الإسلام من ذلك الحيز الضيق في مكة إلى رحابة الانطلاق، والانتشار بهذه البقعة المباركة المدينة، ومنها إلى سائر بقاع الأرض، ولقد أحس أهل المدينة بالفضل الذي حباهم الله به، والشرف الذي اختصهم به أيضاً، فقد صارت بلدتهم موطناً لإيواء رسول الله ﷺ وصحابته، المهاجرين، ثم لنصرة الإسلام، كما أصبحت موطناً للنظام الإسلامي العام التفصيلي، بكل مقوماته، كما أنها ستكون المكان الذي يأزر إليه الإسلام في آخر الزمان، من أجل ذلك خرج أهلها يهللون ويصيحون في فرح وابتهاج، يا رسول الله يا محمد رسول الله(٣).

وعندما دخل رسول الله ﷺ المدينة، فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِى الطُّرُقِ يُنَادُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ(٤).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٥، ص١٤٢، ١٤٣ حديث رقم (٤١٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ج٥، ص١٤٤، ١٤٥ حديث رقم (٤١٥).

(٣) انظر الهجرة في القرآن الكريم: مرجع سابق، ص٣٥٣ .

(٤) صحيح مسلم: كتاب الرقائق، باب في حديث الهجرة، ج٤، ص٦٤٤ ، حديث رقم (٧٦٢٥).

وبوصول الرسول ﷺ المدينة، تمت هجرته وهجرة أصحابه ﷺ، ووجدوا المكان الآمن الذي كان يبحث عنه بعدما رفض كفار قريش دعوته والذي من خلاله يستطيع أن يبلغ رسالة ربه ﷻ.

من خلال ما ذكر سابقاً يتضح أن هذه الهجرة قد تمت بعد دراسة وتخطيط فبعد أن تمت بيعتا العقبة الأولى والثانية أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، وانتظر عليه الصلاة والسلام إلى أن أتاه الإذن من الله بالخروج إلى المدينة، عندها ذهب عليه الصلاة والسلام إلى صديقه أبو بكر وأخبره بأن الله أذن له بالهجرة، وكان ذهابه إلى بيت أبي بكر في وقت شدة الحر، وهذا الوقت لا يخرج فيه أحد ،إن هذه الخطوة من الرسول ﷺ لتدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان يتخذ الحيطة والحذر في تحركاته، ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد بل أمر أبا بكر أن يخرج من كان عنده حتى لا يتسرب أمر الهجرة، وعندما جاء وقت الرحيل خرج عليه الصلاة والسلام مع صاحبه، متخذين كافة الأساليب والوسائل الممكنة التي تساعد على نجاح هذه الهجرة، وفعلا لقد منَّ الله على نبيه محمداً ﷺ وتمت الهجرة وكانت حدثاً هاماً غير مجرى التاريخ، كما أظهرت هذه الهجرة الدور الإيجابي الذي قام به أبو بكر رضي الله عنه، ولقد سار أبنائه على غرار أبيهم فكان لهم دور بارز في خدمة رسول الله ﷺ في هذه الهجرة المباركة، وقد كانت معية الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ منذ أن أخبره بتآمر كفار قريش في دار الندوة وحفظه له ولصاحبه في الغار قال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1].

وأما سبب هجرته عليه الصلاة والسلام فيمكن توضيح ذلك بالآتي:

لقد ذكرت سابقاً أن الرسول ﷺ حين رفضت قريش دعوته، خرج إلى ثقيف يلتمس منها النصرة، ولكنه لم يجد ما كان يبحث عنه فاستمر الرسول ﷺ في عرض دعوته حتى قيض الله الأنصار الذين قبلوا دعوته وبايعوه على النصر والإيواء والحماية

---

(١) جزء من الآية (٤٠) من سورة التوبة.

فإذاً السبب في هجرته عليه الصلاة والسلام هي:

أولاً: من أجل البحث عن مكان آمن لدعوته، وقد وجد ذلك عند الأنصار الذين أبدوا استعدادهم لاحتوائه هو وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين وتوفير المكان الآمن لهم وقد تم ذلك.

ثانياً: منذ أن بايع النبي ﷺ الأنصار رضي الله عنهم اشتد أذى كفار قريش على أصحاب رسول الله ﷺ فأمرهم بالهجرة إلى المدينة، وفعلاً وجدوا المكان الآمن على أنفسهم، ودينهم، وجدوا عند إخوانهم الأنصار ما كانوا فقدوه عند أقاربهم وعشيرتهم.

وكان من حكمة الله تعالى في اختيار المدينة داراً للهجرة ومركزاً للدعوة بتدبير من الله عز وجل وحكمة لا يعلمها إلا هو، بالإضافة إلى ما أراده الله من إكرام أهلها، وما تميزت به من خصائص، فقد امتازت بتحصين طبيعي حربي، لا تزاحمها في ذلك مدينة قريبة في الجزيرة، فكانت حرة الوبرة مطبقة على المدينة من الناحية الغربية، وحرة واقم، مطبقة على المدينة من الناحية الشرقية، وكانت المنطقة الشمالية من المدينة، هي الناحية الوحيدة المكشوفة وهي التي حصنها رسول الله بالخندق سنة خمس من غزوة الأحزاب، وكانت الجهات الأخرى من أطراف المدينة محاطة بأشجار النخيل والزروع الكثيفة، لا يمر منها الجيش إلا في طرق ضيقة لا يتفق فيها النظام العسكري، وترتيب الصفوف، وكانت خفارات عسكرية مغيرة، كافية بإفساد النظام العسكري ومنعه من التقدم، فقد كان أحد جانبي المدينة عورة، وسائر جوانبها مشككة بالبنيان والنخيل، لا يتمكن العدو منها(1).

ولعل النبي ﷺ قد أشار إلى هذه الحكمة الإلهية في اختيار المدينة بقوله لأصحابه قبل الهجرة "إني رأيت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان"(2)، فهاجر

---

(١) انظر السيرة النبوية: للندوي، مرجع سابق، ص١٥٧ .

(٢) سبق تخريجه، ص١٧٩.

من هاجر قبل المدينة وكان أهل المدينة من الأوس والخزرج أصحاب نخوة وإباء وفروسية وقوة وشكيمة، ألفوا الحرية، ولم يخضعوا لأحد، ظهر ذلك صريحاً في الكلمة التي قالها سعد بن معاذ، سيد الأوس لرسول الله ﷺ: "قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً"(١).

وكان بنو عدي بن النجار أخواله عليه الصلاة والسلام، فأم عبد المطلب بن هاشم إحدى نسائهم، فقد تزوج هاشم بسلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، وولدت لهاشم عبد المطلب، وتركه هاشم عندها حتى صار غلاماً، دون المراهقة، فذهب إليه عمه المطلب فجاء به إلى مكة وكانت الأرحام يحسب لها حساب كبير في حياة العرب الاجتماعية، ومنهم أبو أيوب الأنصاري الذي نزل رسول الله ﷺ في داره في المدينة(٢).

وكان الأوس والخزرج من قحطان والمهاجرون، ومن سبق إلى الإسلام في مكة وما حولها من عدنان، ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقام الأنصار بنصره، اجتمعت بذلك عدنان وقحطان تحت لواء الإسلام، وكانوا كجسد واحد، وكانت بينهما مفاضلة، ومسابقة في الجاهلية، وبذلك لم يجد الشيطان سبيلاً إلى قلوبهم، لإثارة الفتنة والتعزى بعزاء الجاهلية باسم الحمية القحطانية أو العدنانية، فكانت لكل ذلك مدينة يثرب أصلح مكان لهجرة الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم واتخاذهم لها داراً وقراراً، حتى يقوى الإسلام ويشق طريقه إلى الأمام ويفتح الجزيرة ثم يفتح العالم المتمدن(٣).

---

(١) الروض الأنف: للسهيلي، مرجع سابق، ج٣، ص٤٢٥ .

(٢) انظر الأساس في السنة: سعيد حوى، دار السلام مصر، ج١، ص٣٣٣ .

(٣) انظر المرجع السابق: مرجع سابق، ج١، ص٣٣٣ .

المبحث الثالث

تحقيق عالمية الدعوة

<u>ويشتمل على مطلبين</u> :

المطلب الأول : معنى العالمية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : الأدلة على عالمية الدعوة الإسلامية.

* *   * *   * *

المطلب الأول:
معنى العالمية لغة واصطلاحاً

١ـ العالمية لغة:

عالمية بفتح اللام وكسر الميم وتشديد الياء مصدر صناعي[(١)]

فعله: علم فالعين واللاّم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره.من ذلك العلامة[(٢)].

وجاء في التنزيل في صفة عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[(٣)].

أي أمارة ودليل على وقوع الساعة[(٤)].

والجمع: عالمون، وعوالم[(5)] ولا يجمع شيء على فاعل بالواو والنون إلا هذا[(٦)].

قال الزجاج ~ [(٧)]: "العالم لا واحد له من لفظه، لان عالما جمع أشياء مختلفة،

----

(١) المصدر الصناعي: هو أن يزداد على اللفظ ياء مشددة وتاء تأنيث كالحرية والوطنية والإنسانية، انظر شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي، دار القلم، ط٢، ص٧٣ .

(٢) انظر مقاييس اللغة: الفارسي، مرجع سابق، ج، ص١٠٩ .

(٣) جزء من الآية(٦١)من سورة الزخرف.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص١٤٣.

(٥) انظر المعجم الوسيط: مرجع سابق، ج٢، ص٦٢٤.

(٦) انظر لسان العرب: لابن منظور، مرجع سابق، ج٤، ص٤١٧.

(٧) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، ولدسنة٢٤١ هـ، ومات سنة ٣١١ هـ في بغداد، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولى الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة، من كتبه (معاني القرآن)و(الأمالي) في الأدب واللغة وغيرها.انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج١، ص٤٠.

فإن جعل عالم لواحد منهما صار جمعا لأشياء متفقة"[1]

٢ـ العالمية اصطلاحاً:

يمكن توضيح معنى العالمية اصطلاحا، من خلال ذكر أقوال العلماء في معنى كلمة(عالم) في قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

اختلف أهل التأويل في معنى (العالمين) اختلافا كثيراً، فقال قتادة[3] ~ : "العالمون جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، ولا واحد له من لفظه"[4].

وقال ابن عباس[5] ﷺ: "العالمون الجن والإنس، دليله قول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[6] ولم يكن نذيراً للبهائم "[7].

ويؤيد كلام ابن عباس ﷺ ما قاله الفراء وأبو عبيدة: "العالم عبارة عمن يعقل، وهم أربعه أمم: الإنس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم، لأن هذا

---

(١) انظر لسان العرب: لابن منظور، مرجع سابق، ج٤، ص٤١٧ .

(٢) سورة الفاتحة: الآية (١).

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، مات بالطاعون سنة ١١٨ هـ.انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٥، ص١٨٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، دار الكتاب العربي، ط٣، ج١، ص١٣٨.

(٥) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس ابن عم رسول الله، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، وهو حبر هذه الأمة ودعا له الرسول أن يفقه في الدين، توفي بالطائف سنة ثمان وستين وانظر الإصابة، ج٢، ص٣٣٠-٣٣٤.

(٦) سورة الفرقان: الآية (١).

(٧) الجامع لأحكام القرآن :للقرطبي، مرجع سابق، ج١، ص١٣٩.

الجمع إنما هو جمع من يعقل خاصة"[1].

وقال الزجاج: "العالم كل ما خلقه الله في الدنيا والآخرة"[2].

وقد رجح القرطبي[3] ~ القول الأول، القائل بأن العالمين كل موجود سوى الله تعالى فقال: "والقول الأول أصح هذه الأقوال، لأنه شامل لكل مخلوق وموجود، دليله قول الله تعالى: "قال فرعون وما رب العالمين، قال رب السموات والأرض وما بينهما"[4][5].

ومما سبق يتضح أن لفظ العالمية مشتق من العالمين الذي هو لفظ شامل لكل موجود سوى الله تعالى، و يتضح كذلك أن دعوتهﷺ شملت كل المخلوقات، وجميع الكائنات، ولكن المكلف بها الإنس والجن العقلاء منهم فقط بدليل عرض القرآن عليهما وتقرير القرآن الكريم لاستجابة بعض الثقلين من عدم استجابة البعض الآخر والآيات على ذلك كثيرة منها:[6] قال الله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[7].

----

(١) الجامع لأحكام القرآن :للقرطبي، مرجع سابق، ج١، ص١٣٨ .

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٣٩ .

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد وكان ورعا متعبدا، طارحا للتكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية، من أهل قرطبة،رحل إلى الشرق واستقر بمدنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة٦٧١ هـ ، من كتبه (الجامع لأحكام القرآن)وغيرها.انظر الأعلام، مرجع سابق، ج٥، ص٣٢٢.

(٤) سورة الشعراء: الآية (٢٣، ٢٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: مرجع سابق ج١، ص١٣٩ .

(٦) انظر عالمية الدعوة الإسلامية: عمارة يس، مرجع سابق، ص٢١.

(٧) سورة الأنعام: الآية (١٣٠).

وقد عرف أحد الباحثين المعاصرين المقصود بعالمية الإسلام بقوله: "يقصد بعالمية الإسلام، قابليته للوفاء بحاجات الإنسان والإنسانية، وصلاحيته لقيادة البشرية، من حيث نظرته الموضوعية إلى الإنسان التي تتخطى حواجز الجنس واللون والبيئة والزمن، والفوارق العارضة الأخرى، هذه النظرة الموضوعية (العلمية - التربوية) التي تعني تكريم الإنسان وسعادة الإنسانية"[(١)].

وقد استنبطت تعريفاً للمقصود بعالمية الدعوة فقلت: "يقصد بعالمية الدعوة، شمولها لجميع الناس على اختلاف أشكالهم وألوانهم وأجناسهم، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، ووفاؤها بحاجات الناس، وجمعها بين الثابت والمتغير، ختم الله بها الشرائع والرسالات السماوية، وأودع الله فيها عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور معاً".



(١) عالمية الإسلام وإعداد المواطن الصالح: أحمد علي الملا، ص١٠.

المطلب الثاني:
الأدلة على عالمية الدعوة الإسلامية

وقبل إثبات عالمية الدعوة الإسلامية، وسوق الأدلة عليها لابد من معرفة أن عالمية الدعوة كانت ضرورية عند ظهور الإسلام، وذلك إن البشرية كانت بحاجه إلى دعوة عالمية لسببين:

السبب الأول:

أن الدعوة العالمية ضرورة يقتضيها العقل، لأن حاجات الإنسان، ومصالحه المشتركة، والعلاقات المتبادلة تعددت، ومجالات حياته تنوعت، فكان لابد من الدعوة العالمية.

والرسالة الواحدة، فكانت الدعوة الإسلامية هي المطلب المروم، لأن الإسلام هو النظام الوحيد الخالي من خصائص التفكير البشري[١].

السبب الثاني:

أن الدعوة العالمية ضرورة يحتاج إليها الإنسان لتدبير أمر دينه ودنياه والوفاء بحاجاته وضرورياته المتشعبة والمتجددة في آن واحد، بواقعية واعتدال، فلم يكن يفي بذلك إلا عالمية الدعوة الإسلامية، فهناك مشكلات لابد من حلها حتى تتوافر الطمأنينة والأمن والألفة والبر والسلام والرحمة للإنسانية إن هي أرادت لنفسها نجاة، فما عليها إلا أن تعرض نفسها ومشكلاتها على دين ربها، فستجد السعادة في رحابه[٢].

ولإثبات عالمية الدعوة الإسلامية لابد من معرفة الخصائص التي يجب أن

---

(١) انظر عالمية الدعوة الإسلامية: علي عبد الحليم محمود، دار عكاظ، ط٢، ص٣٦، ٣٧.

(٢) انظر الدعوة الإسلامية دعوة عالمية: محمد الراوي، مكتبة العبيكان، ص٥١٧ وص(٥٣٠)

يشمل عليها الدين ليكون عالمياً صالحاً لكل زمان ومكان، ومعرفة مكانة الدعوة الإسلامية من هذه الخصائص وهي:

أ) وفاؤه بحاجة الإنسانية جمعاء، فيما يصون وحدتها، ويرعى إنسانيتها، ويحمي أفرادها في العاجل والآجل(١).

ب) تشريعاته التي تضمن قيام الإنسانية كلها في محيط واحد، لا تنزع معه إلى عصبية دم، أو اختلاف لون، أو فرقة جنس(٢).

ج) اتساقه مع حقائق الكون وخصائص الوجود، بحيث لا يتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم، أو يختلف مع منطق الفكر(٣).

وفيما يلي عرض الأدلة والشواهد على عالمية الدعوة الإسلامية:

أولاً : أدلة الكتاب والسنة على عموم رسالته ﷺ:

أ- الآيات الدالة على عالمية الدعوة: وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تثبت عالمية الدعوة الإسلامية وسأذكر بعضاً منها:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾(٤)

وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾(٥)

وقال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾(٦).

---

(١) انظر الدعوة الإسلامية دعوة عالمية: محمد الراوي، مرجع سابق، ص٥٦.

(٢) انظر المرجع السابق: ص٥٦.

(٣) انظر المرجع السابق، ص٥٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

(٥) جزء من الآية (٩٠)سورة الأنعام.

(٦) سورة الفرقان: الآية (١).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [(1)].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [(2)].

ووجه الاستدلال بهذه الآيات: أن لفظ العالمين جمع معرف بأل، وهو من صيغ العموم يدخل تحته كل ما خلق الله إلا ما أخرجه الدليل، كما يتضح من المدلول اللغوي، من لفظة العالمين التي تعني في أرجح الأقوال كل موجود سوى الله [(3)].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [(4)].

يقول ابن كثير ~ في تفسير هذه الآية: " يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ يا محمد قل: (يا أيها الناس وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث للناس كافة" [(5)].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [(6)].

إلى غير ذلك من الآيات التي ورد فيها لفظ الناس على عمومها وإطلاقها وكلها تؤكد عالمية الدعوة للناس جميعاً.

ووجه الاستدلال بهذه الآيات:

أن لفظ (الناس) وهو من أسماء الجموع، جمع إنسان على غير لفظه، واللام

---

(١) سورة القلم :الآية (٥٢).

(٢) سورة التكوير: الآية (٢٦، ٢٧).

(٣) انظر خصائص الدعوة الإسلامية: محمد أمين بن عامر، دار العلمية الدولية ودار الثقافة، ط١، ص١٦٠.

(٤) جزء من الآية (١٥٨)سورة الأعراف.

(٥) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٢٦٥.

(٦) سورة يونس: الآية (١٠٨).

الداخلة عليه للجنس[1].

فهي تشمل أفراد الجنس، ويسمى هذا الاستغراق الحقيقي، ومن ثم يكون الرسول ﷺ مطالبا بإنذار الناس جميعاً، وتبشيرهم بالثواب الذي أعده الله للطائعين، والعقاب الذي توعد به العاصين، وعلى هذا تكون الدعوة إلى الله تعالى شاملة ومستغرقة لكل فرد من أفراد الناس حقيقة، ويدخل تحتها الجن مجازاً[2].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3].

قال الإمام الطبري[4] ~ : "يقول تعالى وما أرسلناك يا محمد ﷺ إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكن أرسلناك كافة للناس أجمعين العرب منهم والعجم والأحمر والأسود بشيراً لمن أطاعك ونذيراً من كذبك ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر"[5].

ويقول ابن كثير ~ : "يقول الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ أي إلا جميع الخلائق من المكلفين كقوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ "[6].

---

(١) فتح القدير: للشوكاني، مرجع سابق، ج١،ص٩٨.

(٢) انظر عالمية الدعوة الإسلامية: عماد محمد يس، مرجع سابق، ص٢٦.

(٣) سورة سبأ: الآية (٢٨).

(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان سنة٢٢٤ هـ ، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠ هـ ، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، له كتاب(أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري وغيرها.انظر الأعلام: للزركلي، ج٦، ص٦٩.

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن: الإمام الطبري، دار الفكر، م٨، ج١٨، ص٦٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق، ج٣، ص٥٤٦.

ووجه الاستدلال بهذه الآية:

أن لفظ كافة، اسم فاعل بمعنى عامة، وهي الحال من الناس أو من الكاف في أرسلناك وكل منهما يدل على العموم[1].

ويؤكد هذا المعنى ما ذكره الإمام أبو السعود[2] ~ في تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي إلا إرساله عامة لهم، فإنها إذا عمتهم أن يخرج منها أحد منهم، أو إلا جامعاً لهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل لها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور"[3].

وأما قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ فهي تدل أيضاً على العموم والشمول والاستغراق لجنس البشر جميعاً[4].

يقول الإمام أبو السعود ~ في تفسيره: "إن هذه الآية ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله ﷺ وشرف من تبعه من أهلها ونيلهم لسعادة الدارين أمر ﷺ ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من تبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام بأقوامهم"[5].

---

(١) انظر عالمية الدعوة الإسلامية: عماد يس، مرجع سابق، ص٢٧.

(٢) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨ هـ ، ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي، وأضيف إليه الإفتاء، وكان حاضر الذهن سريع البديهة، توفي سنة٩٨٢ هـ ، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ومن كتبه (تحفة الطلاب) وغيرها. انظر الأعلام: للزركلي، ج٧، ص٥٩.

(٣) تفسير أبي السعود الإمام أبي السعود، مرجع سابق، ج٧، ص١٣٣.

(٤) انظر عالمية الدعوة الإسلامية: عماد يس، مرجع سابق، ص٢.

(٥) تفسير أبي السعود: الإمام أبي السعود، مرجع سابق، ج٣، ص٢٨٠.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[(1)]

قال علي وابن عباس { : "ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه"[(2)]

ويقول الإمام أبو السعود ~ في تفسيره: "أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم، وقيل أضافه إلى الفاعل، والمعنى وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم"[(3)]

ووجه الاستدلال بالآية:

أن الله أخذ العهد والميثاق على أنبيائه لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ويتبعون رسالته وما يسري عليهم يسري على أممهم ومن ثم تكون دعوته ﷺ عالمية شاملة للناس جميعاً على اختلاف أشكالهم وألوانهم وأجناسهم وأممهم[(4)].

وقال الله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾[(5)]

وجه الاستدلال بهذه الآية:

أن لفظ (من) من صيغ العموم فالآية نص على عموم رسالة الرسول ﷺ، أي لأنذركم يا أهل مكة، أويا معشر العرب وجميع من بلغه من العرب أو العجم أو

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٨١).

(٢) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق، ج١، ص٣٦٨.

(٣) تفسير أبي السعود: للإمام أبي السعود، مرجع سابق، ج٢، ص٥٣.

(٤) انظر عالمية الدعوة الإسلامية: عماد يس، مرجع سابق، ص٢٨ .

(٥) جزء من الآية (١٩)من سورة الأنعام.

لأنذركم بها أيها المعاصرون لي، وجميع من بلغه إلى يوم القيامة[1].

وقد وردت بعض الآثار في تفسير هذه الآية منها: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "من بلغه القرآن فكأنما شافهته به، ثم قرأ هذه الآية"[2] ويريد الآية السابقة.

وعن محمد بن كعب القرظي[3] ~ أنه قال: "من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ وفي لفظ: من بلغه القرآن حتى يفهمه ويعقله كان كمن عاين النبي ﷺ وكلمه"[4].

ب-الأحاديث الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية:

١- عن جابر بن عَبْدِ الله رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"[5].

وجه الاستدلال بهذا الحديث:

يدل هذا الحديث على عموم رسالته ﷺ وأنها من أصل البعثة، كما يدل على بقاء شريعته ﷺ إلى يوم القيامة، وظاهر الحديث يقتضي أن كل واحدة من الخمس

---

(١) انظر خصائص الدعوة الإسلامية: محمد بن عامر، مرجع سابق، ص١٦٢.

(٢) فتح القدير: للشوكاني، مرجع سابق، ج٢، ص١١١.

(٣) محمد بن كعب بن حيان بن سليم، الإمام العلامة الصادق أبو حمزة، وقيل: أبو عبد الله القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة، كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا فهو مدني تابعي رجل صالح عالم بالقرآن، كان من أئمة التفسير، اختلف في سنة وفاته.انظر الأعلام: للزركلي، ج٥، ص٦٥.

(٤) فتح القدير: للشوكاني: مرجع سابق، ج٢، ص١١١.

(٥) صحيح البخاري: كتاب التيمم، باب فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا"، ج١، ص٢٠٩، ٢١٠)حديث رقم (٣٢٣).

المذكورات لم تكن لأحد قبله ﷺ(١).

٢- عن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: " والَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"(٢).

وجه الاستدلال بهذا الحديث:

يدل هذا الحديث على نسخ الملل كلها برسالة نبينا ﷺ، (وقوله ﷺ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة)أي من موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته(٣).

ثانياً: **ومن الأدلة كذلك على عالمية الدعوة الإسلامية:**

١-إن المتبع لسيرته ﷺ يجد أن فعله ﷺ يدل على أنه جاء بدين عالمي، فمنذ أن أمر الله نبيه محمداً ﷺ بالصدع بما يؤمر أخذ الرسول ﷺ يدعو الناس إلى دين الله عز

وجل مبيناً لهم بأن دعوته ﷺ ليست خاصة بأهله وأقاربه وإنما هي للناس عامة، ثم أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا، الأحرار منهم والعبيد، العربي والأعجمي(٤).

فأسلم بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين، وهذا يدل دلالة واضحة بأن رسالة الإسلام ليست خاصة بالعرب وإنما هي للخلق كافة، كما جاء ذلك صريحاً في كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) انظر فتح الباري: لابن حجر، مرجع سابق، ج١، ص٥٢٣.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، ج١،ص١٧١، حديث رقم (٣٠٣).

(٣) انظر شرح صحيح مسلم: النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢، ج١، ص٢٧٩.

(٤) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢١٠.

وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[2].

ومما يدل كذلك على عالمية دعوته ﷺ خروجه إلى الطائف ودعوته للقبائل في المواسم والذين يأتون من كل فج عميق، ثم هجرته ﷺ إلى المدينة[3].

ثم بعد أن استقر ﷺ في المدينة أخذ يوسع نطاق الدعوة خارج الجزيرة العربية، وأرسل إلى الملوك والرؤساء الموجودين في عصره، وسيتم بيان ذلك، ثم نهج أصحابه ﷺ من بعده منهجه فأخذ المد الإسلامي ينتشر حتى وصل إلى مشارق الأرض ومغاربها.

ج-وتظهر كذلك عالمية هذا الدين التي تجاوزت عالم الإنس لتشمل عالم الجن[4] فقد ذكر ﷻ ذلك في كتابه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[6].

وقد ورد في السنة أن النبي ﷺ قد اجتمع بالجن وقرأ عليهم القرآن فعن عَلْقَمَةَ قال: سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ قَالَ لاَ وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِى الأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ فَقُلْنَا

---

(١) سورة سبأ: الآية (٢٨).

(٢) جزء من الآية (١٥٨) من سورة الأعراف.

(٣) انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(٤) انظر فقه السيرة النبوية: الغضبان، مرجع سابق، ص٤٣٧ .

(٥) سورة الجن: الآية (١، ٢).

(٦) سورة الأحقاف: الآية (٢٩).

اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ – قَالَ – فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ – قَالَ – فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ « أَتَانِى دَاعِى الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ». قَالَ فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ.."[1].

إن هذه القصة لتؤكد على أن دعوته ﷺ دعوة عالمية وإنها ليست دعوة للعرب خاصة، فهي قد شملت عالم الجن كما شملت عالم الإنس.

ثالثاً–الهجرة إلى الحبشة:

إن الهجرة إلى الحبشة من أقوى الأدلة على عالمية الدين الإسلامي، فبهجرة الصحابة ﷺ إلى الحبشة وخروجهم بالدعوة إلى خارج مكة وقيامهم بنشر الدين الإسلامي هناك والدعوة كانت لا تزال في بدايتها، لتؤكد أن هذا الدين دين عالمي لا يختص بقوم دون قوم ولا بمكان دون مكان، فهؤلاء الصحابة هم أول فوج إسلامي قام بنشر الدعوة خارج الجزيرة العربية، لقد حققت هذه الهجرة عالمية هذا الدين وذلك من خلال:

١–إسلام النجاشي ملك الحبشة، واعترافه بنبوة سيدنا محمد ﷺ، وكان نصرانياً هو وقومه[2].

٢– وفد النصارى الذين أسلموا[3].

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ

----

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب استماع الجن للقرآن، ج١، ص٤٠٢ ، حديث رقم (٩٣٨).

(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، مرجع سابق، ج١، ص١٥٢.

(٣) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٢٥.

سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

وقد ذكر ابن كثير ~ في تفسيره بأن هذه الآية: "نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾[2] حتى ختمها، فجعلوا يبكون وأسلموا، ونزلت فيهم هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾"[3].

وقد ذكر ابن إسحاق ~ في سيرته أمر وفد النصارى الذين أسلموا فقال: "قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكة، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله ﷻ وتلا عليهم القرآن،فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال! ما نعلم ركباً أحمق منكم أو كما قالوا، فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً،ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان،فيقال - والله أعلم فيهم نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال ابن إسحاق ~ : وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت فقال لي: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن أنزلت في النجاشي وأصحابه، من سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا

---

(١) سورة القصص: الآية (٥٢_٥٥).

(٢) سورة يس: الآية (١، ٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق، ج٣، ص٤٠٥.

يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ إلى قوله تعالى﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[١].

إن إيمان هؤلاء النصارى يوضح إدراكهم لوحدة الدين في مفهومه وأن رسالة محمد ﷺكانت ومازلت عامة لجميع الناس وأن كل ملة قبله قد بطلت بدعوته، ووفودهم على رسول اللهﷺ، ليؤكد على أن الهجرة إلى الحبشة قد حققت عالمية الدعوة، إنها كانت أسلوبا من أساليب تبليغ الدعوة في مرحلة عالميتها، وأن دخول النجاشي في الإسلام وهو حبشي الجنسية نصراني التدين ليست بينه وبين العرب صلة جامعة ولا نسب في الديار، ليؤكد أن الهجرة إلى الحبشة، مرحلة الانطلاقة العالمية للدعوة وهي ما زالت في بدايتها، وما إسلام النجاشي إلا علامة من علامات أن عالمية الدعوة مصاحبة لبدئها لا تنفصل عنها أبداً[٢].

رابعا :إرسال الرسل إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام:

بعد أن استقر النبي ﷺفي المدينة أخذ يوسع نطاق دعوته، فأرسل بعد صلح الحديبية، الكتب والرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة[٣].

قال ابن سعد ~ : "إن رسول الله ﷺ، لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتباً، فقيل: يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتماً من فضة، فصه منه، نقشه ثلاث أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم"[٤].

----

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٢٦.

(٢) انظر الدعوة الإسلامية في عهده المكي: مرجع سابق، ص٤٣٧، ٤٣٨ بتصرف.

(٣) انظر خصائص الدعوة الإسلامية: محمد بن عامر، مرجع سابق، ص١٦٧.

(٤) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج٣، ص٢٥٨.

فكان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ، عمرو ابن أمية الضمري(١) إلى النجاشي وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن، وفي الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان { ، وأن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم إليه، وسيتم بيان ذلك لاحقاً، وبعث رسول الله ﷺ، دحية بن خليفة الكلبي(٢) وهو أحد الستة إلى قيصر ملك الروم، وبعث عبدالله بن حذافة السهمي(٣) وهو أحد الستة إلى كسرى ملك فارس، وبعث حاطب بن أبي بلتعة اللخمي(٤)

وهو أحد الستة إلى المقوس صاحب الإسكندرية عظيم القبط، وبعث رسول الله ﷺ، شجاع بن وهب الأسدي(5)، وهو أحد الستة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني(٧)وبعث

----

(١) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جدى بن ضمرة الضمري، أبو أمية أسلم حين انصرف المشركون من أحد، وكان شجاعا، وكان أول مشاهده بئر معونة عاش إلى خلافة معاوية فمات بالمدينة.انظر الإصابة، مرجع سابق، ج٢، ص٥٢٤.

(٢) دحية بن خليفة الكلبي، أول مشاهده الخندق وقيل أحد ولم يشهد بدراً وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل ينزل على صورته، شهد اليرموك وكان على كردوس وقد نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية، انظر الإصابة، ج١، ص٤٧٣، ٤٧٤.

(٣) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشي السهمي، أبو حذافة أو أبو حذيفة وأمه بنت حرثان من بني الحارث بن عبد مناة، من السابقين الأولين، مات في خلافة عثمان بمصر ودفن بمقبرتها، انظر الإصابة، مرجع سابق، ج٢، ص٢٩٦، ٢٩٧.

(٤) حاطب بن أبي بلتعة اللخمي من ولد لخم بن عدي، يكنى أبا عبد الله وقيل يكنى أبا محمد واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة بن عمرو وقيل حاطب بن عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي حليف قريش ويقال إنه من مذحج وقيل هو حليف الزبير بن العوام وقيل كان عبد العزى بن قصي فكاتبه فأدى كتابته يوم الفتح وهو من أهل اليمن، والأكثر أنه حليف لبني أسد بن عبد العزى وشهد بدراً والحديبية ومات سنة ثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنهم.انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج١، ص٩٣.

(٥) شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن خزيمة الأسدي، يكنى أبا وهب من السابقين ومن هاجر إلى الحبشة وفيمن شهد بدر، استشهد باليمامة، انظر الإصابة، ج٢، ص١٣٨.

(٧) الحارث بن أبي شمر الغساني: من أمراء غسان في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق، =

رسول الله ﷺ، سليط بن عمرو العامري[١] وهو أحد الستة، إلى هوذة بن علي الحنفي[٢]، وبعث عمرو بن العاص[٣] إلى جيفر وعبد ابنا الجلندي[٤]، وهما من الأزد والملك منهما جيفر ملكي عمان وغيرهم[٥].

= وأدرك الإسلام، فأرسل إليه النبي ﷺ كتابا مع شجاع بن وهب، ومات في عام الفتح (فتح مكة).انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٢، ص١٥٥.

(١) سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر القرشي العامري، أسلم قديما، وهاجر الحبشة، استشهد باليمامة، انظر الإصابة، مرجع سابق، ج٢، ص٧١، ٧٢.

(٢) هوذة بن على بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل: صاحب اليمامة (بنجد) وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفي العهد النبوي، قال البكري: وأهل قران أفصح بني حنيفة، وكان ممن يزور كسرى في المهمات، ويقال له " ذو التاج " واختلف الرواة في " تاجه " قال ابن الأثير: " دخل على كسرى، فأعجب به ودعا بعقد من در، فعقد على رأسه، فسمي" ذا التاج " وقال المبرد، في الكامل: " كان هوذة ذا قدر عال، وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبها بالملوك ولما ظهر الإسلام كتب إليه النبي ﷺ: " أسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك " فأجاب مشترطا أن يكون له مع النبي ﷺ بعض الأمر، فلم يجبه.انظر الأعلام: للزركلي، ج٨، ص١٠٢.

(٣) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، أمير مصر، داهية العرب يكنى أبا عبد الله أمه النابغة من بني عنزة، كان إسلامه على يد النجاشي وهو بأرض الحبشة، ولما أسلم كان النبي ﷺ يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، وكان شديد الحياء من رسول الله ﷺ، وولاه غزاة ذات السلاسل، كان من أمراء الأجناد في الجهاد في الشام في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ثم ولي إمارة مصر، وهو الذي افتتحها وأبقاه عثمان قليلا ثم عزله ثم لم يزل بغير إمرة إلى أن كانت الفتنة بين علي ومعاوية فلحق بمعاوية، ثم سار في جيش جهزه معاوية إلى مصر فوليها من صفر سنة ثمان وثلاثين إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين.انظر الإصابة، مرجع سابق، ج، ص٢، ٣.

(٤) جيفر بن الجلندى الأزدى ملك عمان لم يرالنبي ﷺ هو ولا أخوه بعث النبيﷺ عمرو بن العاص الى جيفر وعباد ابني الجلندى أميرى وكانا بعمان وكان الملك منهما جيفر وكانا من الأزد أفضى عمرو إليهما فأسلما وأسلم معهما بشر كثير، انظر الإصابة، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٤.

(٥) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج٣، ص٢٥٩_٢٦٣.

وفي قصة هذه الكتب إلى الملوك والرؤساء، دلائل على أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية تشمل العربي والأعجمي والأبيض والأسود فهي ليست خاصة بقوم دون قوم، ولا جيل دون جيل، وإنما هي دعوة إنسانية شاملة، بعيدة عن العنصرية أو القومية لذلك نجد الرسول ﷺ يخاطب ملوك الفرس، والروم، والحبشة، ومصر، وعمان وغيرهم ممن عرفوا في زمنه عليه الصلاة والسلام بخطاب واحد يدعوهم فيه إلى عبادة الله وحده والدخول في دين الإسلام[1].

---

(١) انظر خصائص الدعوة الإسلامية: محمد بن عامر، مرجع سابق، ص١٦٧.

المبحث الرابع

أمر الرسول ﷺ لهم بالهجرة

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مشروعية الهجرة إلى الحبشة والصيغ الواردة فيها.

المطلب الثاني : معرفة النبي ﷺ بأرض الحبشة.

المطلب الثالث: سبب اختيار النبي عليه الصلاة والسلام للحبشة مهجراً لأصحابه رضي الله عنهم.

* *   * *   * *

المطلب الأول: مشروعية الهجرة إلى الحبشة والصيغ الواردة فيها[1]

لقد ذكرت فيما سبق[2] موقف كفار قريش من الدعوة، وكيف أنهم قاموا بمحاربتها بكافة الأساليب، حتى إنها ألقت غضبها على المسلمين وقامت بتعذيبهم وفتنتهم عن دينهم مما جعل الرسول ﷺ يقوم بالبحث عن مكان آمن لأصحابه ﷺ، ومن ذلك أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، وقد جاء هذا الأمر على صيغ متعددة صدرت من الرسول ﷺ:

الصيغة الأولى قوله ﷺ: لو خرجتم إلى أرض الحبشة:

لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من العذاب، قال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله فرجاً مما أنتم فيه"[3]

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ، إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام[4].

هذه الصيغة كأنها مجرد تلميح بالخروج[5] وهذا التلميح كان في مثل ما كان عليه حال أصحاب رسول الله ﷺ وما يقع عليهم من الأذى والفتنة في الدين، فإن أمر رسول الله ﷺ أصحابه بهذه الهجرة قد يكون له أثر في نفوسهم كيف أنهم سوف يتركون وطنهم الغالي على نفوسهم وليس أي موطن إنها مكة المكرمة، التي عظمها

---

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢) انظر المبحث الأول من هذا الفصل: موقف كفار قريش من الدعوة.

(٣) سبق تخريجه، ص٦٤.

(٤) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٥.

(٥) انظر معالم الهجرتين إلى ارض الحبشة، مرجع سابق، ص٣٧.

الله ﷻ، وجعلها معظمة في نفوس خلقه، كيف يتركونها وأفئدة الناس تهوي إليها من كل فجٍ عميق، وسيتركون أهليهم ومصالحهم، وما مصيرهم في هذه الهجرة، كل هذه التساؤلات لربما كانت تدور في نفوسهم، لكن الرسول ﷺ لم يكن ليترك أصحابه ﭫ هكذا بل لقد أوضح لهم الجهة التي أمرهم بالهجرة إليها ألا وهي (أرض الحبشة) وهي أرض ليست غريبة عليهم، ثم أوضح لهم السبب في اختيار هذه الأرض وهي أن بها ملكا اشتهر بالعدل وقد عبر عنها الرسول ﷺ بعبارات غاية في الوضوح والبيان بقوله: " فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد " فإن العبارة هذه كفيلةً بأن يزول بها ما قد يكون من مخاوف بسبب هذه الهجرة، فقد أوضح لهم عليه الصلاة والسلام بأنهم سيجدون في أرض الحبشة ما لم يجدوه في موطنهم مكة، إنها عدالة الملك الذي تأمنون عنده على دينكم وأنفسكم والذي فقدتموه في موطنكم بسبب جبروت كفار قريش وظلمهم وعدوانهم على المسلمين، ثم أوضح لهم بأن هذه الهجرة سوف تكون مؤقتة حتى يفرج الله عنكم، وقد كانت هذه العبارة بشارة لهم بأن هذه الأزمة لن تطول، بل الفرج آت لا محالة وما من ضيق إلا ويأتي بعده فرج، وما من عسر إلا ويأتي بعده يسر مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾(1) وفعلاً لقد صدق رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، لقد نصر الله رسوله ﷺ والمؤمنين وكانت لهم العزة والغلبة، والذل والهوان للمشركين.

الصيغة الثانية قوله ﷺ: "تفرقوا في الأرض"(2):

فلما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتُحدث به ثار ناس كثير من كفار قريش بمن آمن من شبابهم فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: " تفرقوا في الأرض، فقالوا: أين نذهب يا رسول الله؟ قال: ههنا، وأشار إلى الحبشة " فهاجر ناس ذوو عدد من المسلمين منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر

(1) سورة الانشراح: الآية (٥، ٦).

(2) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، مرجع سابق، ص٣٨.

بنفسه، حتى قدموا أرض الحبشة[1].

وقد بادر الصحابة ﷺ بالسؤال عن الجهة التي أمرهم الرسول ﷺ بالتوجه إليها فقالوا: (أين نذهب) فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن أشار إلى أرض الحبشة، ولكن هذه المرة دون ذكر أي تفصيل عن الجهة التي سيذهبون إليها، وربما ذلك لأن الحبشة ليست بالبلد الغريب عليهم وما أم أيمن وبلال ﷺ ببعيد عنهم.

الصيغة الثالثة: "أمر النبي ﷺ بالخروج إلى الحبشة"[2]:

وذكر البيهقي ~ : " ثم إن قريشاً ائتمرت رويتهم واشتد مكرهم، وهموا بقتل رسول الله ﷺ أو إخراجه حين رأوا أصحابه يزدادون ويكثرون، ومنع الله ﷻ رسوله ﷺ بحمية رهطه، واشتدوا على من اتبعه على دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنةً شديدة وزلزالاً شديداً فمنهم من عصم الله ومنهم من افتتن، فلما فعل بالمسلمين ذلك أمرهم رسول الله ﷺ بالخروج إلى الحبشة "[3].

في هذه الصيغة جاء أمر صريح من رسول الله ﷺ يأمر بها أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وقد بين البيهقي حال المسلمين في مكة قبل الهجرة، وكيف قام كفار قريش بإيذائهم وتعذيبهم سواء أكانوا من المستضعفين والذين لا ناصر لهم أم كانوا ممن لهم عشيرة، فقد تولى أقاربهم وقبائلهم إيذاءهم وحبسهم وفتنتهم عن دينهم، فكانت فتنةً شديدة وزلزالاً عظيماً عصم الله فيه من عصم وفتن منهم من فتن، فلما رأى رسول الله ﷺ حال أصحابه ﷺ وما هم عليه من فتنة كان المخرج لهم مما هم فيه بأن أمرهم بالهجرة إلى الحبشة.

----

(١) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد: مرجع سابق، ج١، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، مرجع سابق، ص٣٩.

(٣) دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٨٥.

الصيغة الرابعة: قوله ﷺ: " الحقوا بأرض الحبشة "[(١)]:

عن أم سلمة < قالت: " لما أُمرنا بالخروج إلى الحبشة قال رسول الله ﷺ: الحقوا بأرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، فأقيموا ببلاده حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه فقدمنا عليه فاطمأننا في بلاده "[(٢)].

في هذه الصيغة توضح أم سلمة < أمر الرسول ﷺ لهم باللحوق بأرض الحبشة وعلل لهم ذلك بوجود الملك العادل الذي لا يظلم عنده أحد، وأمرهم بالبقاء في بلاده حتى يجعل لهم مخرجاً، ثم أوضحت أم سلمة < بعبارات بسيطة، عن حالهم في بلاد الملك العادل، حيث وجدوا عنده الأمن والطمأنينة التي فقدوها في بلادهم، وهذا ما كان يرجوه عليه الصلاة والسلام عندما أمرهم بالهجرة إلى الحبشة.

إن الروايات الواردة في كتب السيرة وكتب الحديث حول هجرة الحبشة لا تختلف في مؤداها ولا اختلاف من حيث المشروعية مثل كلمة (تفرقوا) و(الحقوا) و(أمرنا) و(لو خرجتم إلى أرض الحبشة) كل هذه العبارات والصيغ المذكورة تؤكد مشروعية الهجرة إلى الحبشة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما رأى حال أصحابه رضي الله عنهم وما هم عليه من التعذيب والافتتان في الدين أمر أصحابه رضي الله عنهم بالهجرة إلى الحبشة رجاء أن يجدوا أمناً وحرية لأبدانهم ودينهم[(٣)].

لقد وجد أصحاب النبي ﷺ في أرض الحبشة ما كانوا يرجونه، من الأمن على الأنفس والدين، وقد كان اختيار النبي ﷺ لأرض الحبشة أمراً قائماً على دراسة وتخطيط ومعرفة سابقة بأرض الحبشة ويمكن بيان ذلك في المطلب التالي.



(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٤١.

(٢) السنن الكبرى: للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ج٩، ص٩، حديث رقم (١٧٥١٢).

قال الألباني: إسناده جيد، وقد سكت عنه الحافظ في الفتح.

(٣) انظر معالم الهجرة إلى ارض الحبشة: مرجع سابق، ص٤٢ بتصرف.

المطلب الثاني:
معرفة النبي ﷺ بأرض الحبشة

لقد كان للنبي ﷺ معرفة سابقة بأرض الحبشة وأهلها وملكها، وترجع هذه المعرفة إلى مصادر سبقها التوجيه الآلهي ومن هذه المصادر:

أولاً: من كان بمكة من الأحباش فجميع المصادر تجمع على أن العلاقات بين الحبشة والحجاز في ذلك الوقت كانت وثيقة مستمرة وعاش بمكة كثير من التجار الأحباش الذين استطاعوا أن يؤسسوا تجارة ناجحة، فقد كانت للحبشة صلات تجارية قوية مع قريش والتي لخصها الطبري بقوله: "بأن الحبشة كانت متجراً لقريش يتجرون فيها ويجدون فراغاً من الرزق وأمنا ومتجراً حسناً، فأمرهم بها رسول الله ﷺ "هذا إلى أن استمرار العلاقات بين الحبشة والحجاز وسرعتها حملت إلى تلك البلاد أنباء الدعوة الجديدة فأتى منهم كثيرون يبحثون عن هذا النبي الجديد ليسمعوا منه ويؤمنوا.

ثانياً: من كان بمكة من الموالى فقلما كان يخلو بيت عربي من عبد حبشي وكان في بيت عبد المطلب جد النبي عليه الصلاة والسلام واحدة هي أم أيمن وقد اختلط النبي ﷺ بهؤلاء الموالى كثيراً وآمن بدعوته كثيرون[1].

وقد ذكرت المصادر الإسلامية أسماء كثير من الموالى الذين عاشوا في بيوت قريش كما كان معظم جنود مكة المرتزقة من الحبشيين المعروفين بالتفاني في الخدمة، وكان تجار العرب يستعينون بهم بكثرة في حروبهم القبلية وفي حراسة قوافلهم وكان يطلق عليهم اسم العسكر تمييزاً لهم عن العرب الوطنيين، وكان رئيسهم في العادة عربياً يطلق عليه اسم السيد وإليه يرجع فخر الانتصار في المعارك التي يخوضونها، وكانوا يحملون الغزة أو الحربة وهي السلاح المفضل لديهم وقد اختلط هؤلاء

---

(١) انظر معالم الهجرة إلى ارض الحبشة: مرجع سابق ، ص٣٦.

الأحباش بالعرب وتزوجوا منهم وأنتجوا نسلاً عرف بين العرب بسواد بشرته وشجاعته وأطلق عليه العرب اسم غربان العرب، واشتهر من هؤلاء قبيل الإسلام عنترة العبسي، فليس من المستبعد أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام قد وقف منهم على الحالة في الحبشة وعرف أنها تصلح أن تكون مأوى لأصحابه رضي الله عنهم[1].

كانت هذه المصادر وغيرها، من الأمور التي جعلت النبي عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، أما سبب اختيار النبي عليه الصلاة والسلام للحبشة بالذات دون غيرها فيمكن بيان ذلك في المطلب التالي.



(١) انظر الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى: مرجع سابق، ص٣٦، ٣٧ بتصرف .

المطلب الثالث: سبب اختيار النبي عليه الصلاة والسلام للحبشة مهجراً لأصحابه رضي الله عنهم

إن اختيار النبي عليه الصلاة والسلام لأرض الحبشة مهجراً لأصحابه في غاية الدقة والحكمة وذلك لما تميزت به هذه الأرض التي وصفها رسول الله ﷺ بأنها أرض صدق دون غيرها من البلدان.

ولكن قبل ذكر الأسباب التي جعلت النبي ﷺ يختار الحبشة دون غيرها، أذكر ما ذكره ابن سعد ~ حيث قال: "بأن الحبشة كانت أحب الأرض إلى رسول الله ﷺ أن يهاجر إليها "[(١)]، وهذا بعيد لأسباب كثيرة منها:

١- ثبت في الصحيحين رؤية النبي ﷺ لدار الهجرة وهي أرض ذات نخل بين حرتين، فإذا هي المدينة[(٢)].

٢- طبيعة الوضع الجغرافي في الحبشة الذي يعوق انتشار الدعوة، وبسط سلطانها على العالم[(٣)].

٣- أن اختيار الجزيرة العربية، ومكة بالذات ثم المدينة لنزول الوحي وانطلاق الدين لم يكن أمراً اتفاقياً، بل كان لمميزات كثيرة، تميزت بها هاتين المنطقتين، فأما مكة فكانت تقع في قلب العالم ويهوي إليها الناس من كل فج عميق لأداء الحج فسهل ذلك على النبي عليه الصلاة والسلام الاتصال بالناس وعرض دعوته عليهم، وغيرها من الحكم التي لا يعلمها إلا الله[(٤)].

---

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٤.

(٢) انظر صحيح البخاري: كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر رضي الله عنه في عهد النبي ﷺ، ج٣، ص٢٠٦، حديث رقم (٥٣٠)، وانظر صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، إلى المدينة، ج٥، ص١٣٩، حديث رقم (٤١٠).

(٣) انظر الغرباء الأولون: مرجع سابق، ص١٥٢.

(٤) انظر المرجع السابق، ص١٥٢بتصرف.

أما المدينة بالإضافة إلى ما ذُكر سابقاً من المميزات التي تميزت بها المدنية، فإنها كانت تعيش ظروفاً خاصة ترشحها لاحتضان دعوة الإسلام، وتجتمع فيها عناصر عديدة، لا تجتمع في غيرها، منها التشاحن والتطاحن الموجود بين قبيلتي المدينة: الأوس والخزرج، وقد قامت بينهما الحروب الطاحنة كيوم بعاث وغيره، وقد أفنت هذه الحروب كبار زعمائهم، ممن كان نظراؤهم في مكة والطائف وغيرهما حجر عثرة في سبيل الدعوة، ولم يبق إلا القيادات الشابة الجديدة المستعدة لقبول الحق، إضافة إلى عدم وجود قيادة بارزة معروفة يتواضع الجميع على التسليم لها، وكانوا بحاجة إلى من يأتلفون عليه، ويلتم شملهم تحت ظله(1).

أما كون الحبشة من أحب البقاع لرسول الله ﷺ فهذا أمر مسلم به، فلولا محبة النبي عليه الصلاة والسلام للحبشة وملكها وأسباب أخرى سيأتي ذكرها إن شاء الله، لما أمر أصحابه ﷺ بالهجرة إليها، أما كونه أحب أن يهاجر إليها فهذا بعيد للأسباب الآنفة الذكر.

أما سبب اختيار النبي عليه الصلاة والسلام لأرض الحبشة فيمكن بيان ذلك بالنقاط التالية:

ذهب الكثير من المؤلفين إلى ذكر أسباب عديدة في اختيار النبي عليه الصلاة والسلام للحبشة، وهذه الأسباب إما أن تكون راجعة إلى:

أ) حكم البلاد.

ب) أو تتعلق بطبيعة البلاد.

ج) ومنها ما يتعلق بالناحية السياسية والدينية والاقتصادية.

وأما ما يتعلق بالحكم، فإن رسول الله ﷺ، ذكر السبب في أمر أصحابه رضي الله عنهم بالهجرة إلى الحبشة، وذلك حين قال لهم: (فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد) إن عدل النجاشي من أهم الأسباب في اختيار النبي عليه الصلاة والسلام لأرض الحبشة، وصدقت

---

(1) انظر الغرباء الأولون: مرجع سابق، ص١٦٤، ١٦٥.

الأحداث الجارية في أرض الحبشة شهادة النبي ﷺ للنجاشي بالعدل والحكمة، وقد ذكرت أم سلمة < ما يؤكد عدله مع المسلمين المهاجرين حين حاول كفار قريش عن طريق مبعوثيهما إثارة النجاشي وإخراج المهاجرين، فلم تؤثر فيه هداياهم ولم يصدق الشائعات فيهم، ورأى الاستماع إليهم، وحين أعجبه منطقهم وأحس بصدقهم، وآنس منهم الإيمان رد رسولي كفار قريش مقبوحين، وعاش المسلمون المهاجرون عنده بخير دار وجوار(١).

وكذلك فإن صلاح النجاشي كان له دور بارز في اختيار الحبشة مهجراً للمسلمين، فقد شهد النبي ﷺ للنجاشي بالصلاح فقال حين مات: "مات اليوم رجل صالح"(٢).

وأورد الطبري بسنده إلى عروة بن الزبير أنه كتب لعبد الملك بن مروان يخبره عن بدء دعوة النبي ﷺ، وما ناله وأصحابه ﷺ من كفار قريش، ثم جاء على ذكر هجرة الحبشة وأن الرسول ﷺ أمرهم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وأثنى على ملكها بقوله:

(وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي، لا يظلم أحد بأرضه، وكان يثني عليه مع ذلك الصلاح، أي يشع عنه ذلك(٣).

وقد ظهر هذا الصلاح في شخص النجاشي لتأثره بالقرآن، فحين سمع ما سمع من المسلمين من آيات الكتاب بكى حتى اخضلت(٤) لحيته(٥).

ويظهر كذلك أثر هذا الصلاح في حماية المهاجرين وتمكينهم من إقامة شعائر

---

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٣٨، ٣٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، ج٥، ص١٢٩، حديث رقم (٣٨٣).

(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك: للطبري، مرجع سابق ، ج١، ص٥٤٦.

(٤) ابتلت بالدموع: يقال خضل واخضل إذا ندى، انظر النهاية، ج٣، ص٤٣.

(٥) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٦.

دينهم آمنين في بلاده وذلك حين قال لهم: (اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي، والشيوم الآمنون من سبكم غرم يكررها ثلاثاً، ما أحب لي تبراً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم)[1] حتى ولو كلفه هذا الصلاح والصدق مخالفة الأحباش البطارقة من حوله، ولو أجمعوا على حربه، والخروج عليه، وتفيد رواية ابن إسحاق أن المسلمين حين قالوا معتقدهم الصحيح في عيسى عليه السلام وتلوا عليه في ذلك من القرآن تأثر، ثم ضرب بيده الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: (والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتم هذا العود)[2] فتناخرت[3] بطارقته[4] حوله، لأن عقيدة النصارى في عيسى تخالف ذلك حين قال ما قال، كذلك يظهر صلاح النجاشي وهو في أشد المواقف حين خرجت الحبشة عليه، فيرسل للمهاجرين ويهيء لهم السفن ويأمرهم بالركوب عليها، فإن كان النصر حليفه فيأمرهم بالثبات في أرضه فهم الآمنون، وإن كان خلاف ذلك فأمرهم بأن يمضوا حيث شاءوا، وقد عالج هذا الموقف من رعيته بحنكة، كما ذكرت ذلك سابقاً، إنها قمة الصلاح وهو يعتقد العقيدة الحقة في عيسى عليه السلام في وسط بيئة تأبى ذلك وترفضه، ولعله آثر المصلحة حين تأول على الأحباش ولم يصطدم معهم، ومنتهى العدل مع المسلمين وهو يخبرهم بالاستعداد للخروج حال هزيمته[5].

كذلك من الأسباب في اختيار الحبشة، طبيعة البلاد فقد وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها أرض صدق، فالحبشة بلد آمن فليس في داخل الجزيرة في تلك المرحلة مكان آمن

---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٧.

(٢) انظر المصدر السابق: ج١، ص٢٦٧.

(٣) نخّروا أي تكلموا مأخوذ من النخير: الصَّوت ويروي بالجيم، ومعنى "فتناخرت بطارقته": أي تكلّمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور، انظر النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج٥، ص٣٢.

(٤) البطارقة: جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الرُّوم وهو ذو منصب وتقدُّم عندهم، انظر النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج١، ص١٣٥.

(٥) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٤٢_٤٤.

يمكن أن يلجأ إليه المسلمون، لا سيما وكفار قريش يحكمون سيطرتهم على مكة وما جاورها والعرب من حولها يسمعون ويطيعون لأمر كفار قريش في الغالب، إذ لهم نفوذ عليهم فهم بحاجة إليهم في حجهم وتجارتهم ومواسمهم، وفوق ذلك فالعرب الآخرون يشاركون كفار قريش في حرب الدعوة وعدم الاستجابة للنبيﷺ، وموقف العرب منه حين دعوتهم في المواسم بشكل عام، وموقف أهل الطائف منه بشكل خاص يؤكد عدم السمع للنبي ﷺ ومشاركة كفار قريش في رفض الدعوة الجديدة، فإذا كان الأمن غير متوفر داخل الجزيرة، فلم يكن حينها في خارج الجزيرة بلد أكثر أمناً من بلاد الحبشة، فقد تميزت الحبشة بميزات لم تكن متوفرة في بلد آخر في ذلك الحين، فهي أرض صدق، وملكها عادل، وتلك من أهم سمات البلد الآمن[1].

أما من الناحية الدينية والسياسية، فالنبي ﷺ قد جاء بدين يدعو إلى عبادة الله ونبذ الوثنية وتحطيم الأصنام، دين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، في وسط محيط من القبائل التي تدين بالوثنية وتعبد الأصنام، لذلك لم يفكر الرسول ﷺ في هجرة المسلمين إلى إحدى القبائل العربية، لأنها كما ذكرت سابقاً ترفض دعوته، وتعلن ذلك في مواسم الحج مجاملة لكفار قريش أو تمسكاً بدينها الوثني، وكذلك لم يفكر النبي ﷺ في أمر أصحابه ﷺ بالهجرة إلى موطن أهل الكتاب من قبائل العرب الذين يعتنقون الديانات اليهودية والمسيحية لأن كلاً من الفريقين كان ينازع الآخر وينافسه في النفوذ الأدبي ببلاد العرب، فهما والحالة هذه لا يقبلان منافساً ثالثاً خصوصاً إذا كان من العرب الذين يتعالون عليهم ويقولون عنهم كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[2] [3].

---

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٤٥، ٤٦.

(٢) جزء من الآية(٧٥) سورة آل عمران.

(٣) انظر الإسلام والحبشة عبر التاريخ: فتحي غيث، ص٤٨ بتصرف.

أما بالنسبة لليمن فقد كانت مستعمرة للفرس(١) فإمبراطورية الفرس قد أعماها دخان النار، وأما إمبراطورية الروم فقد عبدوا ملوكهم ودنياهم(٢).

وكذلك شأن الحيرة التي كانت إلى ذلك الحين بعيدة غاية البعد عن مكة، أما الشام والعراق وهما الأقرب جغرافياً واللتان لا تحول بينهما وبين الحجاز عوائق جغرافية، إلا أن كلاً من الشام والحيرة كانت هامة لتجارة قريش، وكان لقريش بكل منها صلات وثيقة ومصالح متبادلة وزيارات في أوقات منتظمة، كما أن الحبشة هي أقرب البلاد المسيحية التي يحكمها ملك مسيحي إلى الجزيرة العربية والسفر إليها أهون أمراً وأسلم عاقبة، إذ أنه لا يزيد عن كونه عبور البحر وهو مما لا شك فيه أسلم من اختراق الجزيرة العربية شمالاً أو جنوباً خلال القبائل العربية المعادية(٣).

أما من الناحية الاقتصادية، فكانت من أهم الأسباب في اختيار الحبشة وذلك للعلاقة الطويلة بين الحبشة والجزيرة العربية، تلك التي توطدت بين الكثيرين في خلال الرحلات التجارية إلى اكسوم فقد كانت للحبشة صلات تجارية قوية مع قريش والتي لخصها الطبري بقوله: "بأن الحبشة كانت متجراً لقريش يتجرون فيها ويجدون فراغاً من الرزق وأمنا ومتجراً حسناً، فأمرهم بها رسول الله ﷺ "(٤).

وثم هناك سبب آخر لاختيار الحبشة وهي أن العادات والتقاليد وأساليب العيش والمناخ، لا تختلف كثيراً عما هو عليه الأمر في الحجاز، مع وجود خصوصيات دينية واجتماعية معينة لكلا الطرفين تعايش معها المهاجرون فيها بعد بصعوبة، ويبدو والله أعلم أن الرسول ﷺ حصل على معلومات عن النظام السياسي والديني

---

(١) انظر الإسلام والحبشة عبر التاريخ : مرجع سابق: ص٤٨.

(٢) انظر فقه التمكين: الصّلابي، مرجع سابق، ص٣٧.

(٣) انظر الإسلام والحبشة عبر التاريخ، مرجع سابق، ص٤٨، وانظر قراءة جديدة في العهد المكي، مرجع سابق، ص٤٢.

(٤) تاريخ الأمم والملوك: للطبري، مرجع سابق، ج١، ص٥٤٦.

والاجتماعي للحبشة عن طريق التجار على الأغلب وانتهى من خلالها إلى أنه لا خطورة على المهاجرين إلى هذه البلاد وهذا يتفق مع المنهج الذي اتبعه الرسول ﷺ في الأخذ بالأسباب ودراسة أي قرار يتخذ بصورة متأنية لاسيما القرارات الخطيرة مثل الهجرة[1].

---

(١) انظر قراءة جديدة في العهد المكي: مرجع سابق، ص٤٣.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

أحداث الهجرة إلى الحبشة

وفيه مبحثان : -

المبحث الأول : أحداث الهجرة الأولى.

المبحث الثاني : أحداث الهجرة الثانية.

* *   * ** *   * *

المبحث الأول

أحداث الهجرة الأولى

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: المرحلة الأولى من الهجرة.

المطلب الثاني: عودة المهاجرين من الحبشة إلى مكة.

* * ** * *

المبحث الأول: أحداث الهجرة الأولى

قــال الله تعــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾[1].

إن الهجرة إلى الحبشة من أبرز معالم التاريخ الإسلامي الأصيل، فلا يخلو مصدر من مصادر السيرة النبوية إلا وكانت هذه الهجرة جزء من موضوعاته، فهي تجسد مدى تحمل الرعيل الأول المشاق والتضحية في سبيل هذا الدين، فقد هاجر بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة تاركين عشائرهم وأهليهم ومصالحهم من أجل الحفاظ على دينهم، فمنهم من هاجر بنفسه ومنهم من هاجر مع أهله متحملين مشاق السفر وعناء الغربة، وقد حدثت هذه الهجرة على مرحلتين خرج في الهجرة الأولى عثمان بن عفان وزوجه رقية ونفر من أصحاب النبي ﷺ ﷺ أجمعين وتتابع خروج المسلمين فمنهم من عاد بعد ذلك ومنهم من مكث فيها حتى أرسل إليهم رسول الله ﷺ بالعودة حين هاجر إلى المدينة، إن المتتبع لأحداث هذه الهجرة يجد أنها قد تمت بنجاح، فلقد وجد المهاجرون ما كانوا يرجونه من الأمن والطمأنينة على أنفسهم ودينهم ليس هذا فحسب فلقد ساهمت هذه الهجرة في إبراز ما اتصف به هذا الدين من عقائد وتعاليم وأخلاق، الأمر الذي ساعد على نشر الدعوة الإسلامية في أرض الحبشة وما إسلام النجاشي إلا شاهداً على مدى ما حققته هذه الهجرة من نجاح في نشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية.

و لقد ذكرت فيما سبق[2] أسباب الهجرة إلى أرض الحبشة ومنها أنه لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من العذاب أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، فخرج عند ذلك بعض من أصحاب

---

(١) سورة النحل: الآية (٤١).

(٢) انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني.

رسول الله ﷺ، وقد وقعت هذه الهجرة على مرحلتين وفي هذا المبحث سيتم توضيح المرحلة الأولى من الهجرة وما جرى فيها من أحداث من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول:
المرحلة الأولى من الهجرة

بعد أن اتضحت بعض الأسباب التي دفعت بالنبي ﷺ إلى اتخاذ قرار الهجرة ومشورته على أصحابه بها واختيار الحبشة مكاناً لهجرتهم، فلا بد من معرفة الوقت الذي حدثت فيه تلك الهجرة وطريقة خروجهم والأفراد الذين اشتركوا فيها، وموقف كفار قريش من هجرتهم[(١)].

أما بالنسبة لوقت خروجهم فقد ذكر ذلك ابن سعد ~ بقوله: "وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من حين نبئ رسول الله ﷺ "[(٢)]

وجاءت رواية أخرى توضح أن الهجرة الأولى كانت حين دخل رسول الله ﷺ إلى الشعب، فقد ذكر ذلك ابن كثير ~ حيث قال: " وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب "[(٣)]

وجاء في رواية أخرى أنهم لما دخلوا الشعب أمر رسول الله ﷺ من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة[(٤)] وكان دخول رسول الله وبني هاشم في محرم سنة سبع من النبوة[(٥)].

مما سبق يتضح مدى اختلاف الروايات في توقيت زمن الهجرة ما بين الخامسة أو السابعة فقد جاءت رواية ابن سعد موافقة لقول ابن إسحاق من أن وقوع الهجرة

----

(١) انظر الهجرة إلى الحبشة: مرجع سابق، ص٧، بتصرف.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: مرجع سابق، ج١، ص٢٠٤.

(٣) السيرة النبوية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٥، ٦.

(٤) انظر دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٥.

(٥) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٩.

الأولى قبل حصار الشعب حيث قال: "فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب "[1].

وقال ابن سعد ~ : "لما بلغ قريشاً فعل النجاشي لجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله وأصحابه، وأجمعوا على قتل رسول الله ﷺ وكتبوا كتاباً على بني هاشم...."[2].

وقد جاءت رواية موسى بن عقبة خلافاً لذلك كما سبق، وأما ابن كثير فهو يرى ما يراه ابن إسحاق وابن سعد من أن هجرتهم قبل دخول الشعب، فقال: "وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺإلى الشعب وفي هذا نظر والله أعلم"[3].

وأذهب إلى ما ذهب إليه العلماء الأجلاء من أن الهجرة الأولى للحبشة كانت قبل دخول النبي ﷺ وأصحابه إلى الشعب، وذلك لأن من الأسباب التي جعلت كفار قريش يضربون الحصار على النبي ﷺ ومن معه فشلهم في رد مهاجري الحبشة، ولما رأوا من إكرام النجاشي لهم، وكذلك خوفهم من أن تقوى شوكة الإسلام وخوفهم كذلك من دعم النجاشي للمهاجرين ومساعدتهم في تكوين قوة لغزو مكة فيما بعد والله أعلم.

---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٦.

(٢) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٨.

(٣) البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤١٧.

ومما يؤيد أن الهجرة الأولى كانت قبل دخول النبي ﷺ الشعب قول ابن حجر ~ : "وذكر أهل السير أن الهجرة الأولى كانت في شهر رجب من سنة خمسة من المبعث "[(١)].

وأيضاً صنيع البخاري في صحيحه يدل على هذا حيث قدم باب هجرة الحبشة ثم ذكر باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ بعده[(٢)].

أما بالنسبة لكيفية خروجهم، فقد كان في غاية السرية فقد خرج الصحابة ﵃ متسللين ولم يخرجوا دفعة واحدة، بل خرجوا فرادى حتى لا يلفتوا أنظار المشركين إليهم عند خروجهم، لأن الحال التي كانوا عليها تستدعي إلى مثل هذا الحذر فتجربتهم مع المشركين كانت مريرة، فالمشركون الذين لم يطيقوا رؤية المؤمنين وهم يؤدون الصلاة في شعاب مكة فلا يتصور منهم أن يقفوا موقف المتفرج فلا يبالون بما يحدث حولهم[(٣)].

فلا غرابة والدعوة تمر بظروف حرجة في هذه المرحلة أن تحاط هجرة المسلمين إلى الحبشة بشيء من السرية والكتمان، حتى لا يجهض المشروع قبل قيامه، أو توضع العراقيل في طريق المهاجرين رغم عزيمتهم وتصميمهم[(٤)].

وقد ذكرت كتب السيرة كيفية خروج المهاجرين وكيف أن تم بسرية ومن ذلك، ما ذكره ابن سعد ~ حيث قال: "فخرجوا متسللين سراً"[(٥)]

وقال ابن إسحاق ~ : "فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ج٧، ص٢٠٧.

(٢) انظر صحيح البخاري: مرجع سابق، ج٥، ص١٢٧ - ١٣٠.

(٣) انظر معالم الهجرتين على أرض الحبشة، مرجع سابق، ص٤٨ بتصرف.

(٤) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٥٠.

(٥) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٤.

واطمأنوا بأرض الحبشة..ائتمروا بينهم أن يبعثوا منهم رجلين..إلى النجاشي فيردهم عليهم.."[١].

من خلال الروايات السابقة يتضح أن كفار قريش لم يعلموا حين خرج المسلمون، فلما بلغهم مخرجهم بعثوا بطلبهم وردهم، ولو علموا بهم قبل خروجهم لمنعوهم وهم قادرون على ذلك، وهذا أيسر لهم من بعث الرسل وإهداء الهدايا وقد لا تنجح في ردهم بعد خروجهم وقد كان[٢].

ورغم سرية الهجرة وخروج معظم الصحابة ﷺ بدون أن يطلع عليهم المشركون إلا أنه بات من المعلوم أن بعض رجالات مكة علم طرفاً من أخبار الهجرة والمهاجرين، وإن كانت المعلومات عن طريق الصدفة المجردة، وإن كانت الوجهة قد غابت عنهم وخفيت عنهم التفاصيل[٣].

ومن ذلك قصة عمر بن الخطاب ﷺ مع أم عبدالله ليلى بنت أبي حثمة[٤] < حيث قالت: "والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذا أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليّ وهو على شركه قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدّة علينا قالت فقال: إنّه للانطلاق يا أمَّ عبدالله، قالت: فقلت: نعم والله، لنخرجنّ في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجاً، قالت: فقال صحبكم الله، ورأيت له رقّة لم أكن أراها، ثم انصرف، وقد أحزنه فيما أرى خروجنا

---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق،، ج١، ص٢٦٣.

(٢) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٥١.

(٣) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٥٣.

(٤) ليلى بنت أبي حثمه بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن كعب بن لؤي القرشية العدوية، زوج عامر بن ربيعة هاجرت مع زوجها الهجرتين، ثم هاجرت إلى المدينة، فكانت أول ظعينة تقدم المدينة، انظر الإصابة، مرجع سابق، ج٤، ص٤٠٠.

قالت: فجاء عامر[١] بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله، لو رأيت عمر آنفاً ورقَّته وحُزْنه علينا.قال: أطمعتِ في إسلامه؟ قالت قلت: نعم، قال: فلا يُسلم الذي رأيتِ حتى يُسلم حمار الخطَّاب، قالت: يأساً منه، لما كان يُرى من غِلْظته وقَسْوته على الإسلام"[٢].

من خلال الحوار الذي دار بين عمر بن الخطاب ﷺ مع أم عبدالله ليلى بنت أبي حثمة، يجعل المسلم يُستنتج ما يلي:

١-الحال الذي كان عليه المهاجرون في مكة والسبب الذي جعلهم يتركون وطنهم وذلك حين قالت: "لنخرجنّ في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً".

٢- الحفاظ على الأسرار فهي لم تذكر وجهة الانطلاقة بصفة محدودة ولكنها اكتفت بقولها: " نعم والله، لنخرجنّ في أرض الله" أين الأرض المقصودة والمحط الأخير لرحلتهم لم تفصح هذا الأمر لعمر وهو يدل على الوعي واليقظة لدى أم عبدالله < [٣].

٣- إن هجرة الصحابة ﷺ وتركهم لموطنهم الأصلي "مكة " قد ترك أثراً جلياً في نفس المشركين أنفسهم فهاهو عمر قد رق قلبه لخروجهم وكأنه قد تفاعل مع قضيتهم وظهر ذلك واضحاً حين قال لها: "صحبكم الله ".

أما بالنسبة للذين اشتركوا في هذه الهجرة، فإنه كما اختلفت المصادر في تحديد

----

(١) عامر بن ربيعةبن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد العنزي، يكنى أبا عبد الله، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة مع امرأته ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدر وسائر المشاهد، ومات بعد مقتل عثمان بأيام رضي الله عنهم أجمعين، انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج٢، ص٧٩٠، ٧٩١.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٠، ٢٧١.

(٣) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٥٩.

الوقت الذي تمت فيه الهجرة الأولى فإنها اختلفت كذلك في عدد أصحاب الهجرة وأسمائهم.

فقد ذكر ابن سعد ~ بأنهم كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ثم أورد قائمة بأسمائهم وهم:

عثمان بن عفان[(١)] معه امرأته رقية بنت رسول الله[(٢)] وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة[(٣)] معه امرأته سهلة بنت سهيل[(٤)] والزبير بن العوام[(٥)] ومصعب بن عمير[(٦)]

----

(١) عثمان بن عفان ﷺ بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن قصيّ القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الله، وأبو عمرو، زوَّجه رسول الله ابنتيه رقية ثم أم كلثوم، فلقب بذي النورين، هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قُتل بالمدينة، انظر الاسيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ج٣، ص١٠٣٧ – ١٠٥٣.

(٢) رقية بنت سيد البشر ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمية، زوج عثمان بن عفان ﷺ هاجرت مع زوجها الهجرتين، مرضت رقية أثناء مسير النبيﷺ إلى بدر فتخلف عليها عثمان بأمر الرسولﷺ له بذلك فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة بشيراً بانتصار المسلمين في يوم بدر على المشركين، انظر الإصابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق، ج٤، ص٣٠٤، ٣٠٥ .

(٣) أبو حذيفة ﷺ بن عتبة بن ربيعةبن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمى، يقال اسمه مهشِّم وقيل هاشم، وهو من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة، وإلى المدينة، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق، ج٥، ص٧١، ٧٢.

(٤) سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشية العامرية، زوج أبي حذيفة، كانت من السابقين إلى الإسلام، هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وولدت له محمداً، انظر أسد الغابة، مرجع سابق، ج٥، ص٤٨٢.

(٥) الزبير بن العوام ﷺ بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، أبو عبد الله حواري رسول اللهﷺ وابن عمته صفية أمه صفية بنت عبد المطلب، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، هاجر الهجرتين، قتل بعد أن انصرف يوم الجمل بمكان يقال له وادي السباع، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج١، ص٥٤٥، ٥٤٦.

(٦) سبق ترجمته، ص١٤٨.

وعبدالرحمن بن عوف(١) وأبو سلمة بن الأسد(٢) معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة(٣) وعثمان بن مظعون(٤) وعامر بن ربيعة(٥) معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة(٦) وأبو سبرة بن أبي رهم(٧) وحاطب بن عمرو(٨)

---

(١) عبد الرحمن بن عوف ﷺ بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي الزهري، كنيته أبو محمد هاجر الهجرتين، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، توفي سنة اثنتين وثلاثين، انظر أسد الغابة، مرجع سابق، ج٣، ص٣١٣.

(٢) أبو سلمة ﷺ بن عبد الأسد بن هلال الأسدي القرشي المخزومي، اسمه عبد الله، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ومعه امرأته أم سلمة ثم عاد وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وجرح بأحد جرحاً اندمل ثم انتقض فمات منه بجمادي الآخرة سنة ثلاث من الهجرة،أسد الغابة، مرجع سابق، ج٥، ص٣١٨ ، وانظر الإصابة، مرجع سابق، ج٤، ص٩٣.

(٣) هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين أم سلمة مشهورة بكنيتها معروفة باسمها وشذ من قال إن اسمها رملة، وكان أبوها يلقب زاد الركب لأنه كان أحد الأجواد فكان إذا سافر لم يحمل أحد معه من رفقته زادا بل هو كان يكفيهم وأمها عاتكة بنت عامر كنانية من بني فراس وكانت تحت أبي سلمة بن عبد الأسد وهو بن عمها وهاجرت معه إلى الحبشة ثم هاجرت إلى المدينة فيقال إنها أول ظعينة دخلت إلى المدينة مهاجرة ولما مات زوجها من الجراحة التي أصابته خطبها النبي ﷺ وتزوجها، انظر الإصابة، مرجع سابق، ج٨، ص١٥٠.

(٤) عثمان بن مظعون ﷺ بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي، هاجر إلى الحبشة في المرتين، ثم هاجر إلى المدينة وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين، وصلى عليه الرسول ﷺوقبله وهو ميت، انظر الإصابة، ج٢، ص٤٦٤.

(٥) سبق ترجمة، ص٢٣٥.

(٦) سبق ترجمتها،ص ٢٣٤.

(٧) أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس العامري القرشي، قديم الإسلام وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، شهد بدراً والمشاهد كلها، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنهم، انظر أسد الغابة، ج٥، ص١٣٤، ١٣٥.

(٨) حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺدار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين معاً، وهو أول من =

وسهل بن بيضاء[١] وعبدالله بن مسعود[٢].[٣]

وبمقارنة رواية ابن سعد[٤] برواية ابن إسحاق[٥] نجد ابن إسحاق لم يذكر في قائمته حين أورد أسماء المهاجرين عبد الله بن مسعود، كما يلاحظ بعض الاختلاف بين الروايتين إذ يرد عند ابن إسحاق اسم سهيل بن بيضاء بدلاً من سهل، وأما رواية عروة بن الزبير[٦] فقد ذكر أن عدد المهاجرين أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وبمقارنة بين رواية عروة وراية ابن إسحاق يلاحظ أن ابن إسحاق ذكر ليلى بنت أبي حثمة زوجة عامر بن ربيعة بينما يسقطها عروة وكذلك فإن عروة ذكر أم كلثوم بنت سهيل زوج أبي سبرة بن رهم بينما أغفلها ابن إسحاق وابن سعد.

أما البلاذري[٧] فعندما ذكر أسماء العائدين من الحبشة في المرة الأولى أورد قائمة

= هاجر إليها، وشهد بدراً مع النبي ﷺ، انظر أسد الغابة، ج١، ص٤٣٤.

(١) سهل بن بيضاء رضي الله عنه: هو سهل بن وهب بن ربيعة الفهري القرشي أبو موسى، والبيضاء هي أمه، هاجر هجرتي الحبشة، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وتوفي بعد رجوع النبي ﷺ من تبوك سنة تسع، انظر أسد الغابة، مرجع سابق، ج٢، ص٣٧٠.

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، كان إسلامه قديماً، أول من جهر بالقرآن بمكة، هاجر الهجرتين جميعاً إلى الحبشة وإلى المدينة، شهد بدراً والمشاهد كلها، شهد له الرسول ﷺ بالجنة، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، انظر أسد الغابة،، ج٣، ص٢٨٠- ٢٨٦ .

(٣) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٤.

(٤) انظر المرجع السابق، ج١، ص٢٠٤.

(٥) انظر السيرة النبوية: لابن إسحاق، مرجع سابق، ج٢، ص٥-٨.

(٦) مغازي رسول الله لعروة بن الزبير: تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية العربي، ط١، ص١٠٥.

(٧) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري: مؤرخ، جغرافي، من أهل بغداد، جالس المتوكل العباسي، ومات في أيام المعتمد، وله في المأمون مدائح، وكان يجيد الفارسية وترجم عنها كتاب (عهد أزدشير) =

ابن إسحاق لأصحاب الهجرة الأولى من الرجال دون النساء مضافاً إليها أبا عبيدة عامر بن الجراح[1] وكذلك عبد الله بن مسعود الذي سبق أن ذكره ابن سعد في قائمته ومسقطاً منها أبا سلمة[2].

وأما قائمة الطبري عن أهل الهجرة الأولى فتختلف بعض الشيء عن قائمة ابن إسحاق، فقد جزم بهجرة كل من أبي سبرة بن أبي رهم وحاطب بن عمرو وأضاف إلى القائمة عبدالله بن مسعود فأصبح عدد المهاجرين لديه اثني عشر رجلاً وأربع نسوة بعد أن أسقط اسم أم كلثوم بنت سهيل زوج أبي سبره[3] وهي موافقة للقائمة الموجودة عند ابن سعد، ولم تختلف القائمة التي عند ابن سيد الناس في شيء عن قائمة ابن سعد سوى إثبات أم كلثوم بنت سهيل بين المهاجرين فأصبح عدد المهاجرين لديه اثني عشر رجلاً وخمس نسوة[4].

يظهر من العرض الوجيز لأعداد المهاجرين إلى الحبشة في الهجرة الأولى أن معظم الروايات تتفق على أسماء عشرة من الرجال هم:

١-عثمان بن عفان ٢- عثمان بن مظعون ٣- أبو حذيفة بن عتبة ٤-الزبير بن

= وأصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون فشد بالبيمارستان إلى أن توفي، نسبته إلى حب البلاذر (قيل: إنه أكل منه فكان سبب علته، من كتبه (فتوح البلدان) و(القرابة وتاريخ الأشراف) ويسمي (أنساب الأشراف).انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٧.

(١) أبو عبيدة عامر بن الجراح بن هلال بن أهيب بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر القرشي الفهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، شهد بدراً، والمشاهد كلها وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، توفي في طاعون عمواس، انظر أسد الغابة، ج٥، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) انظر أنساب الأشراف: للبلاذري، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٤، ٢٢٥.

(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك: الطبري، مرجع سابق، ج١، ص٥٤٧.

(٤) انظر عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ابن سيد الناس، دار الآفاق بيروت، ط١، ج١، ص١٤٤.

العوام٥-عبد الرحمن بن عوف ٦- عامر بن ربيعه ٧- مصعب بن عمير ٨- أبو سلمة بن عبد الأسد ٩- سهيل بن بيضاء ١٠-أبو سبرة.

وتختلف في اثنين فقط هم: ١-عبد الله بن مسعود ٢- أبو عبيدة عامر بن الجراح

أما النساء فقد اجتمعت الروايات على أربع منهن وهن:

١-رقية بنت رسول الله ﷺ زوج عثمان بن عفان ٢-أم سلمة بنت أبي أمية زوج أبي سلمه بن عبد الأسد ٢-سهيلة بنت سهيل زوج أبي حذيفة ٤- ليلى بنت أبي حثمة زوج عامر بن ربيعة.

واختلفت في واحدة من النساء المهاجرات وهي:

أم كلثوم بنت عمرو زوج أبي سبرة بن أبي رهم.

من الروايات السابقة يتضح أن أصحاب الهجرة الأولى يتراوح عددهم مابين العشرة إلى اثني عشر رجلاً، وأما النساء فإن عددهم يتراوح ما بين أربع نسوة إلى خمس.

عند ذلك خرج الصحابة ﭫ متوجهين إلى أرض الحبشة بعد أن تلقوا الإذن من الرسول ﷺ حتى انتهوا إلى الشعيبة[1] منهم الراكب والماشي ووفق الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار[2].

استمر المهاجرون في رحلتهم البحرية إلى الحبشة، وأخيراً وصلوا إلى هناك، لكن ليس في المصادر ما يفيد الوقت الذي استغرقتة الرحلة، ولا المكان الذي حطّ فيه المهاجرون رحالهم، وإنه لما يثير الاستغراب أن كل المصادر تقريباً التي ناقشت أمر

---

(١) الشعيبة: تصغير شعبة، وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وكان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة، انظر معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٠.

(٢) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٤.

الهجرة تحدثت عن أشياء كثيرة ذات علاقة بالهجرة والمهاجرين والحبشة إلا أنها لم تتطرق إطلاقاً إلى المرافئ التي حطوا رحالهم بها ولا المدن التي عاشوا فيها ولا أسباب العيش التي تعلقوا بها، وأمام ذلك الصمت المطبق لجأ بعض الباحثين إلى التخمينات والافتراضات للتعرف إلى المكان الذي نزله المهاجرون بالحبشة(١).

ومن ذلك ما ذكره البروفسور حسن قريب الله في كتابه (السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة)حيث قال: "كانت وما تزال الفكرة السائدة عند الجميع هي أن الهجرة الأولى للصحابة هو بلاد الحبشة، وهو أمر لا ننكره وما ينبغي لنا أن نغفله، ولكنا ننكر تحديد مفهوم (الحبش) بما يجعله اسماً للبلاد لا لوناً للسكان"(٢).

وعلى ما تقدم فإن البروفسور حسن الفاتح قريب الله يرى أن هجرة الصحابة رضوان الله عليهم كانت لأرض السودان الحالي وليس لأرض الحبشة، وهو لا ينكر أن الهجرة كانت لأرض الحبشة ولكنه ينكر أن يكون مفهوم الحبشة اسماً للبلاد، لا لون للسكان، فإن مفهوم الحبشة لدى قريب الله المقصود بها (اللون) وليس المقصود بها أرض الحبشة المعروفة الآن (أثيوبيا) وتتلخص الأدلة التي ساقها فيما يلي:

أولاً: يرى أن المكان الذي تمت إليه الهجرة ما ينبغي أن نتعامل معه وفقا للحدود الحالية للحبشة لبلاد أثيوبيا (الحالية) مما يجعل من غير المعقول أن يلجأ المهاجر الخائف إلى طريق بري طويل يمتد من مكة عبر الجزيرة العربية حتى يحاذي الحبشة الحالية، علما بأن الساحل بين جانبي البحر الأحمر هو أضيق ساحل بعد ساحل اليمن والحبشة بمفهومها الحالي ذلك أن اتساعه لا يزيد على مائة وعشرين ميلا كما أن المسلمين كانوا يرغبون في مأمن قريب، فإذا كانوا يقصدون الحبشة الحالية لاقتضى الوصول إليها ما يلي:

---

(١) انظر الهجرة إلى الحبشة: مرجع سابق، ص١٢.

(٢) السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة: حسن الفاتح قريب الله، ص١٢٣.

١- أن تسير سفن المهاجرين من جدة إلى باب المندب لمسافة أكثر من ١٠٠٠ كلم يضاف إليها مسافة برية أكثر من سبعمائة كلم للوصول إلى أقرب نقطة نيلية في الحبشة، كما أن طبيعة البحر الأحمر المرجانية وحرارته المرتفعة مع الرطوبة تجعل الملاحة فيه غير ملائمة في هذا التاريخ المبكر.

٢- السير على طريق البر إلى الحبشة، وهو طريق طويل تكثر فيه الهضاب والمنخفضات وهو أبعد بكثير من الطريق البحري إذ إنه طريق متعرج لا يكاد يحاذي البحر إلا في مناطق قليلة علما بأن الذي يسلك الطريق البري سيضطر بعد الوصول إلى باب المندب أن يعبر البحر إلي الحبشة ليسير بعد ذلك برا لمسافة أكثر من سبعمائة كلم للوصول إلى بحيرة تانا، حيث أقرب موقع لمجرى النيل[١].

يمكن الرد على ما ذكر بالآتي:

١-ما ذكره من طول المسافة التي قطعها المهاجرون حتى وصلوا إلى الحبشة، فإن طول المسافة ليس دليلا على أن الحبشة ليست الأرض التي استضافت الصحابة رضوان الله عليهم، وذلك لأن الملاحة في البحر الأحمر سهلة طول العام فلا تهب به زوابع وأعاصير إلا بضعة أيام في السنة ولا تستمر هذه الرياح طويلاً، ولما كان العرب يشتغلون بنقل التجارة بين الأسواق المختلفة، كانت الحبشة (أثيوبيا الحالية) أحد هذه الأسواق التي يقصدونها لحمل التجارة منها أو إليها فازدحم البحر الأحمر بالسفن التي كانت تنقل تجارة الحبشة إلى المراكز التجارية العربية[٢].

فقد كانت للحبشة صلات تجارية قوية مع قريش والتي لخصها الطبري بقوله: "بأن الحبشة كانت متجراً لقريش يتجرون فيها ويجدون فراغاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً"[٣].

----

(١) انظر السودان دار الهجرتين الأولى والثانية: حسن قريب الله، مرجع سابق، ص١٢٤.

(٢) انظر الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى: زاهر رياض، مرجع سابق، ص٩٥ وص٩٧.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: للطبري، مرجع سابق، ج١، ص٥٤٦.

ومعنى هذا أن القرشيين كانوا يعرفونها من قبل البعثة، وأن صلتهم بها سابقة لظهور الإسلام، وأنهم ترددوا عليها مراراً وتكراراً ببضائع تجارية يتلقونها منها وإليها، من ذلك يمكن القول بأن أثيوبيا كانت منذ أقدم الأزمنة المهجر الطبيعي لسكان الجزيرة العربية[1] لذلك ليست المسافة عائقاً والحال كما ذكر، لذا من الصعب صرف هذا الاسم (الحبشة) إلى بلد غير بلاد (أثيوبيا) اليوم[2].

ثانياً: ومن الأدلة التي ذكرها كذلك كون المسافرين آنذاك يفضلون، حتى في الظروف العادية، في رحلتهم من اليمن إلى المدينة المنورة سلوك الطريق البحري بدليل أن أبا موسي الأشعري مع خمسين أو أكثر من مرافقيه، حين وازنوا بين الطريقين البري والبحري، آثروا الطريق البحري تفاديا منهم لطول الطريق البري ومخاطره وهذا ما نحسب أنه حدث لركب المهاجرين.

ثالثاً: وكذلك ورد في تاريخ خروج الصحابة في هجرتهم الأولى كان في شهر رجب من السنة الخامسة من النبوة وأنهم وصلوا إلى الحبشة في نفس الشهر، وفي ذلك يقول ابن هشام: (فمكثوا في أرض الحبشة بقية رجب وشعبان إلى رمضان) وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأرض التي هاجروا إليها كانت قريبة جدا من ديارهم وإلا لما أمكنهم أن يصلوا إليها في أيام، علما بأن المسافة مابين مكة أو المدنية وحضرموت الموازية لأرض الحبشة (بمفهومها الحالي) حتى مع السرعة الشديدة شهرين كاملين كانت تستغرق آنذاك[3].

ويمكن توضيح ما ذكره بالآتي:

أولاً: أن تفضيل المسافرين للطريق البري ربما كان بسبب مخاطر الطريق كما ذكر

---

(١) انظر الإسلام في أثيوبيا: زاهر رياض، مرجع سابق، ص٩٦.

(٢) انظر الشبكة العنكبوتية: موقع شرفات عسير، بتصرف.

(٣) انظر السودان أرض الهجرتين: مرجع سابق، ص١٢٥وص١٢٧.

وكما فعل أبو موسى ومن معه ﷺ ولكن اختيار أبي موسى للطريق البحري بدلاً من البري ليس بسبب طول المسافة ولكن بسبب مخاطر الطريق البري فإنه كما هو معروف أن القبائل العربية كانت تقف في وجه الدعوة في بدايتها، لذلك فضل أبو موسى الطريق البحري خوفا من أن يعلم به المشركين فيمنعونهم من الهجرة إلى الرسول ﷺ كذلك فإن الرواية التي جاء فيها هجرة الأشعريين قد وضحت بأنهم كانوا يقصدون الهجرة إلى الرسول ﷺبالمدينة فألقتهم السفينة إلى الحبشة فهذا دليل على طول المسافة لذلك لم يدركوا أنفسهم إلا وهم في أرض الحبشة وهذا يؤكد بأن طول المسافة ليس عائقاً في كون الحبشة هي البلد الذي استضاف المهاجرين ﷺ والله أعلم.

ثانياً: بالنسبة لوقت خروج المهاجرين في الهجرة الأولى فقد استغرقت هجرتهم إلى الحبشة ذهاباً وإياباً ثلاثة أشهر فقد خرجوا في رجب ورجعوا في شوال وهذه مدة كافية لذهابهم ورجوعهم وليس هذا سببا في كون أن الحبشة ليست هي البلد الذي هاجر إليها بعض أصحاب النبي ﷺ والله أعلم.

ثالثاً: ومن الأدلة كذلك التي ساقها حسن قريب الله الرواية التي ذكرت خروج الحبشة على النجاشي وانتداب الصحابة للزبير في معرفة نتيجة المعركة، وقد ذكر بعض الحقائق ومن هذه الحقائق التي ذكرها ما يلي:

لتحديد المنطقة التي عبر منها الزبير بن العوام (النيل)لمراقبة المعركة لابد من التعرض بإيجاز لمجري النيل من خلال الحقائق التالية:

١-النيل كما يمر بأرض الحبشة بمفهومه الحالي المعاصر، يمر كذلك بأرض السودان مفهومه الحالي المعاصر، وقد أورد العديد من الحقائق الجغرافية عن ارتفاع مستوى منابع النيل عن مستوى سطح البحر في أعالي نهرعطبرة والنيل الأزرق بمعدل يجعل حتى عبور السفن أمرا متعذرا ناهيك عن السباحة بقربة منفوخة[1].

----

(١) انظر السودان دار الهجرتين، مرجع سابق، ص١٤٢.

ويمكن الرد على ما ذكره البروفسور حسن قريب الله بالآتي:

أولاً: أن حادثة صراع النجاشي ﵁ مع منافسه على ملك الحبشة التي أوردها ابن هشام وروتها أم سلمة < فقد جاء فيها: أن النجاشي قد أعد سفنا للصحابة ليركبوا فيها وينجو بأنفسهم وأهليهم في حالة هزيمته أمام منافسه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرت فاثبتوا، ولابد أن هذه السفن كانت على البحر إذ ليس هناك ما يربط بين النيل والبحر الأحمر لينجو الصحابة بركوبهم.[1]

ثانياً: ما ذكره من الحقائق الجغرافية وإن كانت صحيحة، ولكن لفظ النيل ليس بالضرورة أن يطلق على النيل المعروف الآن، فليس من المستبعد، أن يكون الصحابة ﵃ قد أطلقوا لفظ النيل على نهر أونهير على ساحل البحر الأحمر.[2]

ثالثاً: يضاف إلى هذا لغة المحادثة التي نطق بها النجاشي في تأكيده لضمان سلامة الصحابة رضوان الله عليهم .

قال ابن إسحاق ~ : "اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي (والسيوم الآمنون) من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبر ذهب وأني آذيت رجلاً منكم (والدبر بلسان الحبشة الجبل)[3].

وأن النبي ﷺ تكلم ببعض المفردات الحبشية من ذلك كلمة (سني) فقال وهو يداعب تلك الجارية التي ولدت في بلاد الحبشة وجاءت وهي تتكلم لغة الحبشة عندما رأى عليها ثوبا من ثياب الحبشة الجميلة: (سنة، سنة) أي جميل جميل[4] وما

----

(١) انظر الشبكة العنكبوتية، موقع شرفات عسير.

(٢) انظر الشبكة العنكبوتية، موقع شرفات عسير.

(٣) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٧.

(٤) انظر صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب من ترك صبية غيره تلعب به أو قبلها أو مازحها ج٨، =

زالت هذه المفردات مستخدمة حتى هذه اللحظة.[1]

ومما يقوي كذلك أن هجرة الصحابة لم تكن إلى السودان كما ذكر ذلك حسن قريب الله، وأنها كانت للحبشة ما كانت تتميز به الحبشة وقتها من وجود فعلي ودور إقليمي مشهود ومعتبر، أهَّلها لأن تكون حليفة الرومان حتى إن غزو الحبشة لجنوب شبه الجزيرة العربية لم يتم إلا بالمساعدة الرومانية الشرقية ولذا كان البحر الحمر مشتركاً بينهما، وعلى هذا فإن كان المقصود أن السودان الحالي كان جزءا من الحبشة، يوم هاجر إليها الصحابة ﷺ فذلك أمر غير مستبعد، لذلك التوسع والتمدد الذي أحرزه ملوك الحبشة، وليس في هذا أدنى مساس بالحقيقة التاريخية المعروفة لدى الجميع بشأن هجرة الصحابة إلى الحبشة، وتبقى الحبشة هي الحبشة، مركزها مملكتها ومستقر نجاشيها اكسوم، وما سواها يبقى من ملحقاتها وتوابعها، وفي الحالة لا مسوغ تاريخي يسوغ حذف اسم الحبشة وإحلال اسم السودان محله في مؤلف يتحدث عن هجرة الصحابه الأولى والثانية إلى الحبشة، على النحو الذي عنون به الشيخ قريب الله مؤلفه (السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة) فإن في هذا تغييباً متعمداً للأصل، وتغليبا لجانب الفرع، وتفخيما له على حساب المركز[2].

أما عن أخبار وصول المهاجرين إلى الحبشة، فلا تكاد المصادر المتقدمة تفصل في زمن قدومهم للحبشة ولا استقبال الأحباش لهم ولا اتصالهم بالنجاشي[3]، إذ لم تورد كتب السير تفاصيل تذكر عن الهجرة الأولى وأحوال المهاجرين في أثناء إقامتهم في الحبشة، وإنما التركيز على المرحلة الأولى وهي خروجهم من مكة ثم عودتهم إليها عند

= ص٣٢٢.

(١) انظر الشبكة العنكبوتية، موقع شرفات عسير.

(٢) انظر الشبكة العنكبوتية: موقع شرفات عسير، بتصرف.

(٣) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٥٣ بتصرف.

سماعهم بإسلام أهل مكة[1].

وأمام ذلك ذهب الباحثون إلى التخمينات من ذلك ما ذكره احد الباحثين بأن أصحاب الهجرة الأولى لم يكونوا سوى وفد أرسله النبي ﷺ إلى النجاشي ليفاوضه في أمر الهجرة حيث قال: " والوضع فيما نعتقد هو أن الفوج الأول لم يكن في واقع الأمر قوماً فروا بأنفسهم إلى الحبشة، وإنما كانوا بعثة إسلامية أرسلها النبي ﷺ إلى ملك الحبشة لتتعرف مدى رغبة النجاشي واستعداده لقبول المهاجرين "[2].

ويرد باحث آخر على هذه الفرضية بقوله: "أمثال هذه البعثات في العادة لا تصل إلى مثل هذا العدد الضخم الذي تكّون منه هذا الرعيل، كما أنه لا ضرورة لوجود نساء فوفد كهذا قد يقضي المدة كلها في سفر، هذا إلى أن هذه الجماعة قد خرجت من مكة والأزمة بين المسلمين وكفار قريش قائمة واضطهاد المستضعفين بالغ أشده، فإذا كانوا بعثة للمفاوضة والتمهيد فلن ينتظر أفرادها إذا عادوا حالا غير ما تركوه ولكن الرواية تقول إنهم ترددوا في دخول مكة حتى وجدوا من يخفيهم أو يمنحهم حمايته، أي أنهم فوجئوا بحالة من الاضطهاد لم يكونوا يتوقعونها مما جعلني أميل إلى الرأي الذي يقول إنهم هاجروا ثم عادوا حينما بلغهم أن قريشاً قد أسلمت وتابعت النبي ﷺ "[3].

إضافة إلى هذا الرأي الذي أدلى به زاهر رياض، فإن روايات المؤرخين المسلمين الذين أسهبوا في الحديث عن أمر الهجرة الأولى يجب وضعها موضع الاعتبار عند المناقشة لأن تلك الروايات لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى مكان وصولهم ولا إلى موضوع المفاوضات ومدى استعداد النجاشي لقبول عدد من المسلمين في بلاده، ثم إن تلك الروايات تؤكد أن جماعة المهاجرين الصغيرة بقيت في الحبشة ثلاثة

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٦١ بتصرف.

(٢) بين الحبشة والعرب: عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص٧٧.

(٣) الإسلام في العصور الوسطى: زاهر رياض، دار الشروق، ص٤٢.

أشهر وعادت في شوال من العام نفسه حين بلغها "كذباً" إسلام أهل مكة، فلو كان الأمر متعلقاً بالمفاوضات لما استغرق الأمر هذه المدة الطويلة، ثم لما احتاج هذا الوفد إلى سماع إشاعة إسلام أهل مكة حتى يعودوا[1].

وأما ما جاء في مرويات السيرة ليؤكد أن أصحاب الهجرة الأولى لم يتم لقاؤهم بالنجاشي حتى قدم جعفر وأصحابه ﭬ، ففي رواية عروة أن كفار قريش قد أمروا وفدهم بالإسراع في السير حتى يسبقوا جعفر وأصحابه إلى النجاشي ويفهم منه أن وفد قريش سبق والتقى بالنجاشي قبل لقائه المهاجرين به، وجاء في الرواية نفسها: "فلما رأوا (جعفر وأصحابه) أن الرجلين (عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص) وفد كفار قريش، قد سبقا ودخلا.."[2].

وهذا يؤكد أن اللقيا مع النجاشي كانت في الهجرة الثانية، بل يفهم من الرواية أيضاً أن حديث النجاشي مع المهاجرين يفيد لقياه بهم أول مرة، ولا يسعف النص والحوار بسابقة لقاء قبله، وأسئلته لجعفر وأصحابه ﭬ يؤكد ذلك[3] ومما قاله لهم: "أخبروني أيها الرهط ما جاء بكم؟ وما شأنكم؟ ولم آتيتموني ولستم بتجّار، ولا سؤال؟ وما نبيكم هذا الذي خرج؟ وأخبروني ما لكم لم تحيوني كما يحييني من أتاني من أهل بلدكم؟.."[4].

وفي رواية أم سلمة < ، ما يؤكد ذلك، وقد جاء في الرواية أن كفار قريش طلبوا أن يسألا النجاشي أن يُسلّمهم المهاجرين، قبل أن يلتقي النجاشي مع المهاجرين، كما أن اجتماع المسلمين حين بلغهم طلب النجاشي اللقيا بهم وتشاورهم فيما يقولونه للنجاشي إذا جاءوا إليه، ثم حديثهم إليه عن سبب خروجهم من بلادهم،

---

(١) انظر الهجرة إلى الحبشة، مرجع سابق، ص١٤، ١٥.

(٢) مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير: مرجع سابق، ص١١١.

(٣) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق.ص٥٥، ٥٦.

(٤) مغازي رسول الله ﷺلعروة بن الزبير: مرجع سابق، ص١١٢.

واختيارهم لبلاده في حديث طويل[(١)].

كل ذلك يفهم منه بداية لقاء لا سابقة لـه بالنسبة للمهاجرين، ولا معرفة قبله بحالهم بالنسبة للنجاشي[(٢)].

ويرجع عدم معرفة النجاشي بأصحاب الهجرة الأولى للأسباب التالية:

١- قلة عدد المهاجرين في الهجرة الأولى فمجموعه لا يزيد عددهم عن اثني عشر، وربما كانوا أقل لا يستغرب خفاء أمرهم في البداية، سيما وهي ليست مكلفة بمقابلة النجاشي ابتداءً وليست بعثة مفاوضات حتى يشتهر أمرها[(٣)].

٢-إن المدة التي أقامها المهاجرون في الحبشة كانت قصيرة جداً لأنهم هاجروا إليها في رجب سنة خمس من البعثة النبوية ثم رجعوا إليها في شهر شوال من السنة الخامسة نفسها وهذا معناه أنهم مكثوا فيها شهر شعبان ورمضان ولعل الزيادة تكون أياما من رجب وأخرى من شوال ليصبح عدد الأيام التقريبية ثلاثة أشهر، ومن هنا يتبين أنهم لم يستقروا استقراراً كافياً يوفر معلومات وافية عنهم[(٤)].

٣- وكما يبدو من استقراء النصوص أن المسافة الزمنية بين الهجرتين (الأولى والثانية)قصيرة، فما إن استقر أصحاب الهجرة الأولى حتى لحق بهم أصحاب الهجرة الثانية وعبارات ابن إسحاق توحي بالتتابع واتصال الهجرتين، فهو يقول بعد حديثه عن الهجرة الأولى، ثم خرج جعفر بن أبي طالب ﷺ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة[(٥)].

----

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٤-٢٦٧.

(٢) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٥٦.

(٣) انظر المرجع السابق، ص٥٨.

(٤) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٦٢ بتصرف.

(٥) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٦.

ويرجع عدم علم النجاشي لأصحاب الهجرة الأولى ومقابلته لهم جميعاً حين قدم أصحاب الهجرة الثانية للأسباب التالية:

١-أن أخبار الهجرة الثانية والأحداث الجليلة الحافلة بجلائل الأعمال المثيرة التي دارت في أرض الحبشة الممثلة بالمواجهات العنيفة بين المهاجرين والمشركين من جهة، وبين المؤمنين المهاجرين والنجاشي من جهة أخرى، تلك الأحداث طغت على أخبار الهجرة الأولى، حيث انصب الاهتمام الكبير على الأحداث الجسيمة التي كادت تفتك بالصحابة رضي الله عنهم[(١)].

٢-كما أن الأحداث الجسيمة التي حدثت بمكة من حصار الشعب وخروج النبي ﷺ إلى الطائف وعرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل والتي ذكرتها في السابق وغيرها كان لها دور في صرف المؤرخين عن أحداث الهجرة الأولى والذين اكتفوا بذكر الهجرة الأولى دون ذكر أي تفاصيل في شأنها وكان التركيز عل الأحداث البارزة التي حدثت في مكة.

٣-بالإضافة إلى ذلك فإن الظروف السياسية غير مستقرة تماماً للنجاشي في بداية هجرة المسلمين إلى الحبشة، وأن ثمة خصوم ينافسونه على حكم الأحباش وإذا لم يتم تأكيد هذه الخصومة، أو إثبات المنازع له في الحكم أول ما قدم المهاجرون للحبشة فلعل ذلك يستنتج من المنازعة التي وقعت له بعد استقرار المهاجرين ولم يستوثق له أمر الحبشة حتى أهلك عدوه، ففي أواخر رواية أم سلمه < جاءت الإشارة إلى هذا الوضع السياسي المتأزم تقول أم سلمة < : "فو الله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه ملكه إلى أن تقول في نهاية الرواية: ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه، ومكّن له في بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة "[(٢)] وهذا مؤشر إلى عدم استوثاق أمر الحبشة قبل ذلك، إن انشغال النجاشي بأمر تثبيت ملكه في هذه الفترة كفيل

---

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٦٢.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٧.

بانشغاله عما سواه، وعدم التفاته إلى مجموعة مسالمة مهاجرة بدينها تترك أرضه، ولا تشكل خطراً عليه حتى يعلم بأمرهم[١].

لقد تمت هذه الهجرة بنجاح واستطاعت هذه القلة المؤمنة بتوفيق من الله الإفلات من عدوها الباغي لقد رحلت هذه القافلة المؤمنة إلى الله ﷻ تاركة الغالي والنفيس مفارقة للأهل والوطن في سبيل هذا الدين، وقد أتم الله لها ما أرادت ويرجع السبب في نجاح هذه الهجرة المباركة إلى توفر عدة عناصر ساعدت على نجاحها ومنها:

١- لطف الله ﷻ وتوفيقه أولا وقبل كل شي[٢].

قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾[٣].

٢-حسن تدبير الصحابة ﷺ والسرية التامة التي أحيطت بها الهجرة إلى أن تم الخروج من مكة[٤].

٣- قلة العدد وسرعة الحركة مكنت المهاجرين من إنجاز المهمة[٥].

٤-وجود سفينتين جاهزتين لنقل المهاجرين إلى الحبشة في الساحل ساعة وصولهم هناك[٦].

٥-سرعة الاستجابة لأمر الله ﷻ ثم طاعتهم لرسول الله ﷺ فما إن تلقى

---

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٥٩، ٦٠.

(٢) انظر معالم الهجرتين في أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٥٢.

(٣) سورة النحل: الآية (٤١).

(٤) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٥٢ بتصرف.

(٥) انظر المرجع السابق، ص٥٢.

(٦) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة ، ص٥٢.

الصحابة ﷺ الإشارة، من رسول الله ﷺ بالإذن بالخروج حتى خرجوا دون تردد ولم تثنهم مفارقة الأهل والوطن ولا ما تخبيه هذه الهجرة من مخاطر، وإنما كان جل اهتمامهم هو الحفاظ على دينهم وطاعتهم لله ورسوله ﷺ.

فما إن خرج الصحابة ﷺ من مكة إلى الحبشة حتى انقطعت عنهم الأخبار فلم تورد كتب السيرة تفاصيل تذكر عن الهجرة الأولى وأثناء إقامة المهاجرين في الحبشة وإنما التركيز على المرحلة الأولى من خروجهم والمرحلة الأخيرة وهي في رجوعهم من أرض الحبشة ولعل ذلك يرجع للأسباب السابقة الذكر .

وترجع القافلة المؤمنة من أرض الحبشة إلى مكة بعد أن مكثت ثلاثة أشهر، وسيتم بيان ذلك وسبب رجوعهم في المطلب التالي.



المطلب الثاني:
عودة أصحاب الهجرة الأولى من الحبشة إلى مكة

قضى أصحاب الهجرة الأولى قرابة الثلاثة أشهر في أرض الحبشة وبعد ذلك رجعوا قافلين إلى مكة، وقد اختلفت المصادر في سبب رجوعهم، فمنهم من قال إن سبب عودتهم كان بسبب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قوي جانب المسلمين[(١)].

ومنهم من قال إن سبب عودة مهاجري الحبشة (الهجرة الأولى)هو ما وقع في الحبشة من الهرج، واشتعال نيران الفتن بين الشعب والملك في قصة ساقها ابن إسحاق ~ عن طريق أم سلمة < ، فخاف المسلمون المهاجرون أن ينالهم من وراء ذلك سوء يذهب بأمنهم واستقرارهم فرحلوا عائدين إلى وطنهم، حتى إذا استوثق الأمر للنجاشي في بلده وانجلت عن الحبشة سحائب الفتنة عاد المسلمون إلى الهجرة وهاجر معهم أضعاف أعدادهم[(٢)].

ومنهم من قال أن سبب عودتهم ذلك أن أصحاب الهجرة الأولى كانوا مجرد وفد بعثه رسول الله ﷺ لمفاوضة النجاشي في أمر الهجرة وأن الوفد أدى الرسالة وعاد إلى النبي ﷺ في مكة ليبلغه موقف النجاشي[(٣)].

ومنهم من يرى أن سبب عودة المهاجرين هو ما سمعوه عن إسلام أهل مكة بعد قصة الغرانيق[(٤)] [(٥)].

---

(١) انظر حاشية دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٨٨.

(٢) انظر محمد رسول الله ﷺ: الصادق عرجون، مرجع سابق، ج٢، ص٥٨، ٥٩.

(٣) انظر بين الحبشة والعرب: عابدين، مرجع سابق، ص٧٧-٧٩.

(٤) يريدون بذلك ما شاع من أن النبي ﷺكان يقرأ سورة النجم فلما وصل إلى قوله تعالى: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) سورة النجم: الآية (١٩، ٢٠)ألقى الشيطان في آذان المشركين قوله (تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى)وهذا الخبر شهر بقصة الغرانيق.

(٥) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٥، ٢٠٦.

مما سبق يتضح تضارب الآراء في سبب عودة مهاجري الحبشة (الهجرة الأولى) وبالنظر إلى ما ذكر سابقاً يمكن مناقشة الآراء وبيان الصواب منها.

أما ما ذكر من أن سبب عودة المهاجرين هو إسلام ابن الخطاب ﵁ فلا أتصور أن هذا هو السبب في عودتهم، وذلك بعيد لأنه لا يمكن أن يكون بمجرد معرفة المهاجرين بإسلام عمر يرجعون ولا سيما وقد قطعوا تلك المسافة البعيدة ولم يستقروا هناك سوى بضعة أشهر، صحيح أن بإسلام عمر قد قوي جانب المسلمين وذلك بما عرف عن عمر ﵁ من الشجاعة والقوة وقد ذكرت كتب السيرة أن بإسلام عمر﵁ استطاع المسلمون أن يصلوا عند الكعبة وكانوا قبل إسلام عمر لا يستطيعون ذلك فقد ذكر ذلك ابن إسحاق ~ حيث قال: "وأسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله وبحمزة حتى عازُّوا[(١)] قريشاً"[(٢)].

وكان عبد الله بن مسعود﵁ يقول: "كان إسلام عمر بن الخطاب فتحاً، وهجرته نصراً وإمارته رحمة، وما استطعنا أن نصلي ظاهرين عند الكعبة حتى أسلم عمر"[(٣)].

كل ذلك يدل على مدى تأثير إسلام عمر ﵁ حيث تمكن المسلمون من أداء الصلاة وكانوا قبل ذلك لا يستطيعون، ولكن ليس معنى ذلك أنه السبب الرئيس في عودة المهاجرين، ومن ناحية أخرى فإن الذي ربط إسلام عمر برجوع المهاجرين علل ذلك بأن المسلمين قد قوي جانبهم، وإن كان ذلك قد حصل فليس معنى ذلك أن كفار قريش قد كفوا أذاهم عن المسلمين بمجرد إسلام عمر وعلى الرغم من ذلك إلا

(١) عازوا: بمعنى غلبوهم ومنعوهم، انظر المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج٢، ص٥٩٨، وانظر تاج العروس، مرجع سابق، ج٥، ص١٧٤.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٠.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٢٧٠.

أن المشركين كانوا ولا يزالون يلقون أذاهم على المسلمين، بل بالعكس بعد إسلام عمر قد ازداد أذاهم حتى إنهم اتفقوا على حصار النبي ﷺ وأصحابه في الشعب، كما أنه بالرجوع إلى كلام ابن إسحاق يتضح أن إسلام عمر ﷺ كان بعد حدوث الهجرة الثانية حيث قال: "وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة "(١).

وقد مما يؤيد ذلك، قول ابن كثير ~ وذلك أنه بعد أن سرد قصة إسلام عمر بحديث طويل ذكره ابن عمر { قال ابن كثير ~ : "وهو يدل على تأخر إسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم "(٢).

وقول ابن كثير ~ يدل على أن إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية بأربع سنين وكانت هجرته ﷺ سنة ثلاثة عشر من البعثة، أي أن إسلامه كان سنة تسع من البعثة وهجرة الحبشة الأولى كانت سنة خمس من البعثة، وكذلك فإن ابن كثير ~ ذكر إسلام عمر بعد ذكره للهجرة الثانية وهذا يؤيد كذلك بأن إسلام عمر كان بعد وقوع الهجرة الثانية للحبشة، وأن ربط عودة المهاجرين بإسلام عمر لا علاقة به والله أعلم.

أما الرأي الذي يقول بأن عودة المهاجرين كان بسبب ما وقع في الحبشة من الفتن وهذا الرأي يمكن الرد علية بالآتي:

وهو أن ما حصل في الحبشة من الفتن، لا يدل على أنه كان السبب في عودة المهاجرين والذي ذكر هذا السبب استدل بحديث أم سلمة < ، وهذا الحديث لا يوجد فيه ما يدل على أن عودة المهاجرين كان سببه ما أصاب الحبشة من الفتن، بل

---

(١) سيرة ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار، ص١٦٠.

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤٣٦.

على العكس فإن حديث أم سلمة يدل على أن الفتن التي أصابت الحبشة حدثت بعد وقوع الهجرة الثانية، وذلك لأنها ذكرت هذه الفتن بعد ذكرها للحوار الذي دار بين النجاشي وجعفر رضي الله عنه ومبعوثي كفار قريش وقد ذكرت فيه قائلة: "وخيب ظنهم في إرجاع المهاجرين، بعد أن منَّ الله على المهاجرين قبول النجاشي لضيافتهم فقال: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي والشيوم: الآمنون " ثم ذكرت بعد ذلك الفتنة التي أصابت الحبشة فقالت: "فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه"[1].

وقد كانت هجرة جعفر رضي الله عنه في الهجرة الثانية للحبشة، والفتن التي أصابت الحبشة كانت بعد حدوث الهجرة الثانية، وبهذا فإن ربط عودة مهاجري الهجرة الأولى بالفتن التي أصابت الحبشة لا علاقة له بعودة المهاجرين (الهجرة الأولى) كذلك فإن خروج الحبشة على النجاشي كانت بعد استضافة النجاشي لأصحاب الهجرة الثانية وقبول دعوتهم للإسلام كما أوضحت سابقاً وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ~ بقوله: "اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فأمضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا "[2].

وقد ذكرت سابقاً بأن النجاشي لم يلتقِ مع أصحاب الهجرة الأولى وذكرت ما يثبت ذلك ويؤيده.

أما الرأي الذي يقول إن أصحاب الهجرة كانوا مجرد وفد، فقد ذكرت سابقاً الرد على مثل هذا القول.

وأما الذين ذكروا بأن سبب عودة المهاجرين هو ما سمعوا من إسلام أهل مكة واستدلوا بذلك بقصة الغرانيق، فقد زعموا أن سبب رجوعهم كان لوقوع هدنة

---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٧.

(٢) المصدر السابق ،ج١، ص٢٦٩.

حقيقة بين الإسلام والوثنية، أساسها أن محمداًﷺ تقرب إلى المشركين بمدح أصنامهم والاعتراف بمنزلتها، إذ زعموا أنه قرأ على المشركين سورة النجم حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[١].

ألقى الشيطان في آذان المشركين بقوله: "تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى " فسجد وسجد كفار مكة[٢]. وغيرها من المرويات التي ذكرت في تلك القصة مع اختلاف رواياتها.

وممن روى هذه القصة ابن سعد[٣] والطبري[٤] والبيهقي[٥] والسيوطي[٦] وابن حجر[٧] وابن تيمية[٨].

ولم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة ولا الإمام أحمد ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة على التحرير[٩].

إن هذه القصة الكاذبة ترد عادة عند ذكر الهجرة، وعلى الرغم من أن هذه الفرية لا علاقة لها بعودة المهاجرين ليس هذا فحسب بل إنها تنافي جانبا عظيما من جوانب العقيدة، بالإضافة لما فيها من الافتراء على الله تعالى وعلى نبيه ﷺ وهذه القصة باطلة لا

---

(١) سورة النجم: الآية (١٩، ٢٠).

(٢) انظر السيرة النبوية: مهدي رزق، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٥.

(٣) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٥.

(٤) انظر تاريخ الأمم والملوك: الطبري، مرجع سابق، ج ٢، ص٥٥١، ٥٥٢.

(٥) انظر دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٦) لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي، دار إحياء العلوم بيروت، ص١٤٨.

(٧) انظر فتح الباري: لابن حجر، مرجع سابق، ج٨، ص٤٩٣– ٤٩٥.

(٨) مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٩١.

(٩) انظر السيرة النبوية: مهدي رزق الله، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٩.

أصل لها، وقد تصدى لها جهابذة العلماء، وتولوا الرد على مدعيها وأوضحوا بطلانها وزيفها.

وأسوق الآن أقوال العلماء الذين قاموا بالرد على مدعيها:

قال ابن كثير ~ : "قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم "[(١)].

وللقاضي عياض[(٢)] ~ عدة مآخذ على هذه القصة، وفي ذلك يقول: "أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم...ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صحابي، وأكثر الطرق عنهم ضعيفة واهية..."[(٣)].

وقال الشوكاني ~ : "ولم يصح شيء من هذا ولا يثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته، بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله " ثم ذكر بعض الآيات الدالة على بطلانه ثم قال: "وقال إمام الأئمة ابن خزيمة، إن هذه القصة من وضع الزنادقة "[(٤)].

----

(١) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق، ج٣، ص٢٣٩.

(٢) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبتة، ومولده فيهاسنة٤٧٦ هـ ، ثم قضاء غرناطة، وتوفي بمراكش مسموماسنة ٥٤٤ هـ ، قيل: سمه يهودي، من تصانيفه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) و(شرح صحيح مسلم).انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٥، ص٩٩.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصفى: للقاضي عياض، تحقيق حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم بن الأرقم، ج٢، ص١٣٢، ١٣٣.

(٤) فتح القدير: للشوكاني، مرجع سابق، ج٣، ص٤٦٠.

وللشيخ الألباني ~ رسالة بعنوان (نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق) خرج فيها أحاديث هذه القصة وحكم عليها بالضعف والبطلان[1].

مخالفة قصة الغرانيق لصريح القرآن:

القرآن الكريم كلام الله ﷻ الذي نزل به الروح الأمين على نبينا محمد ﷺ والذي تولى الله ﷻ حفظه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2] والنبي ﷺ عندما يتنزل عليه الوحي، فإنه يعي بكل كلمة ينزلها عليه جبريل عليه السلام وفي بعض الروايات التي ذكرت في قصة الغرانيق تنسب إلى النبي ﷺ أنه لم يميز بين كلام الله الحكيم المحكم وكلام الشيطان الكذوب، وفي بعض الروايات الكاذبة تزعم بأن المعصوم عليه الصلاة والسلام مكث على اعتقاد قرآنية كلام الشيطان حتى جاءه جبريل عليه السلام فنبهه وبيَّن له أن هذا من كلام الشيطان، وهذا أبشع الافتراء على الله ﷻ وعلى نبيه ﷺ، افتراء يهدم الرسالة من أسا سها[3] وإذا سلمنا أن النبي ﷺ لم ينبه حتى جاءه جبريل، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا، وفي رواية أخرى أنها خلت من تنبيه جبريل عليه السلام وهذا محال بلا شك، والله ﷻ قد صرح بالقرآن بأن النبي ﷺ لا يستطيع أن يتقول على الله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[4].

ومن الأدلة الصريحة على مخالفة هذه القصة للقرآن الكريم، قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[5] وقد أبعد الله الغواية عن عباده المرسلين، ليس هذا فحسب بل لقد أقر رئيس الشياطين بأن لا سلطان له

---

(١) انظر نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، ص١٠-٣٦.

(٢) سورة الحجر: الآية (٩).

(٣) انظر محمد رسول الله ﷺ: عرجون، مرجع سابق، ص٤٠.

(٤) سورة الحاقة: الآية (٤٤- ٤٧).

(٥) سورة الحجر: الآية (٤٢).

على عباد الله المخلصين، كما حكى الله عنه في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾(١) ومن هو ذلك الأخلص من النبي ﷺ بل ليس للشيطان سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾(٢)(٣) وأي بشر أصدق إيماناً وأشد توكلاً على الله من الأنبياء ولا سيما خاتمهم ﷺ، ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء، أو من أشد إخلاصاً منهم ونبينا محمد ﷺ على رأس المصطفين الأخيار وفي الذروة منهم إخلاصاً لله، فهؤلاء الزنادقة الحاقدون على الإسلام ونبيه نسبوا إلى الشيطان ما أقر هو بأنه لا قبل له به، ووضعوا هذه الروايات الباطلة التي تصادم نص القرآن الذي لا ريب فيه(٤).

إنها رواية ترفع الثقة عن آيات القرآن الكريم، وتذهب بخصوصية إعجازه البياني الذي أدركه بلغاء العرب فسجدوا عند أفصح البشر، وأقوم الخلق بفهم إعجاز القرآن، وهو ﷺ القيِّم على تنزيله وتبليغه وحفظه من التحريف والتبديل، لا يميز بين كلمات هذا الكتاب الحكيم وآياته، وبين غثاء الشياطين وافترائهم، فمن إذاً بقي من الخلق إنسهم وجنهم وملكهم وراء ذلك ليحافظ على هذا الكتاب الحكيم، وليست صحة السند إذا سلمت دليلا على صحة ما يروى من الشرائع والأحكام، ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة، الهداية وموافقة أصول الرسالة الخاتمة الخالدة(٥).

على أن محققي العلماء لم يغفلوا عن هذه القواعد، بل قالوا: إن قاعدة الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلَّت على أن موضوع الروايات له أصل ليست على عمومها،

---

(١) سورة ص: الآية (٨٢، ٨٣).

(٢) سورة النحل: الآية (٩٩).

(٣) انظر السيرة النبوية: مهدي رزق الله، دار إمام الدعوة، ط٢، ج١، ص٢٣٠، ٢٣١.

(٤) انظر السيرة النبوية: لأبو شهبة، دار القلم، ج١، ص٣٧٠.

(٥) انظر محمد رسول الله ﷺ: عرجون، مرجع سابق، ج٢، ص٤١، ٤٢.

ففي باب العقائد لا يقبل إلا النص الصحيح الصريح القاطع بالتواتر أو بغيره من وسائل القطع والصحة، وفي غير أبواب العقائد من الأحكام الفرعية فإن هذه القاعدة مقيدة - كما يقول الإمام ابن الصلاح، بالضعف الذي يزيله ما يجبره، وذلك إذا كان الضعف ناشئاً عن ضعف حفظ الراوي، أما الضعف الذي لا يزول لقوته، وتقاعد الجابر عن جبره ومقاومته فلا وزن له، ولو جاء من سبعين طريقاً متباينة المخارج، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهماً بالكذب- كما في بعض روايات أقصوصة الغرانيق، التي جاءت من طريق الكلبي وهو كذوب ولا تجوز الرواية عنه - ومثل ذلك كون الحديث شاذاً[(١)].

وقد نبه المحدثون إلى مسألة وهي أنها لا يلزم من ضعف السند ضعف المتن، كما لا يلزم من صحة السند صحة المتن، فقد يضعف السند ويصح المتن لوروده من طريق آخر، كما أنه قد يصح السند ولا يصح المتن لشذوذ أو علة[(٢)].

وقصة الغرانيق وإن وجد فيها روايات سندها مقبول لدى المحدثين، فليس معنى هذا أن متنها صحيح وذلك لمخالفتها ما جاءت به الشريعة الإسلامية، فالرسول ﷺ منُذ أن بعثه الله ﷻ بهذه الرسالة وهو ينكر على المشركين عبادتهم للأصنام،، فكيف يعقل بعد ذلك أن يقوم بمدح آلهتهم، والشريعة التي جاء بها تقوم على نبذ عبادة الأصنام، وإقرار الوحدانية لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[(٣)] كما أن السورة التي يزعمون فيها مدح للأصنام جاء فيها ذم للأصنام ثم بعد ذلك يذكر مدحها فهذا الأمر لا يستقيم، كما أن حال النبي ﷺ قبل البعثة، أكبر دليل على بطلان هذه القصة وذلك لأنه ﷺ قبل البعثة لم يسجد لصنم قط، وكان يبغض عبادة الأصنام، وقد خرج البيهقي ~ من حديث يونس بن شبيب عن

----

(١) انظر محمد رسول الله ﷺ: مرجع سابق، ج٢، ص٨٤.

(٢) انظر منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين، دار الفكر دمشق، ط٣، ج١، ص٢٩٠.

(٣) جزء من الآية (٣٦) من سورة النساء.

ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقا من الله ﷻ له، قال البيهقي: قوله على دين قومه معناه: على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل في حجهم ومناكحهم وبيوعهم دون الشرك، فإنه لم يشرك بالله قط، وفيما ذكر من بغضه اللات والعزى دليل على ذلك(1).

فهل يعقل بعد ذلك أن يمدح الأصنام، فإذا كان قبل البعثة ينبذ عبادتها ثم بعد أن منَّ الله عليه بالرسالة والنبوة يقوم ويمدحها ويجعلها ضمن آيات الله ﷻ هذا مما لا يتصوره العقل مطلقاً.

القصة تنافي عصمة النبي ﷺ:

فقد أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد ذكر القاضي عياض ~ في كتابه (الشفاء) فصلاً تكلم فيه عن عصمة النبي ﷺ وقد جعله تمهيداً لتفنيد أكذوبة الغرانيق وإبطالها فقال: "أجمعت الأمة على صدقه ﷺ وصدق أخباره فيما كان طريقه الإبلاغ أنه معصوم فيما أمر بتبليغه من الأخبار عن مجيء شيء منها بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً وغلطاً"(2).

إذ لو جاز هذا من الرسول ﷺ لجاز عليه الكذب، والكذب على الرسول ﷺ محال إذ صدور مثل هذه القصة عنه ﷺ محال(3) فإذا كان رسول الله ﷺ قد حذر من الكذب

----

(1) انظر دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج2، ص37.

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، تحقيق حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم بن الأرقم، ج2، ص130.

(3) انظر الهجرة في القرآن الكريم: احزمي سامعون جزولي مرجع سابق، ص298.

عليه وتوعد به حيث قال: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[1]، فإذا كان الكذب على رسول الله ﷺ يوجب النار فكيف الكذب على الله تعالى، فهل يعقل أن النبي ﷺ يأتي ببعض الكلمات ويدخلها فيما ينزل عليه من القرآن بمجرد أنه يريد أن يرضي المشركين كما ورد في بعض الروايات المكذوبة، صحيح أن النبي ﷺ كان يتمنى أن يسلم قومه وهي أمنية كل نبي يرسل إلى قومه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾[2] قال ابن عباس: "إن أمنية أن يسلم قومه"[3]

وقد ألغى مدعي الغرانيق هذه الآية عند ذكرهم للقصة الباطلة، وذلك بأنهم يقصدون بأن تمنى بمعنى تلا، ولم يرد في روايات القصة تعيين أحد من السلف بأنه فسر الأمنية بالتلاوة وتمنى بتلا، وقد فسَّر حب الأمنية بحب إسلام قومه، وهو المعنى الموافق لاستعمالات اللغة وأوضاعها، والتمني بمعنى التلاوة لم يرد إلا في بيت منسوب لحسان بن ثابت في رثاء عثمان بن عفان { ، ولم يعرف له سند صحيح وسائر من كتب سابقاً ولاحقاً لم يجدوا دليلاً لغوياً على تفسير الأمنية بالتلاوة سوى هذا البيت الذي يحتمل أنه مكذوب مصنوع، واستعمال القرآن الكريم للتمني في آيات كثيرة، فقد جاءت بمعنى الرغبة والمحبة والاشتهاء مثل قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾[4][5].

----

(١) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٤، ص٩٤٧، حديث رقم (١٦١٠).

(٢) سورة الحج: الآية (٥٢).

(٣) الدرر المنثور بالتفسير بالمأثور: السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر مصر، ١٠، ص٥١٠.

(٤) سورة النساء: الآية (١٢٣).

(٥) انظر محمد رسول الله ﷺ: عرجون، مرجع سابق، ج١، ص٣٧، ٣٨.

مخالفة القصة للغة العربية:

وأما بطلان القصة لغوياً فلأنه لم يرد قط عن العرب أنهم وصفوا آلتهم (بالغرانيق) في الشعر ولا في النثر، والذي تعرفه اللغة أن الغُرنُوقُ، والغُرنَيْقُ، اسم لطائر مائي أسود أو أبيض، ومن معانيه الشاب الأبيض الجميل(1) ولا شيء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذي يعرض على أمراء الفصاحة والبيان(2).

مما سبق يتضح بطلان قصة الغرانيق وإنها من وضع الزنادقة والحاقدين على هذا الدين، الذين لا يألون جهداً في إلقاء شبهاتهم وبث سمومهم والطعن بعقيدة المسلمين والتشكيك في آيات القرآن الكريم والتشكيك بمصداقية نبينا محمد ﷺ فيما يخبر به عن الله ﷻ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وبعد أن اتضح بطلان هذه القصة ومخالفتها لصريح القرآن واللغة، وأن لا علاقة لها بعودة مهاجري الحبشة.

إذاً فما السبب الحقيقي في عودة مهاجري الحبشة، لقد ذكرت فيما سبق تضارب الآراء حول عودة مهاجري الحبشة، وأوضحت كذلك أن تلك الآراء لا تعد سبباً حقيقاً في عودة مهاجري الحبشة، والذي أراه والله أعلم، أن السبب الحقيقي لعودة مهاجري الحبشة (الهجرة الأولى) هو سجود المشركين مع المسلمين عند قراءته ﷺسورة النجم، وليس سجودهم ناجماً عن مدح النبي ﷺ لإلهتهم كما يزعم مدعي قصة الغرانيق، وإنما الذي جعل المشركين يسجدون لدهشة أصابتهم وخوف اعتراهم عند سماع السورة لما فيها من ما أصاب الذين من قبلهم من الأمم فاستشعروا نزول مثل ذلك بهم(3) قال الله تعالى:

---

(1) انظر لسان العرب: لابن منظور، مرجع سابق، ج5، ص31.

(2) انظر السيرة النبوية: أبو شهبه، مرجع سابق، ج1، ص367.

(3) انظر نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق: الألباني، مرجع سابق، ص68 بتصرف.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾[١].

لقد كانت روعة الحق قد صدت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين، مع غيرهم من المسلمين، حتى إن الوليد بن المغيرة وكان كبير السن لم يتمالك نفسه عند سماعه للقرآن فأخذ كفاً من البطحاء وسجد عليه[٢].

وقد ثبت ذلك السجود للمشركين في صحيح البخاري فعن عبدالله رضي الله عنه قال: "قرأ النبي النجم فسجد فما بقي أحد إلا سجد إلا رجل رأيته أخذ كفّاً من حصاً فرفعه فسجد عليه وقال هذا يكفيني فلقد رأيته بعد قُتل كافراً بالله"[٣].

وقد ذكر ابن إسحاق عودة مهاجري الحبشة، لما بلغهم إسلام أهل مكة فقال ~ : "وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم ذلك، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً"[٤].

ولما عادوا إلى مكة بعد ما سمعوا بأن كفار قريش قد أسلموا بسبب سجودهم مع النبي ﷺ حين تلا سورة النجم، فلما دخلوا مكة وجدوا أن الخبر كان كاذباً فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار، كما أخبر بذلك ابن إسحاق في الرواية السابقة.

ومن ناحية عدد العائدين فقد اختلفت المصادر في عددهم كما اختلفوا سابقاً في

---

(١) سورة النجم: الآية (٥٠-٦٢).

(٢) انظر السيرة النبوية: مهدي رزق الله، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين ج٥، ص١٢١، حديث رقم (٣٥٨).

(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٥.

عدد المهاجرين، فابن سعد ينقل عن الواقدي أن المهاجرين عادوا إلى مكة ولم يدخل أحد مهم إلا بجوار، ولكنه في الوقت نفسه لم يذكر عدد العائدين ولا أسماءهم سوى عبدالله بن مسعود الذي لم يدخل بجوار ومكث يسيراً ثم عاد إلى الحبشة(١).

أما الطبري فيذكر من بين العائدين عثمان بن عفان وزوجته رُقيّة، وأبا حذيفة بن عتبة وزوجه سهلة بنت سهيل، وجماعة أخرى معهم عددهم ثلاثة وثلاثون رجلاً(٢).

وذكر ابن حزم قائمة بأسماء ثلاثين رجلاً وخمس نساء من الذين قدموا من الحبشة بعد سماع خبر إسلام كفار قريش الكاذب(٣).

أما ابن هشام فقد نقل عن ابن إسحاق قائمة كاملة بأسماء ثلاثة وثلاثين من الرجال وست من النساء نُسب فيها القوم إلى عشائرهم(٤).

وعند ذكره لأسماء العائدين من الحبشة ذكر بأن العائدين من الحبشة لم يعودوا إليها مرة أخرى بقوله "فكان ممن قدم عليه مكة منهم، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدراً وأحداً، ومن حُبس عنه حتى فاته بدر وغيره ومات بمكة "(٥).

ثم ذكر قائمة بثلاثة وثلاثين رجلاً ويفهم من قول ابن إسحاق السابق أن الذين عادوا إلى مكة ولم يهاجروا مرة أخرى إلى الحبشة وبقوا بمكة حتى هاجروا إلى المدينة أو توفوا بمكة.

وقول ابن إسحاق هذا يخالف ما جاء ذكره عند ابن سعد حيث أخبر بعد ذكره

---

(١) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٦.

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك: للطبري، مرجع سابق، ج١، ص٥٥٢.

(٣) انظر جوامع السيرة: لابن حزم، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ص٥٢.

(٤) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٥-٨.

(٥) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق: ج٢، ص٥.

لعودة المهاجرين من أرض الحبشة بأنهم دخلوا مكة ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيراً ثم رجع إلى أرض الحبشة[(١)].

مما سبق يتبين اختلاف المصادر في عدد العائدين من أرض الحبشة، فالعدد الذي ذكر يتراوح ما بين الثلاثين والثلاثة والثلاثين، وهذا العدد يفوق عدد المهاجرين في الهجرة الأولى والذين لا يزيدون على الإثني عشر رجلاً سوى النساء ويرجع ذلك والله أعلم إلى أن ابن هشام عندما ذكر الهجرة إلى الحبشة، وضع لذلك عنوان (الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة) ثم ذكر قول ابن إسحاق وذكر قائمة بأسماء المهاجرين والذي بلغ عددهم إحدى عشر وكان الاختلاف بين (أبو سبرة وأبو حاطب) وأصبح العدد لديه عشرة وبعد سرده لأسماء المهاجرين قال: "فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني "[(٢)] ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الهجرة الثانية دون أن يضع لذلك عنواناً، بل ذكرهم بعد ذكر أصحاب الهجرة الأولى فقال: " ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه "[(٣)].

ثم بعد الانتهاء من سرد أسماء المهاجرين مع جعفر بن أبي طالب قال: " فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه "[(٤)].

يلاحظ مما سبق أن ابن هشام نقل عن ابن إسحاق أسماء المهاجرين جملة واحدة

---

(١) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٦.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٦.

(٣) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق ج١، ص٢٦١.

(٤) السيرة النبوية :لابن هشام ، ج١، ص٢٦١.

ولم يذكر بينهما فاصل، ويفهم من كلامه أن هجرة الصحابة قد كانت هجرة واحدة حيث خرج أصحاب الهجرة الأولى ثم تتابع بعد ذلك المسلمون، ومما يؤيد هذا أنه عندما ذكر العائدون من أرض الحبشة بعد سماعهم كذباً إسلام كفار قريش ذكر عدداً كبيراً حتى وصل عددهم ثلاثا وثلاثين رجلاً، ولم يضع عنواناً لأصحاب الهجرة الثانية كما فعل حين ذكر أصحاب الهجرة الأولى، بل لقد ذكر أن الذين عادوا من أرض الحبشة لم يعودوا إليها مرة ثانية بل مكثوا بمكة إلى أن هاجروا إلى المدينة، والذي يترجح عندي ما ذكره ابن سعد أن للصحابة هجرتين، حيث ذكر أصحاب الهجرة الأولى والبالغ عددهم إحد عشر رجلاً، ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الهجرة الثانية حيث قال: " فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشي ولست معنا "[1].

وأما سبب الاختلاف في عدد العائدين فيرجع ذلك، أن الكثير من المؤرخين الذين جاؤوا بعد ابن هشام قد نقلوا عنه القائمة بحرفيتها مع بعض الاختلافات الطفيفة ربما جراء عملية النسخ[2].

وقد ذكر البلاذري نقلاً عن الواقدي، قائمة بأسماء العائدين مع مجيرهم، فقال: "قال الواقدي: ولما قدم المهاجرون من الحبشة في المرة الأولى، حين بلغهم سجود قريش مع النبي ﷺ وأنهم قد أسلموا ولم يتحقق ذلك، دخل كل امرئ منهم بجوار رجل من قريش، فدخل عثمان بن عفان بجوار أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، فنادى مناديه: يا معشر قريش، إن أبا أحيحة قد أجار عثمان بن عفان، فلا تعرضوا له، فكان عثمان آمنا يأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار، ودخل أبو حذيفة بجوار أمية، ودخل مصعب بن عمير بجوار النضر بن الحارث ويقال بجوار عزيز بن عمير أخيه، ودخل الزبير بن العوام بجوار زمعة بن الأسود، ودخل عبد الرحمن بن عوف بجوار الأسود

---

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٧.

(٢) انظر الهجرة الأولى إلى الحبشة: مرجع سابق ص١٨.

بن عبد يغوث، وعثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة، فمكث في ذمته ما شاء الله، ثم قال: واعجبا، أ أكون في ذمة مشرك؟ ذمة الله أعز وأمنع، فأتاه، فسأله أن يتبرأ منه...ودخل عامر بن ربيعة بجوار العاص بن وائل السهمي، ودخل أبو سبرة ابن أبي رهم بجوار الأخنس بن شريق، ويقال بجوار سهيل بن عمرو، ودخل حاطب بن عمرو بجوار حويطب بن عبد العزى، ودخل سهيل بن بيضاء بجوار رجل من عشيرته من بني فهر ويقال دخل مستخفياً بغير جوار أحد حتى خرج في المرة الثانية، ومن قال إن أبا عبيدة بن الجراح هاجر في المرة الأولى، قال: دخل بغير جوار أحد، ودخل عبدالله بن مسعود بغير جوار فمكث قليلاً ثم رجع "(1).

يلاحظ أن القائمة التي أوردها البلاذري أن أسماء العائدين موافق لأسماء المهاجرين الهجرة الأولى، إلا أنه لم يذكر أبا سلمة وذكر بدلاً منه أبا عبيدة بن الجراح وهو يشك في ذلك حيث قال: " ومن قال إن أبا عبيدة بن الجراح هاجر في المرة الأولى، قال: دخل بغير جوار أحد" وذلك لأن هجرة أبي عبيدة بن الجراح قد وقع فيها خلاف، ويلاحظ كذلك أن رواية الواقدي تعد الرواية الوحيدة في مصادر السيرة التي ذكرت أسماء العائدين في الهجرة الأولى مع أسماء مجيريهم.

ولكن بعد أن وصل المهاجرون إلى مكة وجدوا أن خبر إسلام كفار قريش كان كذباً، وأن كفار قريش لازالوا على ما هم عليه من بغض للإسلام والمسلمين، فما كان عليهم أن يفعلوا إلا أنهم رجعوا من حيث أتوا، وهذا ما سيتم بيانه في المبحث التالي:

---

(١) أنساب الأشراف: للبلاذري، مرجع سابق، ج١، ص٢٦١- ٢٦٣.

المبحث الثاني

أحداث الهجرة الثانية

<u>ويشتمل على خمسة مطالب</u> :

المطلب الأول : المرحلة الثانية للهجرة .

المطلب الثاني: موقف كفار قريش من المهاجرين.

المطلب الثالث: موقف النجاشي من المهاجرين.

المطلب الرابع: شخصية النجاشي الملك العادل.

المطلب الخامس: قدوم مهاجري الحبشة إلى المدينة.

* *   * *   * *

المطلب الأول:
المرحلة الثانية للهجرة

عندما وصل أصحاب الهجرة الأولى إلى مكة، وجدوا أن كفار قريش أشد ما كانوا عليه من قبل وحين رأى رسول الله ﷺ حال أصحابه وما هم عليه من البلاء من جراء ما كانوا يلقونه من المشركين من أذى وفتنة أمرهم بالهجرة للحبشة للمرة الثانية، بل لقد كانت الفتنة في الهجرة الثانية أشد من الأولى كما أخبر بذلك ابن إسحاق ~ حيث قال: "فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة "(١).

وقال ابن سعد ~ : "لمّا قدم أصحاب النبي ﷺمكة من الهجرة الأولى اشتدّ عليهم قومهم وسَطَت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذًى شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكانت خرجتهم الآخرة أعظمها مشقَة ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى "(٢).

عند ذلك خرج أصحاب رسول الله ﷺ من مكة قاصدين أرض الحبشة مرة ثانية، ولم تكن الهجرة الثانية بأكثر حظاً من الهجرة الأولى إذ لم تشر المصادر التي تحدثت عن الهجرة إلى الوقت الذي تمت فيه الهجرة الثانية، سوى ما ذكره البيهقي ~ حيث قال: "ثم هاجروا الهجرة الثانية مع جعفر بن أبي طالب، وذلك كان قبل المسرى بسنتين "(٣).

---

(١) السير والمغازي: لابن إسحاق، مرجع سابق، ص٢١٣.

(٢) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٧.

(٣) دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٣٧٠.

ثم ذكر البيهقي أنه أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة[1].

وقد كانت هجرتهﷺ إلى المدينة في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الثالثة عشر للبعثة[2].

وذكر ابن سعد كذلك بأنه أسري برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، من شعب أبي طالب إلى بيت المقدس[3].

فإذا جاز قبول روايتي البيهقي وابن سعد عن وقت الإسراء، فهذا يعني أن هجرة جعفر وأصحابه ﷺ إلى الحبشة ربما كانت في السنة العاشرة للبعثة تقريباً، أي قبل المسرى بسنتين وفي هذا التاريخ على وجه التقريب كان حصار الشعب قد زال، فقد ذكر ابن سعد ~ بأن خروجهم من الشعب في السنة العاشرة[4] ولم يبق هناك ضرورة لهجرتهم، بل لقد كان من أسباب المقاطعة هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة وإكرام النجاشي لهم فقال ابن إسحاق ~ : "فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم...اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب"[5] وأما ابن سعد ~ فقد قال: "لما بلغ قريشاً فعل النجاشي لجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه وأجمعوا على قتل رسول الله ﷺ وكتبوا كتاباً على بني هاشم "[6].

---

(١) انظر دلائل النبوة :للبيهقي ،مرجع سابق ، ج٢، ص٣٥٤.

(٢) انظر الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٣.

(٣) انظر المصدر السابق، ج١، ص٢١٤.

(٤) انظر المصدر السابق، ج١، ص٢١٠.

(٥) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٦.

(٦) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٨.

مما سبق يتضح أن الهجرة الثانية للحبشة قد حدثت قبل المقاطعة ولعدم الانسجام بين روايتي البيهقي وابن سعد بخصوص التوقيت للهجرة فلا بد من القبول بما جاء في الروايات الأخرى التي تربط بين دخول رسول الله ﷺ الشعب وأمره لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة(1).

فعن موسى بن عقبة(2) ~ قال: "ثم إن قريشاً ائتمرت روَّيتهم وأشتد مكرهم وهموا بقتل رسول الله ﷺ أو إخراجه حين رأوا أصحابه يزدادون ويكثرون فعرضوا على قومه أن يعطوهم ديته ويقتلوه، فأبى ذلك قومه ومنع الله ﷻ رسوله بحمية رهطه، واشتدوا على من اتبعه على دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة وزلزالاً شديداً فمنهم من عصم الله ومنهم من افتتن، فلما فُعل بالمسلمين ذلك أمرهم رسول الله ﷺ حين دخل الشعب مع بني المطلب بالخروج إلى أرض الحبشة "(3).

وهناك من الإشارات ما يفيد أن هجرة جعفر رضي الله عنه قد حدثت قبل السنة العاشرة من البعثة، فقد ذكر ابن إسحاق القصيدة التي بعثها أبو طالب إلى النجاشي يحضه على حسن جوارهم والمنع عنهم(4).

وهناك إشارات أخرى لدى البلاذري تفيد أن أبا طالب كان يبعث بالهدايا

---

(1) انظر الهجرة إلى الحبشة: محمد بن فارس جميل، مرجع سابق، ص٢٣.

(2) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي بالولاء، أبو محمد، مولى آل الزبير: عالم بالسيرة النبوية، من ثقات رجال الحديث، من أهل المدينة، مولده ووفاته فيها، له (كتاب المغازي) قال الإمام ابن حنبل: عليكم بمغازي ابن عقبة فإنه ثقة، واختيرت من كتابه (أحاديث منتخبة من مغازي ابن عقبة)انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٧، ص٣٢٥.

(3) دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٨٥.

(4) انظر السيرة النبوية: لابن إسحاق، مرجع سابق، ص٢٠٣.

والألطاف إلى جعفر في بلاد الحبشة[١] ومن المعروف أن أبا طالب توفي قبل الهجرة النبوية بثلاث سنين[٢] أي في السنة العاشرة من البعثة.

بعد أن تبين أن الهجرة الثانية حدثت نتيجة لدخول النبي ﷺ ومن معه من المسلمين الشعب فقد جاءت روايات أخرى تذكر أن الهجرة الثانية وقعت في نفس العام الذي وقعت فيه الهجرة الأولى وأن الفاصل الزمني بينهم بضعة أشهر فقد صرح بذلك البيهقي ~ حيث قال: "وأما الهجرة الثانية للحبشة وهي فيما يزعم الواقدي سنة خمس من مبعث النبي ﷺ"[٣].

وقال الذهبي[٤] ~ : "وذكر الواقدي أن الهجرة الثانية للحبشة كانت سنة خمس من المبعث"[٥].

مما سبق يتضح التضارب في الروايات في تحديد زمن الهجرة الثانية للحبشة، وأمام هذا التضارب يمكن افتراض الوقت الذي حدثت فيه الهجرة الثانية وذلك بأنها حدثت في السنة السابعة على وجه التقريب، ومما يؤيد ما ذكرت قول ابن حجر ~ حيث ذكر أن دخول النبي ﷺ وأصحابه ﷺ الشعب كان في محرم سنة سبع من المبعث[٦].

---

(١) انظر أنساب الأشراف: للبلاذري، مرجع سابق، ج١، ص١٩٨.

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٤٤.

(٣) دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٩٧.

(٤) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل، من أهل ميافارقين، مولده سنة ٦٧٣ هـ، ووفاته سنة٧٤٨ هـ في دمشق، رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١ هـ تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها (تهذيب تهذيب الكمال) في رجال الحديث و(سير النبلاء)وغيرها.انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٥، ص٣٢٦.

(٥) السيرة النبوية: للذهبي، مرجع سابق، ص١١٧.

(٦) انظر فتح الباري: لابن حجر، مرجع سابق، ج٧، ص٢١٢.

وقد ذكرت سابقاً رواية البيهقي التي ذكر فيها قول الواقدي بأن الهجرة الثانية للحبشة كانت في سنة خمس فقد ذكرها بغير صيغة الجزم حيث قال: " وأما الهجرة الثانية للحبشة وهي فيما يزعم الواقدي سنة خمس من مبعث النبيﷺ" مما يدل على أنه يشك في أن تحديد زمن الهجرة الثانية بالسنة الخامسة، كما أن الواقدي لم يصرح بذلك وإنما من أخذ عنه فهم ذلك منه والله أعلم.

وكما هو واضحٌ مما سبق فإن روايات الهجرة الثانية ليست بأقل حظاً من الأولى، فنجد الاضطراب وعدم الدقة سواء في تاريخ الهجرة كما سبق أو في أسماء المهاجرين أو أعدادهم، فقد قدّم ابن إسحاق قائمة بأسماء من هاجر إلى الحبشة إجمالاً، فذكر منهم أولاً المجموعة الأولى وهي مكونة من عشرة رجال وأربع نساء فقال: "فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة "[(١)] ثم ألحقهم بجعفر بن أبي طالب وذكر قائمة بأسماء المهاجرين وختم كلامه بقوله: "وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها، نيف وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم "[(٢)].

وأما ابن سعد ~ فقد ذكر نفس العدد الموجود لدى ابن إسحاق ولكنه لم يذكر أسماء المهاجرين بل اكتفى بذكر عددهم فقال: "وكان عدة من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين رجلاً، ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب "[(٣)].

فأما اليعقوبي[(٤)] ~ فلم يذكر أسماء المهاجرين إلى الحبشة بل اكتفى بذكر

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) سيرة ابن إسحاق، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢١٠.

(٣) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٧.

(٤) أحمد بن إسحاق (أبو يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد، كان جده من موالي المنصور العباسي، رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية، ودخل الهند، =

عددهم فقال: "خرج في المرة الأولى اثنا عشر رجلاً وفي المرة الثانية سبعون رجلاً سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأولون "[(١)].

وجاءت راوية لعبد الله بن مسعود ﷺ ذكر فيها عدد المهاجرين فقال: "بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحواً من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى "[(٢)].

يلاحظ من رواية ابن مسعود أنه لم يذكر هجرة عثمان بن عفان، كما أنه ذكر عبد الله بن عرفطة وعند مراجعة أسماء المهاجرين فلا أثر لاسم عبد الله بن عرفطة بينهم لا في الهجرة الأولى ولا الثانية، كما أنه ذكر هجرة أبي موسى الأشعري، وقد وقع فيها إشكالية، فقد ذكرت بعض المصادر بأن أبا موسى ﷺ من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية، فقد ذكره ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق ضمن قائمة لأسماء المهاجرين إلى الحبشة[(٣)].

ومن هذا المنطلق يمكن أن يفهم أنه هاجر من مكة مباشرة، لأنه وضع اسمه ضمن قائمه طويلة ممن هاجروا من مكة فهو يوحي بذلك، كما أن قدوم الأشعريين بقيادة أبي موسى مع جعفر أبي طالب وباقي الصحابة ﷺ يوم خيبر هو السبب الأساسي لهذا اللبس الذي جعل ذكر اسمه مع مهاجرة الحبشة من مكة[(٤)].

وقد جاءت رواية لابن سعد ينفي فيها أن يكون أبو موسى قد هاجر من مكة إلى الحبشة مباشرة فقال: "ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة، وليس له حلف في

= وزار الأقطار العربية، وصنف كتبا جيدة منها (تاريخ اليعقوبي) انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، وكتاب (البلدان) وغيرها. انظر الأعلام: مرجع سابق، ج١، ص٩٥.

(١) تاريخ اليعقوبي: تعليق، خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ج٢، ص١٩.

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤١٩.

(٣) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٧.

(٤) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٨٦.

قريش وقد كان أسلم بمكة قديماً، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم أناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة فوافقوا رسول الله بخيبر، فقالوا: قدم أبو موسى مع أهل السفينتين وكان الأمر على ما ذكرنا أنه وافق قدومه قدومهم"[(١)].

هذه الرواية لابن سعد تنفي أن يكون أبي موسى من مهاجري الحبشة الذين خرجوا من مكة إلى أرض الحبشة، وعلل ذلك بقوله "وليس له حلف في قريش " لأنه من المعلوم أن الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة إما أنهم قرشيون أو بينهم وبين قريش حلف، فأبو موسى لا ينطبق عليه ما ذكر، أي ليس قرشياً وليس حليفاً لها[(٢)].

كما أن الرواية تنفي قدوم أبو موسى مع جعفر وأصحابه من الحبشة حين قدموا عام خيبر، وإنما وافق قدومه قدومهم.

وهناك رواية في صحيح البخاري ومسلم فيها جواب ما وقع فيه من إشكالية في هجرة الأشعريين فأما رواية البخاري فقد جاء فيها "عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ - إِمَّا قَالَ بِضْعٌ وَإِمَّا قَالَ - فِي ثَلاَثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِي فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ"[(٣)].

من خلال الرواية السابقة يتضح أن هجرة الأشعريين كانت من اليمن بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وأن تلك الهجرة خططت لتتم عن طريق البحر من اليمن

----

(١) الطبقات الكبرى: مرجع سابق، ج٤، ص١٠٦.

(٢) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: ص٨٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج٥، ص٢٤٩، حديث رقم (٦٩٧).

إلى المدينة المنورة حيث ركبوا سفينة متوجهين إلى المدينة، ولكن ريحاً قوية غيرت وجهة السفينة حتى أوصلتها للشواطئ الغربية للبحر الأحمر، ولم تذكر الرواية تاريخ بداية هجرتهم من اليمن وكم أقاموا في الحبشة، وكل ما في الأمر تبين أنهم أقاموا فترة معينة في الحبشة وحددت قدوم الأشعريين وتاريخ قدومهم من الحبشة إلى المدينة المنورة وهي سنة فتح خيبر(1).

وأما الرواية الواردة في صحيح مسلم فتقول: "عن أبي موسى الأشعري قال: " بَلَغَنَا مَخْرَجُ رَسُولِ الله ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمَا أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ - إِمَّا قَالَ بِضْعًا وَإِمَّا قَالَ ثَلاَثَةً وَخَمْسِينَ أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِي - قَالَ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ فَقَالَ جَعْفَرٌ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَنَا هَا هُنَا وَأَمَرَنَا بِالإِقَامَةِ فَأَقِيمُوا مَعَنَا. فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا - قَالَ - فَوَافَقْنَا رَسُولَ الله ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَنَا - أَوْ قَالَ أَعْطَانَا مِنْهَا - وَمَا قَسَمَ لأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ إِلاَّ لأَصْحَابِ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ"(2).

إن هذه الرواية أوضحت عدة أمور منها:

١- أن هجرة الأشعريين كانت إلى المدينة حينما سمعوا بمخرج النبي ﷺ وكانت الرحلة عن طريق البحر.

٢- كما أفادت أن جعفر بن أبي طالب طلب منهم أن يقيموا معهم، لأن إقامتهم كانت بأمر رسول الله ﷺ وهذا دليل قاطع على أن الأشعريين لم يكونوا مع المهاجرين

---

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٨٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أصحاب هجرة الحبشة رضي الله عنهم، ج٤، ص٢٥٥، حديث رقم (٦٤٩٤).

من مكة إلى الحبشة.

٣- كما أن هذه الرواية تتوافق مع رواية البخاري، وزادت عنها تفصيل بعض الأمور، ولكنها بصيغة عامة في اتجاه واحد، والراويتان الواردتان في أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل قدمتا المعلومات الكافية لإزالة أي لبس يتعلق بموضوع هجرة الأشعريين ولا تتركان أي غموض في هذا الأمر[(١)].

وقد أحسن ابن حجر ~ في مسألة ذكر اسم أبي موسى في حديث ابن مسعود رضي الله عنه فقال بعد ذكره لحديث ابن مسعود: "وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي ﷺ بالمدينة فألقتهم السفينة بأرض الحبشة فحضروا مع جعفر إلى النبي ﷺ بخيبر، ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة فتوجه إلى بلاد قومه وهو مقابل الحبشة من الجانب الشرقي فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد والله أعلم، وعلى هذا فقول أبي موسى "بلغنا مخرج النبي ﷺ" أي إلى المدينة، وليس المراد بلغنا مبعثه، ويؤيده أنه يبعد كل البعد أن يتأخر علم مبعثه إلى مضي نحو عشرين سنة، ومع الحمل على مخرجه إلى المدينة فلابد فيه من زيادة استقرار بها وانتصافه ممن عاداه ونحو ذلك، وإلا فيبعد أيضاً أن يخفى عنهم خبر خروجه إلى المدينة ست سنين، ويحتمل أن إقامة أبي موسى بأرض الحبشة طالت لأجل تأخر جعفر عن الحضور إلى المدينة حتى يأتيه الإذن من النبي ﷺ بالقدوم"[(٢)].

بعد أن وضحت المسألة في هجرة أبي موسى وزال الإشكال فيها، لابد من معرفة عدد المهاجرين فقد اختلفت الروايات حول عدد المهاجرين، وأمام هذا الحشد

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٨٩، ٩٠ بتصرف.

(٢) فتح الباري: لابن حجر، مرجع سابق، ج٧، ص٢٠٨.

المتضارب من الروايات حول عدد المهاجرين إلى الحبشة هل هم ثمانون أو أقل أو أكثر، لابد من وضع رواية اليعقوبي في الحسبان، إذ إنه ليس من المستبعد أن يكون حصل خلط بين أعداد أهل الهجرة الأولى والثانية فجاء العدد ثلاثة وثمانين أو اثنين وثمانين، وعند العودة إلى رواية اليعقوبي حيث قال: "خرج في المرة الأولى اثنا عشر رجلاً وفي المرة الثانية سبعون رجلاً سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأولون" نجد أنها في غاية الوضوح فهي تحدد العدد الإجمالي لأهل الهجرتين باثنين وثمانين سوى الأطفال والنساء(١).

كان هؤلاء هم مجموع المهاجرين الذين خرجوا إلى أرض الحبشة في الهجرتين، ولكن المصادر التي تحدثت عن أمر الهجرة الثانية إلى الحبشة وعن بعض بواعثها، لا تذكر المكان الذي انطلق منه المهاجرون ولا المرفأ الذي نزلوه هناك، شأنه شأن الهجرة الأولى، بل تضع القارئ أمام المناظرة التي جرت في بلاط الملك الحبشي بين المسلمين ويمثلهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من جهة ومبعوثي كفار قريش من جهة أخرى، ويلاحظ كذلك على المصادر أنه ليس فيها ما يفيد أن المهاجرين قد اتصلوا بالبلاط النجاشي قبل المناظرة(٢).

وقد بينت ذلك سابقاً بأن المهاجرين لم يتم لقاؤهم بالنجاشي إلا بعد وشاية كفار قريش بهم، ولكن الذي ينبغي أن يعرف موقف كفار قريش من هذه الهجرة، فإذا كان المشركون حين عرفوا بخروج المهاجرين في المرة الأولى أرادوا اللحاق بهم ولكنهم لم يدركوا ذلك، وحين رأوا أن المهاجرين قد أصابوا أرضاً وأطمأنوا بها ثاروا حتى إنهم ضربوا الحصار على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فما يكون موقفهم في هذه المرة خصوصاً بعد خروج عدد كبير من المسلمين، وهذا ما سيتم بيانه في المطلب التالي.

---

(١) انظر الهجرة إلى الحبشة: محمد فارس جميل، مرجع سابق، ص٢٣، ٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦.

المطلب الثاني:
موقف كفار قريش من المهاجرين

ما إن علم كفار قريش برحيل المهاجرين مرة ثانية إلى الحبشة حتى سارعوا إلى اقتفاء آثارهم، ولكن المطاردة هذه المرة لم تنته عند ساحل البحر كما حصل في المرة الأولى.

إن تفاصيل الأحداث تدل على تصميم المشركين على ضرب المهاجرين ضربة قاضية لا تقوم لهم بعدها قائمة، فكان من أمرهم أن أرسلوا سفارة على وجه السرعة إلى الحبشة محملة بالكثير مما يُستطرف من متاع مكة إلى النجاشي ملك الحبشة وبطارقته، وطلبت منه رد المهاجرين إلى ذويهم في مكة، ولم يكد أبو طالب يعلم بسفارة كفار قريش إلى النجاشي، والتماسها منه إرجاع المهاجرين إلى مكة وطردهم من بلاده حتى بعث برسالة شعرية إلى النجاشي يحضه فيها على حُسن جوار المسلمين والدفع عنهم[(١)].

فقد روى ابن إسحاق ~ ذلك فقال: "فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله قد أمنوا وآطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلين من قريش جلدين[(٢)] إلى النجاشي، فيردّهم عليهم ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبدالله بن ربيعة[(٣)] وعمرو بن العاص وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ثم

---

(١) انظر الهجرة إلى الحبشة: مرجع سابق، ص٢٧.

(٢) الجلد: القوة والشدة.وفي حديث الطواف ليرى المشركون جلدهم، والجلد القوة والصبر ومنه حديث عمر كان أخوف جلداً أي قوياً في نفسه وجسده، والجلد: الصلابة والجلادة، انظر لسان العرب، ج١، ص٣٣٣.

(٣) عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن مخزوم القرشي المخزومي، يكنى أبا عبد الرحمن وكان اسمه في الجاهلية بحيرا فسماه رسول الله عبد الله، أسلم يوم الفتح، ولاه رسول الله الجند من اليمن ومخاليفها، ولم يزل والياً =

بعثوهما إليه فيهم فقال أبو طالب، حين رأى من رأيهم وما بعثوهما فيه أبياتاً للنجاشي يحضّه على حُسْن جوارهم والدفع عنهم "[1].

يلاحظ مما سبق كيف كانت ردة فعل كفار قريش حين علموا بخروج المهاجرين وأنهم قد أطمأنوا بأرض الحبشة وحين رأوا من استقبال النجاشي لهم، أسرعوا في بعثة الوفد من أجل إبطال الهجرة إن القارئ المتمعن في أخبار وشاية كفار قريش بالمهاجرين ليعجب من موقفهم من المهاجرين، إذ يقض المهاجرون على المشركين مضجعهم وهم قلة غرباء في أرض بعيدة عن مكة وما جاورها، فلا يهدأ لهم بال، ولا يستقر لهم قرار حتى يبعثوا في أثر المهاجرين، بل ويحرص كفار قريش أن يسبق وفدهم وفد المهاجرين إلى ملك الحبشة النجاشي، ويحمل الوفد معه من الهدايا ما تطيب به أنفس الأحباش، وتقدم الهدايا ابتداءً للبطارقة وتوغر صدورهم حتى يسهموا في نجاح الوفد ويشيروا على الملك بطرد هؤلاء المهاجرين، فما الذي جعل كفار قريش يفعلون كل هذا أيخشون على مستقبلهم العسكري، أم يخشون على مستقبلهم الاقتصادي[2].

إن الهجرة إلى الحبشة حدث هام وأمر خطير في أعين المشركين، فهم يرون الإسلام يخرج من قبضتهم الحديدية ويرون المؤمنين يجدون أرضاً غير مكة بل ينعمون بالأمن والاستقرار التامين وكأن المشركين أحسوا نوعاً من الخطورة، لأن الحبشة التي أعطت المهاجرين لجوءاً وسمحت لهم أن يقيموا في أرضها ليست دولة ضعيفة في نظر العرب، بل كانوا ليعتقدون أنها إمبراطورية قوية، علماً بأن رؤية المشركين وقد انتصر الإسلام في الحبشة، حيث وجد المهاجرون الأمن والاستقرار في هذه الأرض فعبدوا

= عليها حتى قُتل عمر، ثم ولاه عثمان ذلك أيضاً، فلما حُصر عثمان جاء لينصره فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات رضي الله عنهم أجمعين. انظر أسد الغابة: مرجع سابق، ج٣، ص١٢٨، ١٢٩.

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٦١ بتصرف.

الله ﷻ ولا يخشون أحد سوى الله ﷻ جعل كفار قريش ينصبون أنفسهم في محاربته الدعوة داخل مكة وخارجها[1].

إن المتتبع للروايات التي ذكرت الهجرة، وأحاديث المهاجرين ابتداءً وهم بمكة ولا حقاً وهم بأرض الحبشة لا يجد فيها ما يشير إلى أن المسلمين يريدون في هجرتهم هذه تكوين قوة عسكرية أو اقتصادية تهدد كفار قريش، أكثر ما وجد فيها هو الفرار بالدين للمهاجرين، والرغبة في نشره عند أقوام آخرين كما سبق البيان، ولو كان شيء من ذلك مبيتاً لما رجع المهاجرون إلى مكة بعد ثلاثة أشهر تقريباً، ولما رجع آخر المهاجرين بعد ولم يخلفوا أثر عسكرياً أو اقتصادياً يذكر، إنه الفرار بالدين والدعوة إليه في العالمين يحسبه الأعداء دائماً تخطيطاً للقضاء عليهم، وخطراً يهدد مصالحهم، وتلك مؤشر لقوة الحق وإن كان أصحابه ضعفاء وضعف الباطل وإن كان ملأه أقوياء[2].

والذي ينبغي أن يعرف، ما الذي جعل كفار قريش يطاردون المسلمين إلى أرض الحبشة ومحاولة إقناع ملكها بردهم، بمعنى ما الهدف الذي يرجونه من جراء فعلهم هذا ويمكن بيان ذلك بالآتي:

١- سحق المؤمنين المهاجرين ليكونوا عبرة لغيرهم، وتلك حرب نفسيه يعتقدون أنها تسد الباب أمام العرب الذين يريدون الدخول في الدين الجديد[3].

٢- كسب مودة النجاشي الرجل القوي في الحبشة حتى لا يهاجر إليه أحد فيما بعد[4].

٣- الخوف على العلاقة التي بينهم وبين الحبشة أن تتضرر من جراء هذه

----

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص١٠٦ بتصرف.

(٢) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٦١، ٦٢.

(٣) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، مرجع سابق، ص١٠٦، ١٠٧ .

(٤) انظر معالم الهجرتي ن إلى أرض الحبشة ، ص١٠٧.

الهجرة، فمن المعروف أن هناك علاقة وثيقة تربط بين القرشيين والأحباش وذلك من خلال الرحلات التجارية[١].

٤- الحمية الجاهلية، فخروج هؤلاء المسلمين من أرضهم واستضافة النجاشي لهم في أرضه وإكرامه لهم، قد يضر بسمعة كفار قريش بين العرب وهم الذين يقومون بخدمة بيت الله والزائرين له يقومون بطرد أبناء قبيلتهم، ويقومون بإيذائهم، ويكونون السبب في خروجهم من أرضهم، ويلجأون إلى غيرهم ويجدون الحماية عندهم، هذا مما يأباه الرجل العربي الأصيل، وربما يكون السبب في فعلهم مثل هذا هو الانتصار لدين الآباء والأجداد دفعهم لفعل مثل هذا والله أعلم[٢].

ويلاحظ كذلك من رواية ابن إسحاق أن أبا طالب حين علم بإرسال كفار قريش للمبعوثين بعث رسالة إلى النجاشي يحضه على حُسن جوار المسلمين كما سبق، وهذا يدل على أن أبا طالب كان على علاقة طيبة بالنجاشي حتى يشفعه في اللاجئين من المسلمين في بلاده[٣].

تقدم في حديث أم سلمة < أن الذي كان مع عمرو بن العاص رسولاً إلى النجاشي في رد المهاجرين هو عبد الله بن أبي ربيعة وفي بقية الأحاديث أن الذي مع عمرو هو عمارة بن الوليد وفي هذا إشكال وقد حاول بعض العلماء دفع هذا الإشكال[٤].

فقال أبو نعيم[٥] ~ : "هذا يدل على أن قريشاً بعثت عمرو بن العاص دفعتين

---

(١) انظر تاريخ الطبري، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢١.

(٢) انظر الهجرة الأولى: مرجع سابق، ص٦٣ بتصرف كبير.

(٣) انظر الهجرة إلى الحبشة: مرجع سابق، ص٢٧.

(٤) انظر أحاديث الهجرة: مرجع سابق، ص٥٣.

(٥) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد سنة ٣٣٦ هـ، ومات سنة ٤٣٠هـ في أصبهان، من تصانيفه، و(معرفة الصحابة) و(دلائل النبوة) و(ذكر أخبار =

مرة مع عمارة بن الوليد ومرة مع عبد الله بن ربيعه "[١].

وقال الحافظ ابن كثير ~ : "وقد قيل إن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأولى مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو وعبد الله بن ربيعة "[٢].

وقال الزهري[٣] ~ : "إن البعثة الثانية كانت بعد بدر لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشي ﷺ وأرضاه مما سألوه "[٤].

وكذا قال ابن سيد الناس[٥] ~ : "وبعثت قريش في شأنهم إلى النجاشي مرتين الأولى عند هجرتهم والثانية عقيب وقعة بدر وكان عمرو بن العاص رسولاً في المرتين، ومعه في إحداهما عمارة بن الوليد وفي الأخرى عبد الله بن ربيعة المخزوميان"[٦].

= أصبهان) وغيرها.انظر الأعلام: للزركلي: مرجع سابق، ج١، ص١٥٧.

(١) دلائل النبوة: لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق: محمد رواس وعبد الرب عباس، دار النفائس،بيروت، ط٢، ج١، ص٢٥٣.

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤٢٨.

(٣) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بنى زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء،تابعي، من أهل المدينة، كان يحفظ ألفين ومئتى حديث، نصفها مسند، نزل الشام واستقر بها، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه، قال ابن الجزرى: مات بشغب، آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين.انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٧، ص٩٧.

(٤) البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤٢٨.

(٥) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين: مؤرخ، عالم بالأدب، من حفاظ الحديث، له شعر رقيق، أصله من إشبيلية، مولده سنة ٦٧١ هـ ، ووفاته سنة ٧٣٤ هـ في القاهرة. من تصانيفه (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) و(تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة). انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٧، ص٣٤.

(٦) عيون الأثر: ابن سيد الناس، مرجع سابق، ج١، ص١١٩.

وأما البلاذري ~ فهو يرى أن ذكر عمارة مع عمرو بن العاص في رد المهاجرين وهم وإنما الثابت أن الذي مع عمرو هو عبد الله بن ربيعة وذكر أن لعمرو وعمارة سفرة خاصة بينهما لقصد التجارة وكانت إلى الحبشة، وليس لها ارتباط بقضية المهاجرين وقد حصل شقاق بينهما نتج عنه هلاك عمارة في أرض الحبشة[١].

إن ما يمكن الخلوص إليه مما سبق هو أن جميع الروايات المتعلقة بسفارة كفار قريش إلى النجاشي تؤكد أن عمرو بن العاص هو رئيس وفدها، وهو المتحدث الرسمي أمام النجاشي، ولكنها تختلف اختلافاً بيناً في أسماء المرافقين لعمرو، وهما عمارة بن الوليد وعبد الله بن ربيعة[٢].

فعند النظر إلى الروايات يتضح اتفاقها في نوع الهدايا ومادة الحوار ويبقى أن المناظرة التي جرت بين جعفر رضي الله عنه وبين النجاشي ~ وبين رسولي قريش، قد وقعت مرة واحدة فقط إذ لا يعقل تكررها بهذا الأسلوب فلا يمكن أن يكون عند النجاشي تردد في صدق جعفر حتى يطمع رسولا كفار قريش بأن يتجرأ لإعادة المناظرة مرة أخرى، بل كل الأحاديث تدل على حسن استقباله للمهاجرين وتصديقهم بما أخبروا به[٣].

ويرى باحث آخر أنه من الصعب قبوله، هو دعوة النجاشي المسلمين مرتين ليسألهما عن الذي يتبعون والدين الذي يعتقدون، وليس أمامنا ما يسوغ موقف النجاشي إلا أن يكون النجاشي نجاشيين: الأول وهو الذي عاصر قدوم المهاجرين إلى الحبشة وأحسن وفادتهم والثاني جاء بعد أحداث يوم بدر، ولا يعرف من أمر المسلمين شيئاً لذلك فلا يستغرب عليه دعوة المسلمين وسؤالهم عن دينهم[٤].

---

(١) انظر أنساب الأشراف: للبلاذري، مرجع سابق، ج١، ص١٠٠.

(٢) انظر الهجرة إلى الحبشة: محمد فارس جميل، مرجع سابق، ص٣٢.

(٣) انظر أحاديث الهجرة: مرجع سابق، ص٥٣، ٥٤.

(٤) انظر الهجرة إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٣٣.

وهـذا الـرأي في نظـري بعيـد إذ لم يـرد في الروايـات مـا يـؤدي أن هنـاك وجـود نجاشي آخر، إذ أن النجاشي الذي التقى به المسلمون عند هجرتهم هو نفس النجاشي الذي طلب منه الرسول ﷺأن يجهز المسلمين للمغادرة من بلاده، وهذا سيتم بيانه فيما بعد، كما أنه من المستبعد أن يتفق النجاشيان في مادة الحوار، وأن يكرر وفد كفار قريش نفس الأسلوب فإذا كانت مهمتهم في المرة الأولى قد أخفقت في إقناع النجاشي الأول فكيف يكررون نفس الأسلوب مع النجاشي الآخر، هذا مما لا يعقل أنهم يتبعون نفس الطريقة ويقعون بنفس الخطأ.

وقد ذكر الأستاذ أبي السعود رأياً في هذه المسألة فقال: "والذي أراه في هذه المسألة هو: إما أن يكون عمارة مع الرسولين كما قال صاحب بهجة المحافل ويكون الإرسال مرة واحدة فقط وكان الذي اشتهر بمحادثة النجاشي عمرو بن العاص فذكر في كل الأحاديث وأما الاثنان فكل صحابي حدث بما رأى فأكثر الصحابة رأوا عمارة وأم سلمة لم تر إلا عبد الله بن ربيعة فحدثت بما رأت، وأما أن الإرسال وقع مرتين ولكن المناظرة لم تقع إلا في المرة الأولى فقط وفي المرة الثانية حاولت قريش مع النجاشي محاولة أخرى بأسلوب آخر، ولكن الله حمى النجاشي فطردهم مرة ثانية حتى يئسوا منه، فوهم بعض الرواة فأدخلها في الثانية، ومما يؤيد أن المناظرة وقعت في المرة الأولى فقط أن من الذين حكوا المناظرة أم سلمة وعبد الله بن مسعود { ، وقد رجعا قبل غزوة بدر بل قبل الهجرة إلى المدينة"[1].

والذي يترجح لدي في هذه المسألة والله أعلم أن كفار قريش قد بعثوا في أثر المهاجرين بعثة واحدة فقط، وذلك عقب الهجرة الثانية للصحابة مباشرة وكان المتحدث الرسمي في هذه البعثة هو عمرو بن العاص ويرافقه عبد الله بن ربيعة وعمارة بن الوليد والذي حضر المناظرة التي جرت بين النجاشي وجعفر هو عبد الله بن ربيعة، وأما عمارة فلم يكن موجوداً لربما بسبب الخلاف الذي كان بينه وبين عمرو بن

---

(١) أحاديث الهجرة: مرجع سابق، ص٥٤.

العاص[١] أو بسبب انشغاله بعبثه الذي انتهى به إلى أبشع مصير، لذلك أغفلت عن ذكره أم سلمة لأنه لم تكن له مشاركة جادة[٢].

بعد عرض موقف المشركين من المهاجرين وبيان الراجح من مبعوثي المشركين ينبغي معرفة موقف النجاشي من هذه البعثة ووشايتهم بالمسلمين وهذا ما سيتم بيانه في المطلب التالي.



---

(١) انظر الروض الأنف: مرجع سابق، ج٣، ص٢٥٣- ٢٥٥.

(٢) انظر محمد رسول الله ﷺ: عرجون، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣.

المطلب الثالث:
موقف النجاشي من المهاجرين

أولاً قبل أن أتحدث عن موقف النجاشي من المهاجرين جراء وشاية كفار قريش بهم، حريٌ بالقارئ أن يرجع إلى الوراء قليلاً لأن من خلاله يستطيع أن يستنتج موقف النجاشي، فعندما أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة قال لهم: "إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد "هذه العبارة تكفي لتوضح موقف النجاشي، فإن الملك الذي يوصف بهذه الصفة فإنه من الطبيعي بأن لا يخش المهاجرون على أنفسهم شيئاً مهما حاول أعداؤهم الإيقاع بهم، وقد حصل ما أخبر به النبي ﷺ فعدالة النجاشي ظهرت حين أراد كفار قريش بالمسلمين سوءاً، ومن خلال رواية أم سلمة يتضح موقف النجاشي من المهاجرين.

فعن أم سلمة < قالت: " لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم[1] فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم سلوه أن يُسلمهم إليكم قبل أن يُكلّمهم قالت: فخرجا فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دارٍ، عند خير جار، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم: إنه صبأ إلى بلد الملك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم، لنردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا

(١) الأدم: بضم الهمزة وهو الأشهر – وبفتحها- جمع أديم وهو الجلد المدبوغ، انظر القاموس المحيط، ج٤، ص٧٤.

يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيناً[(١)]، وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا: أيها الملك إنه قد صبأ إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آباءهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم. فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليردانهم إلى بلادهم وقومهم قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لا هايم[(٢)] الله إذاً لا أسلمهم إليهما ولا أكاد[(٣)]، قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقولون هذان في أمرهم؟ فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم، ما جاوروني قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائن في ذلك ما هو كائن فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته[(٤)]، فنشروا مصاحفهم[(٥)] حوله ليسألهم فقال ما هذا

---

(١) أعلى بهم عيناً: قال السهيلي "أي أبصر بهم، أي عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم "انظر الروض الأنف، ج٣، ص٢٥٧.

(٢) في السيرة (لاها الله)وفيها "ثلاث لغات إحداها المد مع الهمزة لأنها نائبة عن حرف القسم فيجب إثبات الألف كما لو قيل، ها والله، والثانية والثالثة، حذف الهمزة مع المد والقصر بجعلها كأنها عوض عن حرف القسم " المصباح المنير، ج٢، ص٣١٨.

(٣) قال ابن منظور: يقولون إذا حمل أحدهم على ما يكره لا والله ولا كيداً ولا هما يريد لا أكاد ولا أهم وهي بضم الهمزة مبني للمجهول. انظر لسان العرب، ج٣، ص٣٨٩.

(٤) أساقفته: جمع الأسقف، وهو العالم والرئيس من علماء النصارى ورؤسائهم، والسقف في اللغة طول في انحناء، انظر النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص١٦٩.

(٥) مصاحفهم: أي أناجيلهم، وكانوا يسمونها مصاحف: مفردها مصحف، والمصحف ما جعل جامعها للصحف المكتوبة، انظر المفردات، ص٢٧٥.

الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمر بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قالت فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا، ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ولما قهرونا وظلمونا، وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم فقال النجاشي: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من "كهيعص"، قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل[1] لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة[2] واحدة انطلقا فو الله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد".

قالت: "فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبهم

---

(١) ابتلت بالدموع: يقال خضل واخضل إذا ندى، انظر النهاية، ج٣، ص٤٣.

(٢) المشكاة: الكوّةُ غير النافذة، وقيل: هي الحديدة التي يُعلَّق عليها القنديل.

أراد أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى، وأنهما من شيء واحد. انظر النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، مرجع سابق، ج٤، ص٣٣٤.

عنده ثم استأصل به خضراءهم[1] قالت: فقال عبد الله بن أبي ربيعة: وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا. قال والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عليهما السلام عبد، قالت ثم غدا عليه الغد فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. قالت أم سلمة: فأرسل إليهم يسألهم عنه قالت: ولم ينزل بنا مثلها. فاجتمع القوم فقال بعضهم ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا نقول والله فيه ما قال الله ﷻ وما جاء به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب ﷺ: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء[2] البتول[3] قالت: فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت[4] بطارقته حوله حين قال ما قال. فقال وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي (والسيوم الآمنون) من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبراً ذهب وأني آذيت رجلاً منكم (والدبر بلسان الحبشة الجبل) ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه. قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار"[5].

---

(١) أي دهماؤهم وسوادهم، انظر النهاية في غريب الحديث: ابن لأثير، ج٢، ص٤٢.

(٢) العذراء: الجارية التي لم يمَّسها رجل، وهي البكر، انظر النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج٣، ص١٩٦.

(٣) البتول: المنقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبهاسميت مريم أم المسيح عيهما السلام، انظر النهاية في غريب الحديث: ج١، ص٩٤.

(٤) سبق معناها، ص٢٢٢.

(٥) أخرجه أحمد: ج٣، ص٢٦٣-٢٦٨حديث رقم (١٧٤٠) وقال المحقق: إسناده حسن، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه =

من خلال الرواية السابقة يمكن توضيح ما يلي:

١-أوضحت أم سلمة في بداية حديثها عن وضع المهاجرين في أرض الحبشة فقد كانوا في خير حال عند خير جار، وذلك لأنهم أمنوا فاطمأنوا فعبدوا الله ﷻ.

٢- بعد أن علم كفار قريش بأحوال المهاجرين في أرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا داراً وأطمأنوا بها عملوا على إفساد هذه الهجرة فاتخذوا لذلك خطة حكيمة من أجل الإيقاع بالمهاجرين وتقتضي هذه الخطة:

أ- أنهم بعثوا رجلين من قومهم يتصفان بالقوة والشجاعة، وهذه من الصفات المهمة التي يجب أن تتوفر بالقائد التي توكل إليه المهام، لأن توفر مثل هذه الصفات تجعل من القاعد يحسن التصرف ويستطيع مواجهة ما يعتريه من مشاكل بكل حنكة وذكاء.

ب- بذل الأموال من أجل شراء الهدايا، ليس هذا فحسب بل لقد اختاروا أفضل ما يهدى من مكة، وهم بفعلهم هذا يقصدون التقرب إلى الملك وحاشية وكسب مودتهم، فهم يعرفون ما للهدية من تأثير، وهذا الأسلوب قد اتخذته ملكة سبأ حين أرسلت بهدية إلى سليمان من أجل كسب مودته قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

ج- وكان من مقتضى الخطة أن يدفعوا بالهدية أولاً إلى البطارقة، وبدأوا بهم حتى يكسبوهم في صفهم ويقفوا بجانبهم في مهمتهم، وذلك لمدى معرفتهم بتأثير الحاشية على الملك، ولأن الملوك لا يقدمون على أي عمل حتى يستشيروا وزراءهم، قال الله تعالى على لسان ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ

= مدلس، ولكنه هنا صرح بالتحديث.

(١) سورة النمل: الآية (٣٤، ٣٥).

﴿تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

د- ثم تقتضي الخطة بعد أن يسلما الهدية للبطارقة يأتي دور الملك فيما بعد، ومن مقتضى الخطة كذلك أن يطلبا من الملك أن يسلمهم القوم قبل أن يكلمهم، لأنهم يعرفون أنهم على باطل وأن المهاجرين على حق، ولأنهم يعرفون أن استماع النجاشي للمهاجرين يؤدي إلى فشل خطتهم، وهذا ما لا يرجونه أن يقع أبداً لذلك كانوا يحذرون من سماع النجاشي للمهاجرين.

٣-ويبدأ فشل الخطة في أول مراحل المواجهة، فالنجاشي العادل يغضب للعرض الجائر، ويرفض التسليم والمكيدة في أرضه حتى يدعوا المهاجرين الذين اختاروه على غيره، ويسمع منهم، ويكون من ذلك على بينة، وحينها يسلمهم أو يمنعهم ويحسن إليهم[2]وقد كان هذا التصرف من النجاشي قمة العدل، وهذا ما أخبر به النبي ﷺحين قال بأنه لا يظلم عنده أحد.

٤-ويبعث النجاشي إلى المهاجرين ليتأكد من ذلك الخبر بنفسه، ويبدأ النجاشي بتوجيه الأسئلة إلى المهاجرين، وكانت أولى هذا الأسئلة سؤاله عن الدين الجديد، الذي جعلهم أولاً يفارقون وطنهم وأهليهم من أجله ولم يدخلوا في دينه ولا دين أحد من الملل، الأمر الذي جعل قومهم ينقمون عليهم بسبب ذلك.

٥-وقد كانت الإجابة من المهاجرين عن سبب تركهم لدين قومهم ودخولهم في الدين الجديدواضحة، وفي الفصل الرابع يتم توضيح ذلك.

٦-وبعد سماع النجاشي لقول جعفر لابد له من إثبات ما يقول، فقرأ عليه من سورة مريم، عندها علم النجاشي بأن ما قيل عن المهاجرين ليس صحيحاً وأن ما جاءوا به هو الحق، عندها علم المشركون بأن خطتهم الأولى باءت بالفشل لذلك عملوا على تدبير مؤامرة أخرى ضد المهاجرين، فأخبروا الملك بأن المسلمين يخالفونه

---

(١) سورة النمل: الآية (٣٢، ٣٣).

(٢) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٧٧، ٧٨.

المعتقد في عيسى ابن مريم عليه السلام، وقد أراد المشركون إثارة مثل هذا الموضوع لأنهم يعرفون أن المسلمين يخالفون النصارى في الاعتقاد في عيسى ابن مريم، ولكن الله أظهر الحق في ذلك فالنجاشي يوافق المسلمين في أن عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله.

وبعد أن ظهرت الحقيقة وزال الاتهام الذي وجه للمهاجرين ومن خلال الحوار الذي دار بين النجاشي وجعفر يمكن توضيح موقف النجاشي بالآتي:

١- التثبت من الخبر وعدم الاستعجال في اتخاذ القرار.

٢- طلب الحجة والبرهان، للتأكد من صحة ما يدعون إليه، لأن ذلك أقوى في قبول الحق.

٣- إظهار الحق وعدم إخفاء الحقائق، فقد أظهر النجاشي القول الحق في قضية عيسى ابن مريم، مما يدل على قوته ووقوفه بجانب الحق مهما كلفه هذا الأمر.

٤- إصدار الحكم العادل من ملك وصف بالعدل، بأن لا يسلمهم أبداً، بل جعل الغرامة على من يتعرض لهم بالأذى وهذا كله منتهى العدل.

٥- رد هدايا القوم التي قدمت له ولبطارقته، فهو بذلك يعلم بطارقته عدم قبول أي هدية إذا أريد بها الإضرار بالآخرين.

ثم قال النجاشي " فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع فيّ الناس فأطيعهم فيه.قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار"[1] فهذا سيتم بيانه في المطلب التالي عند الحديث عن شخصية النجاشي.



---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٧.

المطلب الرابع:
شخصية النجاشي الملك العادل

لقد عرفت شخصية النجاشي منذ الوهلة الأولى من أمر الرسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة وذلك حين قال: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله فرجاً مما أنتم فيه"(١).

إن هذه الشخصية الفذة كان لها صدى في التاريخ الإسلامي، فلا يخلو مصدر من مصادر التاريخ الإسلامي، إلا وكانت هذه الشخصية تحتل جزءاً من صفحاته خصوصاً عند ذكر هجرة الحبشة، إذ إن هجرة الحبشة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصية النجاشي، إذ لم يأمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة إلا لأن بها النجاشي الملك العادل، وأصبح اسم النجاشي يضرب به المثل عند الحديث عن عدالة الملوك، كما أصبح النجاشي علما من أعلام النبلاء الذين يفتخر بهم التاريخ الإسلامي.

وحتى يتم التعرف على هذه الشخصية التاريخية وكل ما يتعلق بها فإني أعتمد على ما جاء ذكره في المصادر الإسلامية ومنها.

أولاً: اسمه:

ذكرت فيما سبق بأن النجاشي لقب يلقب به ملوك الحبشة، وأن اسم النجاشي الذي استضاف المسلمين (أصحمة).

فعن ابن إسحاق ~ قال: "كان اسم النجاشي (مصحمة)وهو بالعربية (عطية) وإنما النجاشي اسم الملك، كقولك كسرى وهرقل "(٢).

وقد اختلف في اسمه على أقوال: أشهرها أصحمة، وهو الوارد في

---

(١) سبق تخريجه: ص٦٤.

(٢) السيرة النبوية: لابن إسحاق، مرجع سابق، ص٢٠١.

الصحيحين[١].

كما جاء ذكر أصحمة في صحيح البخاري ومسلم حين أمر الرسول ﷺ بالصلاة عليه[٢].

كذلك ورد في دلائل النبوة للبيهقي عن ابن إسحاق أن النبي ﷺحينما بعث خطاباً مع عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر وأصحابه قال: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة "[٣]

و ذكر ابن الأثير ~ أصحمة بقوله: "أصحمة النجاشي ملك الحبشة، أسلم في عهد النبي ﷺ وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخباره معهم ومع كفار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة وتوفي ببلاده قبل فتح مكة وصلى عليه النبي ﷺ بالمدينة وكبر عليه أربعاً وأصحمة اسمه، والنجاشي لقب له ولملوك الحبشة مثل كسرى للفرس وقيصر للروم "[٤]

أما ابن حجر ~ فقد ذكره بقوله: " أصحمة بن أبجر (أبجر) النجاشي ملك الحبشة، واسمه بالعربية (عطية)والنجاشي له لقب، أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يهاجر إليه، وكان رداءً للمسلمين نافعاً، قصته مشهورة في المغازي في إحسانه للمسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام "[٥].

---

(١) انظر الطراز المنقوش في محاسن الحبوش: محمد بن عبد الباقي البخاري، تحقيق عبد الله محمد الغزالي، ط١(١٩٩٥م) الكويت، ص٤٨.

(٢) انظر صحيح البخاري: كتاب الجنائز، ج٢، ص٥٦٦، وانظر صحيح مسلم: كتاب الجنائز، ج٢، ص٣٥.

(٣) دلائل النبوة: للبيهقي، مرجع سابق، ج٢، ص٣٠٨.

(٤) أسد الغابة: لابن الأثير: مرجع سابق، ج١، ص١١٩، ١٢٠.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر، مرجع سابق، ج١، ص١٠٩.

ثانياً: قصة تملكه للحبشة:

ذكرت في الفصل الأول[1] حينما تحدثت عن الحالة السياسية للحبشة في عهد النبي ﷺ قصة تملك النجاشي للحبشة، وقد ذكرت أم سلمة < هذه القصة بعد ذكرها لقول النجاشي: ما أخذ الله منّي الرّشوة حين ردّ علي ملكي فآخذ الرّشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه؟ثم ذكرت بأن عائشة أم المؤمنين حدّثتها ثم ساقت القصة بطولها، ومن هذا القصة يمكن توضيح ما يلي:

بأن النجاشي قد تعرض للاضطهاد في بداية حياته وذلك حين قُتل أبوه فعُرض للبيع كعبد من العبيد، وأُخرج من الحبشة مملوكاً، أن الذي اشتراه كان تاجراً من العرب وأخذه إلى الجزيرة العربية وقد مكث فترة طويلة ومما يدل على ذلك قوله (فلما مرج على الحبشة أمرهم) وهذا يدل على أن الأوضاع في الحبشة قد تدهورت بعد موت عم النجاشي وهذا لا يمكن أن يحصل بين يوم وليلة إلا أنه استغرق وقتاً طويلاً، لذلك اضطروا إلى طلبه.

قال السهيلي ~ : "وظاهر الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتي به بلاده لقوله: خرجوا في طلبه فأدركوه، وقد بين في حديث آخر أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلاً، وهو الذي يقتضيه قوله: فلما مرج على الحبشة أمرهم وضاق عليهم ما هم فيه، وهذا يدل على طول المدة في مغيبه عنهم، وقد روي أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها المسلمون فأرسل إليهم فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مسحاً وقعد على التراب والرماد، فقالوا له: ما هذا أيها الملك؟ فقال: إنا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعاً وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة وهي أن النبي محمدﷺ بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كثير الأراك[2] كنت أرعى فيه الغنم على سيدي

---

(١) انظر الفصل الأول المبحث الثاني، ص٦٨.

(٢) الأراك: شجر معروف له حمل كعناقيد العنب، واسمه الكباث بفتح الكاف، وإذا نضج يسمى المرد، انظر =

وهو من بني ضمرة وأن الله قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه،فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب، فمن هنا والله أعلم تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تليت عليه حتى بكى وأخضل لحيته"[1].

تدل هذه الرواية على أن النجاشي قد تعلم العربية حين كان عند سيده لذلك سهل عليه التفاهم مع المهاجرين وفهم من جعفر خطابه لذلك تأثر حين تلا عليه من سورة مريم كما ذكره السهيلي، كما أن رواية أم سلمة السابقة تدل على قوة النجاشي وصلابته وعدله حيث أنه لم يقبل أن يجلس على كرسي الملك قبل أن يرد للتاجر حقه، لذلك قال: ما أخذ الله مني رشوة حين رد علي ملكي وكذلك فإنه لم يقبل من مبعوثي كفار قريش هداياهم لأنه اعتبرها رشوة منهم لأنهم كانوا يقصدون بها أن يقف النجاشي بصفهم ضد المسلمين ويسلمهم إليهم.

ثالثاً: إسلام النجاشي:

تقدم فيما مضى عند الحديث عن الحوار الذي دار بين النجاشي وجعفر ﷺكيف أن النجاشي بكى حين تلا عليه من سورة مريم، وأيد جعفر وصدقه بما قال كما جاء في رواية أم سلمة < ، وجاء في رواية ابن مسعود ﷺ أنه قال: "مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله فإنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضؤه "[2].

كان هذا من أوائل الأدلة على إسلام النجاشي وهناك أدلة أخرى تدل على إسلام النجاشي منها:

= النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج١، ص٤٠.

(١) الروض الأنف: للسهيلي، مرجع سابق، ج٣، ص٢٦٠.

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ٣، ص٧٦، ٧٧.

١- خروج الحبشة على النجاشي

كان كذلك من الدلائل على إسلام النجاشي خروج الحبشة عليه[1] وقد تطرقت إلى هذا في الفصل الأول حينما تحدثت عن الحالة السياسية للحبشة فحينما علمت الحبشة بإسلامه اجتمعوا للخروج عليه فقالوا له "إنّك قد فارقت ديننا" وهذا يدل على أن النجاشي قد أعلن إسلامه وعندما علمت الحبشة بذلك خرجوا عليه، ولكنه استطاع أن يعالج هذه المشكلة بحكمة وقد أحسن التصرف في ذلك، إذ إنه لو أفصح عن إسلامه لأدى ذلك إلى أن تندلع نار الفتنة، فإن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح.

ومن الأدلة أيضاً على إسلام النجاشي:

٢-كتابه ﷺ إلى النجاشي:

بعث النبي ﷺ في السنة السادسة من الهجرة عمرو ابن أمية الضمري إلى النجاشي وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن، فأخذ كتاب رسول الله ﷺ، فوضعه على عينيه، ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحقّ، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله ﷺ، بإجابته وتصديقه وإسلامه، على يدي جعفر بن أبي طالب، لله ربّ العالمين، وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوّجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأمره رسول الله ﷺ، في الكتاب أن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم، ففعل فزوّجه أمّ حبيبة وأصدق عنه أربعمائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يُصلحهم، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري[2].

وهذا نص الكتاب "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام

---

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٩.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٨، ٢٥٩.

المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى"(١).

وبعث بالكتاب مع عمرو بن أمية الضمري، فقال السهيلي ~ : "إن عمراً قال له: يا أصحمة! إن عليَّ القول وعليك الاستماع، إنَّك كأنك في الرَّقة علينا، وكأنا في الثقة بك منا، لأنا لم نظنَّ بك خيراً قطُّ إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قطُّ إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحزِّ وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمَّنك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر، فقال النجاشي: أشهد بالله أنَّه النبيُّ الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر عنه، ولكن أعواني من الحبش قليل، فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب(٢).

ثم كتب النجاشي جواب كتاب النبي ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبيَّ الله، من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فوربِّ السماء والأرض، إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثُفروقاً إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعث به إلينا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على

----

(١) زاد المعاد: لابن القيم، مرجع سابق، ج٣، ص٦٨٩، وانظر البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤٣٧.

(٢) انظر الروض الأنف: للسهيلي، مرجع سابق، ج٦، ص٣٨٧.

يديه لله رب العالمين"[1] وقد حصل إشكالية في كون النجاشي الذي احتوى المسلمين ليس بالنجاشي الذي بعث إليه النبي ﷺ الكتاب حين بعث إلى الملوك.

فقال ابن كثير ~ بعد أن ذكر نص الكتاب الذي بعثه النبي ﷺ للنجاشي للبيهقي عن ابن إسحاق: "هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة، وفي ذكره ههنا نظر، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله ﷻ قبيل الفتح...فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول، وقوله فيه إلى النجاشي الأصحم لعله مقحم من الراوي بحسب ما فهم والله أعلم "[2].

وكذلك ذكره الإمام مسلم في إحدى رواياته وهو يروي حديث كتابة النبي ﷺ للملوك ومنهم النجاشي فقال: وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ[3].

والذي أراه وأميل إليه أن النجاشي الذي كتب إليه النبي ﷺ حين كتب إلى الملوك هو نفس النجاشي الذي استقبل جعفر وأصحابه وهو الذي صلى عليه النبي ﷺ حين موته.

ويمكن دفع الإشكال الحاصل في ذلك بما يلي:

ذكرت فيما سبق في المناظرة التي جرت بين جعفر والنجاشي، أن النجاشي حين سمع من جعفر عند قراءته لسورة مريم تأثر بذلك وشهد شهادة الحق، ولكن حين علمت الحبشة بذلك خرجت علية لذلك كتم إسلامه لمصلحة رآها، وحين كتب إليه النبي ﷺ ما كتب من أجل أن يعلن إسلامه لأنه جاء الوقت الذي يعلن به إسلامه، لأن

---

(١) زاد المعاد: لابن القيم، مرجع سابق، ج٣، ص٦٩٠، وانظر البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤٣٧، ٤٣٨.

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص٤٣٧.

(٣) انظر صحيح مسلم: كتاب المغازي، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الأرض، ج٣، ص٢٦٧، حديث رقم (٤٦٣٢).

الخطر الذي كان يخفي إسلامه من أجله لربما زال ولا يسع الحبشة أن تخرج عليه خصوصاً وقد ذاع صيت الإسلام حتى وصل إلى كسرى وقيصر وغيرهم من الملوك والله أعلم.

وقد وجدت ما يؤيد به ما ذكرت فقد قال ابن حزم: بعد ما انتهى من ذكر أسماء المهاجرين "ثم إن قريشاً بعثت إلى النجاشي عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، ليردا هؤلاء القوم إليهم، فعصم الله تعالى النجاشي من ذلك، وكان قد أسلم ولم يقدر على إظهار ذلك خوف الحبشة، فمنعهم منهما وانصرفا خائبين "(١).

وكذلك فإن المتأمل في الخطاب الذي وجهه النبي ﷺ إلى النجاشي فإنه يأمره أن يزوجه أم حبيبة، فكيف يطلب النبي ﷺ منه أن يزوجه إلا أنه عنده علم بهم وقد ذكرت فيما مضى أن النجاشي لم يلتق بالمسلمين إلا بعد وشاية كفار قريش بهم، فإذا خلف النجاشي الأول نجاشي آخر فلا بد له أن يحضر المسلمين ويسألهم عن الذي جاء بهم، وكذلك فإن كفار قريش لن يفوتوا الفرصة منهم فإذا كانت محاولتهم الأولى قد فشلت فلربما قد تنجح مع النجاشي الآخر.

وإذا رجع إلى الخطاب الذي وجهه النجاشي إلى النبي ﷺفإن به بعض العبارات تحتاج إلى وقفة ومن ذلك.

قوله: " وقربنا ابن عمك وأصحابه "فمن الذي قرب أصحاب النبي ﷺ أليس هو النجاشي الذي استضافهم في بداية هجرتهم حين فتنهم كفار قريش فالتجأوا إلى بلاده ومكثوا بها قرابة ستة عشر سنة.

وقوله "وقد بايعت ابن عمك وأسلمت على يديه ".

وقد بايع النجاشي جعفر ﷺ بعد المناظرة التي جرت بينهم وذلك حين سمع منه حين تلا من سورة مريم فأسلم النجاشي وشهد شهادة الحق ومن الطبيعي أن

----

(١) جوامع السيرة: لابن حزم، دار الكتب العلمية، ط١، ص٥١.

يبايعه على الإسلام بعد ما سمع كلامه واقتنع به.

وقد وجدت ما يؤيد ما ذكرت فقد ذكر صاحب كتاب الطراز المنقوش بعد ما ذكر ما تعنيه لفظة النجاشي فقال: "لأن النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ، أسلم على يد جعفر بن أبي طالب، ومات في زمنه، ﷺ، ثم قال: "وهو أول ملك أرسل إليه رسول الله ﷺ بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، وأول من أسلم من الملوك"[1].

وهذا يعني أن النجاشي الذي استقبل المسلمين هو نفس النجاشي الذي أرسل له رسول الله ﷺ الكتاب حين أرسل إلى الملوك، وقد ذكرت سابقاً السبب في عدم إعلان النجاشي إسلامه، ولكن بعد ما تلقى الكتاب من النبي ﷺ أعلن إسلامه.

ولا يسع بعد ذلك كله إلا أن أقول إنه لا يوجد إلا نجاشي واحد وهو الذي استضاف المسلمين وهو الذي صلى عليه النبي ﷺ.

وأما قول ابن كثير فإنه ذكر بأن الكتاب الذي بعثه النبي ﷺ للنجاشي والذي ذكره البيهقي عن ابن إسحاق فإن الرواية لا تصح لأن ابن إسحاق ذكره بدون سند[2].

ثم قال وفي ذكره ههنا نظر، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم، وفي نظري هذا بعيد أن يكون هناك نجاشيان كما بينت في السابق، إذ لم يرد في كتب التاريخ إلا نجاشي واحد والله أعلم.

وأما ما جاء ذكره في إحدى روايات مسلم فقد جاءت رواية أخرى لم يذكر فيها قوله وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ.

"عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ وَلَمْ يَقُلْ وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ

----

(١) الطراز المنقوش في محاسن الحبوش: مرجع سابق، ص٤٨، ٤٩.

(٢) انظر، الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص١٤٦.

الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ"(١).

وهناك أدلة أخرى تدل على إسلام النجاشي، ويمكن من خلاله أن نستنتج المسألة المتعلقة بالنجاشي الذي أرسل إليه النبي ﷺ الكتاب.

٣- إسلام عمرو بن العاص:

فقال عمرو بن العاص وهو يروي قصة إسلامه: "لما انصرفنا مع الأحزاب من الخندق جمعت رجالاً من قريش، وكانوا يرون رأيي، ويسمعون منّي، فقلت لهم: تعلمون والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً مُنكرا، وإني قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنّا عند النجاشي، فإنّا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومُنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلاّ خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم. فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فو الله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه.قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده،قال: فقلت لأصحابي، هذا عمرو بن أمية الضَّمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديت إليّ من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعطينه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مّد يده فضرب بها أنفه

---

(١) صحيح مسلم: كتاب المغازي، باب كتب النبي ﷺإلى ملوك الكفار، ج٣، ص٢٦٧، حديث رقم (٤٦٣٣).

ضربةً ظننت أنه كسره، فلو انشقّت لي الأرض لدخلت فيها فرقاَ منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أُعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحقّ، وليظهرنّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال:، قلت أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعه على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عمّا عليه، وكتمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[1] وإن الرجل لنبيَ، أذهب والله فأسلم، فحتّى متى! قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال لي رسول الله ﷺ، يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها، قال: فبايعته، ثم انصرفت[2].

وكان هذا من الدلائل الواضحة على إسلام النجاشي إذ كيف يشير النجاشي على عمرو باعتناق هذا الدين إلا إذا كان هو مقتنع بهذا الدين ويدين به وإلا لكان دعاه إلى النصرانية إذا كان لا يزال يدين بها.

وكما تشير هذا الرواية على العلاقة الحميمة التي كانت تربط بين النجاشي وعمرو إذ لجأ إليه وجلب له الهدايا بعد أن رأى انتصارات المسلمين، وهزيمة المشركين.

---

(١) استقام المنسم: معناه تبيَّن الطريق، يقال رأيت منسماً من الأمر أعرف به وجهه: أي أثراًمنه وعلامة، انظر النهاية في غريب الحديث، ج٥، ص٥٠.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٣، ص ٢١٨، ٢١٩.

وأما ما يتعلق بالنجاشي فإنه من المعلوم أن جعفراً ومن بقي معه مكثوا إلى سنة سبع في الحبشة بجوار النجاشي وهو الذي حملهم للنبيﷺ، ولم يُعلم مجاورة جعفر ومن معه لنجاشي آخر غير الذي آزرهم منذ قدومهم للحبشة(1).

وكذلك فإن وفاة النجاشي وصلاة النبي ﷺعليه تدل على أنه نفس النجاشي الذي استقبل المسلمين وأرسل إليه النبي ﷺ الكتاب، كما أنها دليل على إسلام النجاشي وهذا ما يتم بيانه في النقطة التالية:

٤-وفاة النجاشي وصلاة النبي ﷺ عليه:

من خلال ما ذكرت سابقاً تبين أن النجاشي قد أسلم وأعلن إسلامه حين وصله كتاب النبي ﷺ الذي أرسله مع عمرو بن أمية الضَّمري، وحين توفي النجاشي فبلغ النبي ﷺ خبر وفاته أمر المسلمين بالصلاة عليه، وقد وردت أحاديث كثيرة في صلاة النبي ﷺ على النجاشي منها ما رواه البخاري ومسلم ومنها ما ذكرها أصحاب الكتب الستة وقد اكتفيت بما جاء ذكره في كتاب البخاري ومسلم.

الأحاديث الواردة في صحيح البخاري "باب موت النجاشي":

١- عَنْ جَابِرٍ، ﷺ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: "مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ"(2).

٢- "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، { أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا"(3).

وغيرها من الأحاديث الواردة في صحيح البخاري(4).

---

(١) انظر السيرة النبوية: للذهبي، مرجع سابق، ص١٢١، ١٢٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، ج٥، ص١٢٩، حديث رقم (٣٨٣).

(٣) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، ج٥، ص١٣٠، حديث رقم (٣٨٥).

(٤) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، ج٥، ص١٢٩، ١٣٠ حديث رقم (٣٨٤) =

الأحاديث الواردة في صحيح مسلم "باب موت النجاشي":

١- "عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَعَى[(١)] لِلنَّاسِ النَّجَاشِىَ فِى الْيَوْمِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ"[(٢)].

٢- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: "نَعَى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ النَّجَاشِىَ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ فِى الْيَوْمِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ "[(٣)].

وغيرها من الأحاديث الواردة في صحيح مسلم[(٤)].

كانت هذه الأحاديث الواردة في أصح كتابين بعد الله سبحانه وتعالى توضح إسلام النجاشي، إذ إن صلاة النبي ﷺ عليه صلاة الغائب من الدلائل الواضحة على إسلامه، إذ أن من شروط صلاة الجنازة أن يكون الميت مسلماً، فتحرم الصلاة على الكافر لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[(٥)].

لأن الصلاة على الميت دعاء واستغفار، فلا يستحق هذا إلا المسلم الذي خضع لشرع الله وأقر بالشهادتين ومات على ذلك، فإسلام النجاشي ثبت بحضور جمع من

= وصحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، ج٥، ص١٣٠، حديث رقم (٣٨٦).

(١) نَعَى الميِّتَ يَنْعاه نَعْياً ونَعِيّاً إذا أذاعَ موته وأَخْبَرَ به وإذا ندَبَه. انظر النهاية، لابن الأثير، مرجع سابق، ج٥، ص١٨٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب ما جاء في النعي والتكبير والصفوف على الجنازة، ج٢، ص٣٤، حديث رقم (٢١٦٢).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب ما جاء في النعي والتكبير والصفوف على الجنازة، ج٢، ص٣٤، حديث رقم (٢١٦٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النعي والتكبير والصفوف على الجنازة، ج٢، ص٣٤، حديث رقم (٢١٦٤).

(٥) سورة التوبة: الآية (٨٤).

المهاجرين من الصحابة وتواترت أخباره عن طريق روايات وردت في كتب الحديث المعتمدة، كما أن أخباره معلومة مشهورة في كتب السير والمغازي والتاريخ على حد سواء[1].

أما ما يتعلق بمسألة النجاشي الذي أرسل له النبي ﷺ الكتاب هل هو النجاشي الذي هاجر إليه الصحابة في بداية هجرتهم أم هو نجاشي آخر، فباضافة إلى ما ذكرت سابقاً في توضيح هذه المسألة، فإن موت النجاشي وصلاة النبي ﷺ عليه تأييد بأنه لا يوجد إلا نجاشي واحد وهو الذي استقبل المسلمين ثم عمل على تجهيزهم للعودة إلى المدينة حين طلب منه النبي ﷺ ذلك بالكتاب الذي أرسله مع عمرو بن أمية الضَّمري حين أرسل الكتب إلى الملوك والأمراء.

وكما هو معروف أن الاتفاق وقع بأن النجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ هو نفس النجاشي الذي آوى المسلمين في بداية هجرتهم كما ورد ذلك في الحديث الذي ورد في مسلم السابق الذكر، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ، ولكن الإشكالية وقعت في النجاشي الذي تلقى الكتاب من النبي ﷺ، بالإضافة إلى ما تم توضحيه في هذه المسألة، فيمكن إضافة بعض النقاط حتى تتضح هذه المسألة من خلال ما ذكرت من الأحاديث في صلاة النبي ﷺ على النجاشي وهو:

١-وصف الرسول ﷺ النجاشي الذي صلى عليه بالصلاح كما ورد في الأحاديث السابقة، والنجاشي الذي هاجر إليه المسلمون وصفه الرسول ﷺ بالصلاح حين قال: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله فرجاً مما أنتم فيه"[2] فقد عرف عن النجاشي أنه عادل فإن العدالة دليل على الصلاح، وكان هذا من مبررات اختيار بلاده مكاناً لهجرة المسلمين كما سبق وهذا

---

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: ص١٤٩، ١٥٠ بتصرف.

(٢) سبق تخريجه، ص٦٤.

مؤشر إلى أن النجاشي الموصوف بالصلاح واحد لا أكثر[١].

٢-أما بالنسبة لسنة وفاته فقد ذكر ابن حجر ~ أنها وقعت بعد الهجرة سنة تسع عند الأكثر، وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة[٢].

و ذكر ابن كثير ~ أن وفاة النجاشي في السنة التي قدم فيها جعفر ومن معه بعد فتح خيبر وعلَّق على رأي السهيلي بكونه توفي سنة تسع بقوله: وفي هذا نظر والله أعلم[٣].

وسواء كانت وفاة النجاشي في السنة التاسعة أو الثامنة فإن الكتاب الذي أرسله النبي ﷺ للنجاشي كان في السنة السادسة، وهذا يدل على أنه لا يوجد إلا نجاشي واحد.

٣-ولو افترض أن الذي صلَّى عليه النبي ﷺ نجاشي آخر وهذا بعيد لأنه متفق على أن الذي صلى عليه الرسول هو النجاشي الذي استضاف المسلمين، ومع هذا فإنه لا يوجد هناك دليل على صلاة الرسول ﷺ مرتين، وإذ لم يرد مثل هذا فلا يمكن أن يصلي النبي ﷺ صلاة الغائب على النجاشي الآخر، ويدع الصلاة على النجاشي صاحب الأسبقية والفضل على المهاجرين[٤].

بل لقد قال الذهبي مؤكداً صلاة النبيﷺ على النجاشي الأول دون غيره ما نصه: "ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه "[٥].

---

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص١٤٤ بتصرف.

(٢) انظر فتح الباري: لابن حجر، مرجع سابق، ج٧، ص٢١١.

(٣) انظر البداية والنهاية: لابن كثير، مرجع سابق، ج٣، ص٨٦.

(٤) انظر الهجرة الأولى: مرجع سابق، ص١٤٥، ١٤٦ بتصرف.

(٥) سير أعلام النبلاء: الذهبي، تحقيق، شعيب الأرنؤط وحسن الأسد، مؤسسة الرسالة بيروت، ج١، ص٤٢٩.

المطلب الخامس:
قدوم مهاجري الحبشة إلى المدينة

كان لمهاجري الحبشة ثلاث قدومات:

القدوم الأول:

كان إلى مكة وذلك حين شاع خبر إسلام كفار قريش، وكان بعد هجرتهم بقليل، وقد حدثت الهجرة الأولى في رجب للسنة الخامسة للبعثة فمكث المهاجرون في الحبشة شعبان ورمضان وقدموا إلى مكة في شوال، حينما بلغهم إسلام كفار قريش كذباً، فلما وصلوا مشارف مكة علموا أن الخبر كان كذباً، فرجع منهم من رجع إلى الحبشة ومنهم من دخل مكة ولم يدخلها إلا مستخفياً أو بجوار كما تقدم، وقد كان هذا القدوم الأول لمهاجري الحبشة، وهذا القدوم متفق عليه، ثم لما اشتد أذى كفار قريش بهم أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة مرة ثانية ومكثوا فيها ما شاء الله لهم، ولما علموا بمخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة قدم منهم مجموعة وكان هذا قدومهم الثاني.

القدوم الثاني:

عن عائشة < قالت: " فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لابَتَيْنِ "(1).

وقال ابن سعد ~ : "فلما سمعوا بمهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً، ومن النساء ثماني نسوة، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس بمكة سبعة نفر، وشهد بدراً منهم، أربعة وعشرون رجلاً "(2).

---

(١) سبق تخريجه، ص١٧٩.

(٢) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٧.

وقال ابن حجر ~ : " لما سمعوا أي مهاجرة الحبشة باستيطان المسلمين المدينة رجعوا إلى مكة فهاجر إلى المدينة معظمهم لا جميعهم لأن جعفراً ومن معه تخلفوا في الحبشة، وهذا السبب في مجيء مهاجرة الحبشة غير السبب المذكور في مجيء من رجع منهم أيضاً في الهجرة الأولى لأن ذلك كان بسبب سجود المشركين مع النبي ﷺ في سورة النجم فشاع أن المشركين أسلموا وسجدوا فرجع من رجع من الحبشة فوجدوهم أشد ما كانوا "(١).

أما بالنسبة لعدد العائدين فإن ابن إسحاق يتفق مع ابن سعد في عدد العائدين وهو (ثلاثة وثلاثون) رجلاً ولكن ابن إسحاق حين ذكر ذلك ذكره بعد ذكره لعودة المهاجرين حين بلغهم إسلام أهل مكة، فقال: "فكان ممن قدم عليه منهم، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدراً وأحد ومن حُبس عنه حتى فاته بدر وغيره، ومن مات بمكة"(٢).

ثم سرد أسماء المهاجرين ثم قال بعد الانتهاء منها "فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً"(٣).

يظهر من كلام ابن إسحاق أنه جعل للمهاجرين قدومين فقط الأولى حين بلغهم إسلام أهل مكة والثاني في عام خيبر، ولعل السبب في ذلك أن ابن إسحاق قد جعل للمهاجرين هجرة واحده وذلك كما أوضحت سابقاً بأنه ذكر الهجرة الأولى ثم ذكر هجرة جعفر ثم قال: وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة والله أعلم.

وأما ابن حبان فلم يذكر القدوم الأول للمهاجرين وإنما ذكر الثاني فقال: "فلم يزل المسلمون بأرض الحبشة إلى أن ذُكر رسول الله ﷺ الخروج إلى المدينة، فمنهم من

----

(١) فتح الباري: لابن حجر، ج٧، ص٢٦١.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، ج٢، ص٥.

(٣) انظر المصدر السابق: ج٢، ص٨.

رجع إلى مكة فهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، ومنهم من بقي بأرض الحبشة حتى لحق رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة "[1]

أما ابن القيم ~ فهو يرى أن للمهاجرين قدمتين فقط الأولى والثالثة فقال: "يُبطل هذا شهود ابن مسعود بدراً، وأهل الهجرة الثانية إنما قدموا عام خيبر مع جعفر وأصحابه، ولو كان ابن مسعود ممن قدم قبل بدر، لكان لقدومه ذكر، ولم يذكر أحد قدوم مهاجري الحبشة، إلا في القدمه الأولى بمكة، والثانية عام خيبر مع جعفر، فمتى قدم ابن مسعود في غير هاتين المرتين ومع من؟وبنحو الذي قلنا قال ابن إسحاق "[2].

ثم يعود ابن القيم مرة ثانية ليذكر أنه يحتمل أن يكون للمهاجرين ثلاث قدمات فيقول: "قلت قد ذُكر في هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان وجماعة ممن شهد بدراً، فإما أن يكون هذا وهماً، وإما أن يكون لهم قدمة أُخرى قبل بدر، فيكون لهم ثلاث قدمات، قدمة قبل الهجرة، وقدمة قبل بدر، وقدمة عام خيبر"[3].

وأما قدومهم الأخير فكان في عام خيبر.

القدوم الأخير لمهاجرة الحبشة:

ظلت طائفة من المهاجرين في أرض الحبشة حتى أتاهم الأمر من رسول الله ﷺ بالعودة والهجرة إلى المدينة، فقد قال ابن سعد ~ : "إن النبي ﷺ كتب إلى النجاشي أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم، ففعل وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضَّمري، فأرسوا بهم إلى ساحل بولا وهو الجار، ثم تكاروا الظهر حتى قدموا المدينة فيجدون رسول الله ﷺ بخيبر، فشخصوا إليه فوجدوا قد فتح خيبر،

----

(١) السيرة النبوية: لابن حبان، ج١، ص٦٩.

(٢) زاد المعاد: مرجع سابق، ج٣، ص٢٥.

(٣) المصدر السابق، ج٣، ص٢٥.

فكلم رسول الله المسلمين أن يدخلوهم في سهامهم، ففعلوا "[١].

وكذلك قال ابن إسحاق ~ من أن النبي ﷺ بعث عمرو بن أميه الضَّمري إلى النجاشي في شأن جعفر وأصحابه[٢]،وقال ابن هشام[٣] ~ : " إن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ يوم خيبر، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه، والتزمه وقال: ما أدري بأيّهما أنا أُسّر: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر "[٤]وكذلك ما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: "بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ إِمَّا قَالَ فِي بِضْعٍ وَإِمَّا قَالَ فِي ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِي فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ وَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ فَقَالَ جَعْفَرٌ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا وَأَمَرَنَا بِالإِقَامَةِ فَأَقِيمُوا مَعَنَا فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ فَأَعْطَانَا مِنْهَا وَمَا قَسَمَ لأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ إِلاَّ أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُم"[٥]

وهذه القدمة يتفق عليها أهل الحديث وأصحاب السير وهي عودة جعفر ومن

----

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٨.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٤، ص٣.

(٣) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر سنة٢١٣ هـ ، أشهر كتبه (السيرة النبوية) المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق، وله (القصائد الحميرية) في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، وغيرها.انظر الأعلام: للزركلي، ج٣، ص١٦٦ .

(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٤، ص٣.

(٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج٥، ص٢٤٩، حديث رقم (٦٩٧).

معه، وكان مقدمهم بعد فتح خيبر في السنة السابعة[(١)].

وأما عدد الذين كانوا مع جعفرﷺ فقد ذكر ابن إسحاق ~ عددهم بقوله: "وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله إلى النجاشي عمرو بن أميه الضَّمري، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية"[(٢)].

ثم شرع بذكر أسمائهم ثم قال: "فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضَّمري في السفينتين، فجميع من قدم في السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلاً"[(٣)].

إن هذا العدد الذي ذكره ابن إسحاق لا يشمل الأشعريين الذين قدموا مع جعفر ﷺ، وإن المتتبع لأحداث الهجرة يسأل عن سبب المكث الطويل لجعفرﷺ وبعض أصحابه في بلاد الحبشة، ومعلوم أن أكثر المهاجرين عادوا إلى المدينة بعد أن علموا بهجرة الرسولﷺ إليها، ثم عادت جماعة منهم بعد معركة بدر وبقي جعفر وجماعة صغيرة لم يعودوا إلا السنة السابعة من الهجرة يوم فتح خيبر كما سبق، وليس من المعلوم على وجه التحقيق ما الذي فعله جعفر وأصحابه في الحبشة من أجل كسب عيشهم، إذ أن المصادر لم تشر إلى شيء من ذلك، فعلى الرغم من أن النجاشي أحسن وفادتهم وأمر لهم بالطعام والكساء، إلا أنه من المستبعد جداً أن يظل المهاجرون أضيافاً على النجاشي طوال بقائهم هناك[(٤)].

ويبدو أن المهاجرين قد مروا في بداية هجرتهم بمرحلة من الخوف والقلق قاسوا

(١) انظر الهجرة الأولى: مرجع سابق، ص١١٨.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٤، ص٣.

(٣) المصدر السابق: ج٤، ص٥.

(٤) انظر الهجرة إلى الحبشة: مرجع سابق، ص٤٥، ٤٦.

آلام الغربة، لذلك حين سمعوا بأن كفار قريش أسلموا رجعوا بعد فترة قصيرة من هجرتهم كما سبق بيانه وقالوا: "عشائرنا أحب إلينا "(١).

ومن مظاهر قلقهم ووجود من يؤذيهم إجابتهم للنجاشي حين سألهم: أيؤذيكم أحد؟قالوا: نعم، فأمر منادياً فنادى: من آذى أحداً من هؤلاء فأغرموه أربعة دراهم، قال: يكفيكم؟فقلنا: لا، فأضعفها(٢).

ومما يدل على أن المهاجرين قد قاسو ا آلام الغربة ما ذكرته أ سماء بنت عُميس لعمر بن الخطاب { في حديث أبي موسى عن هجرة الأشعريين فقال: " وَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا، يَعْنِي لأَهْلِ السَّفِينَةِ - سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَهْيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ مَنْ هَذِهِ قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ قَالَ عُمَرُ الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ قَالَتْ أَسْمَاءُ نَعَمْ قَالَ سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ كَلاَّ وَاللهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ وَايْمُ اللهِ لاَ أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلاَ أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ"(٣).

وكذلك ما رواه البيهقي وهو يصف أحوال المهاجرين في أرض الحبشة فقال: "خرج عبد الله بن مسعود في رهط من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة في البحر، وكان بها سوق يبيعون ويشترون فانطلق عبد الله وحده وأخذ ما معه فقال له صاحب منزله: إني أراك تنطلق وحدك، وإني أحذرك رجلاً بلغ من شره لا يلق غريباً

---

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠.

(٢) انظر البداية والنهاية: لابن كثير، ج٢، ص٤٢٣.

وقال ابن كثير "فإما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً".

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج٥،ص٢٤٩، ٢٥٠ حديث رقم (٦٩٧).

إلا ضربه أو قتله وأخذ ما معه، قال: ثم وصف لي صفة الرجل، فلما جئت السوق عرفته بالصفة فجعلت استخفي منه بالناس لا يأخذ طريقاً إلا أخذت غيره حتى بعت ما معي بدينارين ثم إني غفلت غفلة فلم أشعر إلا وهو قائم على رأسي قد أخذ بيدي فجعل يسألني ما معك؟قال: قلت له أتجعل لي أن يخلي سبيلي أعطك ما معي؟قال: وكم معك؟قال: قلت له ديناران، قال: زدني، قلت ما بعت إلا بهما، قال زدني، قال فبينما هو إذ بصر به رجلان وهما على تلٍّ فانحطا نحوه، فلما رآهما خلى سبيلي وهرب، فجعلت أناديه هاك الدينارين، فقال: لا حاجة لي فيهما واتبعا ورجعت إلى أصحابي"(1)

يتضح من خلال الرواية السابقة الحالة التي كان عليها المهاجرون في الحبشة بداية هجرتهم، فقد عاشوا نوعا من الغربة والخوف، كما كشفت هذه الراوية عن جانب من أحوال المهاجرين فهاهو ابن مسعود يذهب إلى السوق ليمارس التجارة وهذا يدل على أنهم كانوا يلتمسون طلب الرزق، وليس معنى هذا أن المهاجرين لم يشعروا بالأمن والاستقرار بل لقد ذكرت أم سلمة في الرواية السابقة حالهم وكيف أنهم لما نزلوا أرض الحبشة أمنوا على دينهم وعبدوا الله ولم يكونوا يسمعون شيئاً يكرهونه(2).

ولقد بلغ من استقرار المهاجرين أن دخل المسلمون دار النجاشي، وأرضعت نساؤهم أحد أولاده، فقد كشف ابن حجر ~ عن وجود علاقة أسرية بين آل جعفر والنجاشي فقد نقل عن مصعب قوله: "ولد للنجاشي ولد فسماه عبد الله، فأرضعته أسماء زوج جعفر حتى فطمته(3).

وحين أمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على

----

(1) دلائل النبوة: للبيهقي: مرجع سابق، ج2، ص298، 299.

(2) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج1، ص264.

(3) انظر الإصابة: لابن حجر، مرجع سابق، ج2، ص289.

ذلك أحداً وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به، قال عبد الله بن الحارث في ذلك شعراً:

كلَّ امرئ من عباد الله مُضْطهدٍ ببطن مكّة مقهورٍ ومفتون
أنّا وجدنا بلاد الله واسعةً تُنجي من الذل والمخزاة والهُون[1]

ولكن ما الذي جعل جعفر وأصحابه رضي الله عنهم يمكثون تلك المدة الطويلة في أرض الحبشة، إن هذا المكث الطويل لهم جعل العلماء والباحثين يلتمسون لذلك أسباباً.

فقال الزهري ~ : "فلما قاتل رسول الله ﷺ كفار قريش حالت الحرب بين مهاجرة أرض الحبشة وبين القدوم على رسول الله ﷺ حتى لقوه بالمدينة زمن الخندق"[2].

من خلال ما ذكر الزهري فإنه يتضح أنه جعل الحرب الدائرة بين كفار قريش والرسول ﷺ سبباً في تأخر جعفر ومن معه، ولكن يؤخذ على هذه الرواية عدم الدقة في توثيقها للحدث.

فمن المعروف أن عودة جعفر كانت في السنة السابعة للهجرة أيام خيبر، وكانت غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة[3].

وقد تبن مما سبق أن أصحاب القدمتين الأولين وصل معظمهم قبل الأحزاب، بل شارك عدد منهم في غزوة بدر فإن ذكر الزهري في الرواية السابقة لأسماء بنت عُميس زوج جعفر في الخبر نفسه، مرجح أنه يقصد ما بعد الخندق، ومع ذلك يبقى القول بعودة طائفة من مهاجرة الحبشة في زمن الخندق في حدود السنة الخامسة وقبل

----

(١) انظر سيرة ابن إسحاق، مرجع سابق، ص٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) المغازي النبوية: ابن شهاب الزهري، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر، ص١٠٥.

(٣) انظر الهجرة إلى الحبشة: مرجع سابق، ص٤٦ بتصرف.

عودة جعفر ومن معه، له ما يعضده[1].

فقد ذكر ابن عبد البر[2] في معرض حديثه عن عودة جعفر وأصحابه عام خيبر فقال: "وقد أتى من مهاجرة الحبشة قبل ذلك بسنتين سائرهم وكان هؤلاء آخر من بقي بها منهم"[3].

وقال ابن حزم[4] بعد تعداده لأسماء من قدم مع جعفر: "وقد أتى سائر مهاجرة الحبشة قبل ذلك بسنتين، وكان هؤلاء المذكورون آخر من بقي بها "[5].

وكذلك ذكر ابن عبد البر بأن الحرب كانت من أسباب تأخر عودة جعفر وأصحابه فقال: "حالت بينهم وبين رسول الله ﷺ الحرب "[6].

----

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص١٢٩ بتصرف.

(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاث. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها، وولي قضاء لشبونة وشنترين، وتوفي بشاطبة، من كتبه (الدرر في اختصار المغازي والسير) و(الاستيعاب " في تراجم الصحابة)انظر الأعلام، ج٨، ص٢٤٠.

(٣) الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر، تحقيق: شوقي ضيف، لجنة أحياء التراث الإسلامي، القاهر، ص٢١٩.

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبةسنة٣٨٤هـ، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة، وانتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فتمالوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية ليلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها سنة ٤٥٦هـ، أشهر مصنفاته (الفصل في الملل والأهواء والنحل) و(جمهرة الأنساب)وغيرها.انظر الأعلام: للزركلي، مرجع سابق، ج٤، ص٢٥٤.

(٥) جوامع السيرة النبوية: ابن حزم، مرجع سابق، ص١٧٣.

(٦) الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر، مرجع سابق، ص١٤٠.

لم يفصح ابن عبد البر عن المقصود بالحرب وعلى أية حال، فإن كان المقصود بها الحرب التي وقعت بين النجاشي وأهل الحبشة فيبدو أنها كانت قصيرة وهذا ما توحي به رواية أم سلمة، ومعلوم أنها وقعت قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وأما الحرب بين الرسول ﷺ وكفار قريش فإنها لم تمنع بعض مهاجرة الحبشة من القدوم على رسول الله قبل غزوة بدر وبعدها ولما عزم جعفر وأصحابه العودة كان طريقهم البحر الذي لا سلطة للكفار عليه[1].

ويرى أحد الباحثين بأن سبب بقاء جعفر وأصحابه في الحبشة طوال تلك المدة كان من أجل تكوين قاعدة احتياطية للمسلمين وذلك بسبب الحرب الدائرة بين المشركين والمسلمين، فلما انتهى الخطر في اجتياح المدينة بعد الخندق وجاء صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة وبعد الاعتراف الرسمي من كفار قريش بدولة المدينة، وحين اطمأن رسول الله ﷺ إلى المدينة قد أصبحت قاعدة أمينة للمسلمين، وانتهى خطر اجتياحها من المشركين بعث في طلب المهاجرين من الحبشة[2].

ويرى باحث آخر أن سبب بقاء جعفر وأصحابه كان ذلك من أجل مهمة يؤديها المهاجرون في ديار الغربة، تعوض غيابهم عن معارك المسلمين الحاسمة ولئن فاتهم شرف الجهاد في بدر وأُحد والأحزاب وأمثالها فإن حسبهم أنهم في ثغرة من ثغرات الجهاد ونشر الإسلام في مواقع أخرى، ثم ذكر بعض المهام التي من أجلها بقى جعفر وأصحابه ومنها:

١-وصول الإسلام والدعوة إليه في بقاع جديدة في الكون وتبليغ رسالة الله الأخيرة إلى أُناس آخرين.

٢-نقل القرآن وسماع الأحباش لآياته.

---

(١) انظر الهجرة إلى الحبشة: مرجع سابق، ص٤٦، ٤٧ بتصرف.

(٢) انظر المنهج الحركي للسيرة النبوية: مرجع سابق، ص٥١.

٣-كسب النجاشي وأهل الحبشة لصالح المسلمين.

ثم قال: ولا شك أن الحبشة تمثل قوة يحسب حسابها العرب، وللأحباش تاريخ في غزو مكة كما في حادثة الفيل وقريش على صلة بالحبشة والأحباش ووفد قريش للنجاشي محملاً بالهدايا يؤكد هذه الصلة، ولذا فإن كسب النجاشي لصالح المسلمين يقطع الطريق على قريش للاستعانة بالأحباش في سبيل القضاء على قوة المسلمين(١).

مما سبق يتضح أن كلا من العلماء والباحثين قد التمس سبباً في بقاء جعفر وأصحابه ويمكن إجمال ما ذكروه بما يلي:

١-الحرب الدائرة سواء أكانت الحرب الدائرة بين الرسول ﷺ والمشركين أو الحرب الواقعة في الحبشة.

٢-تكوين قاعدة احتياطية للمسلمين في أرض الحبشة.

٣-كسب النجاشي وأهل الحبشة لصالح المسلمين.

٤-تبليغ رسالة الإسلام إلى أُناس آخرين.

وإذا كان جميع ما ذُكر قد يكون السبب في بقاء جعفر وأصحابه في أرض الحبشة طوال تلك الفترة إلا أنني التمس سببا آخر، وهو أن المسلمين عندما هاجروا إلى الحبشة كانوا يبحثون عن مكان آمن للدعوة، وفعلاً فقد وجدوا ما كانوا يبحثون عنه في أرض الحبشة لذلك استطاعوا أن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله فكانت الحبشة أول بلد يصلها الإسلام بعد مكة بسبب هذه الهجرة، وكما أن المهاجرين طوال فترة بقائهم قد حققوا الهدف الذي من أجله هاجروا عندها طلب الرسول ﷺ منهم العودة إلى المدينة للحاق بركب المسلمين هناك، ولعلمه ﷺ أن المسلمين لن يستطيعوا دخول الحبشة ونشر الإسلام بها كما حصل للروم وفارس وذلك بسبب شدة بأسهم لذلك

---

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص١٣١-١٣٤.

قال الرسولﷺ "اتركوا الحبشة ما تركوكم.."[1]

وعندما اطمأن ﷺ أن هذه الهجرة قد حققت الهدف المرجو ولم تكن هناك ضرورة لبقائهم فيها، طلب منهم العودة والله أعلم.



---

(١) اخرجه أحمد: ج٣٨، ص٢٢٦ ، حديث رقم (٢٣١٥٥).

وقال المحقق: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن الشواهد من أجل موسى بن جبير.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

منهج المهاجرين في الدعوة إلى الله بالحبشة

وفيه مبحثان : -

المبحث الأول : المنهج العلمي.

المبحث الثاني : المنهج التطبيقي.

* * * ** * * *

المبحث الأول

المنهـــــج العلمـــــي

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول: الاجتماع وعدم الفرقة.

المطلب الثاني: تحقيق مبدأ الشورى.

المطلب الثالث: الاعتصام بالكتاب والسنة.

المطلب الرابع: اختيار القيادة.

* *   * *   * *

المبحث الأول: المنهج العلمي

لقد كان الصحابة ﷺ أسعد الناس حظاً بتربية النبي ﷺ وأقربهم منه في جميع الأحوال، ولهذا كانوا النواة الصلبة والأساس المتين الذي بني عليه صرح الإسلام وكيانه، فالصحابة هم المكون الرئيس لمادة الإسلام، ويقع على عاتقهم عبء هذا الدين لذلك عمل النبيﷺ منذ أن بعثه الله على تربية أصحابه فكان يجتمع بهم في بداية دعوته في دار الأرقم ليعلمهم الدين ويقرأ عليهم القرآن، وقد كان القرآن الكريم ينزل عليهم ليلفت أنظارهم إلى عظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم، إذ هم حملة الرسالة وحماتها الذين ينبغي أن يتأسوا بحملة الرسالات السابقة وأتباع الرسل، وقد رسم النبي ﷺ منهجاً لأصحابه يسيرون عليه في حياتهم الدعوية، وقد دلَّل التاريخ على نجاح التربية المحمدية للصحابة ﷺ[1]، وقد برز نجاح هذه التربية في مهاجري الحبشة الذين ساروا على نفس المنهج الذي رسمه لهم النبيﷺ فقد ضربت هجرة الحبشة أروع النماذج في التمسك بالدين والمحافظة عليه والعمل على نشره وفي هذا المبحث التالي إن شاء الله سيتم توضيح المنهج الذي سار عليه المهاجرون في الدعوة إلى الله في الحبشة، وذلك من خلال الحوار الذي دار بين النجاشي وجعفر { ، وعلى الرغم أنه لا يوجد ما يدل على أن المهاجرين قد اتخذوا منهجاً معيناً في دعوتهم في أرض الحبشة، إلا أنه كما ذكرت سابقاً يمكن استنتاج المنهج الذي اتبعه المهاجرون في الدعوة هناك في أرض الحبشة من خلال ما ذكرته أم سلمة < في الرواية السابقة، فقد ذكرت بأن المشركين حين علموا بهجرة بعض من أصحاب النبيﷺ إلى أرض الحبشة، واستقروا هناك بعد أن وجدوا الأمن والاستقرار بعث كفار قريش على أثرهم مبعوثين للتفاوض مع النجاشي في تسليم المهاجرين، إلا أن النجاشي لم يصغ إليهم وطلب التأكد من ذلك بنفسه فأرسل إلى المهاجرين ومن خلال المطالب التالية سأبين المنهج العلمي للمهاجرين:

---

(١) انظر منهج النبيﷺ في الدعوة من خلال السيرة النبوية: محمد أمحزون، دار السلام، ط٢، ص٩٥-٩٧ بتصرف.

المطلب الأول:
الاجتماع وعدم الفرقة

تقول أم سلمة < : "ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمناه، وما أمرنا به نبيناً ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن "(١)

من خلال ما ذكرته أم سلمة < يتبن أن المنهج الذي سار عليه المهاجرون هو(الاجتماع وعدم الفرقة) ويتجلى هذا المنهج من تصرف المهاجرين، وذلك حين أرسل إليهم النجاشي ليسألهم عن سبب نقمة قومهم منهم، فقد اجتمع المهاجرون مع بعضهم لينظروا ماذا يفعلون في هذا الأمر الذي حل بهم، وهم بذلك يسيرون على نفس المنهج الذي تعلموه من النبي ﷺ حيث أمرهم باجتماع الكلمة، وعدم الفرقة فقال: "إنَّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقةً، وإنَّ أُمَّتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقةً كُلُّها في النَّار، إلَّا واحدة وهي الجماعةُ"(٢).

وقال ﷺ: "اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه"(٣).

وقد أمر الله ﷻ المسلمين بالتمسك بالجماعة واجتماع الكلمة وعدم الفرقة، فقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾(٤)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : "وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي

---

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، ج٣، ص٣٠٨، حديث رقم (٣٢٤٢)
قال الألباني: (صحيح).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام، باب كراهية الاختلاف، ج٧، ص٧٧٣، حديث رقم (٢١٦٧).

(٤) سورة الأنعام: الآية (١٥٣).

الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً للقوم المجتمعين أنفسهم، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يَزِنُون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنه أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين، والاجتماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة "[1].

فإذا تأمل المسلم في عبادته فإنه يجد أن معظمها يقوم على الجماعة فالمسلمون يجتمعون في صلاتهم وفي صومهم وفي حجهم، لذلك حث الإسلام على لزوم الجماعة، فاجتماع الكلمة وعدم الفرقة خير منهج رسمه الدين الإسلامي وأمر به وأكد عليه فهو حجر أساس في بناء الأمة وسبب في عزتهم ونصرهم وقوتهم، كما أن في اجتماعهم دليل على تعاونهم على البر والتقوى كما وصّاهم به ربهم ﷻ فقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ"[3].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يوصي بعضهم بعضا بلزوم ا لجماعة يقول ابن مسعود رضي الله عنه في خطبةٍ له: "أيها الناس: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»[4].

----

(١) العقيدة الواسطية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق، أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف الرياض، ط٢، ص١٢٨.

(٢) جزء من الآية (٢) من سورة المائدة.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، ج٨، ص٣٣١، حديث رقم (٩٠٩) وصحيح مسلم "كتاب الأدب، باب المؤمن للمؤمن كالبنيان.ج٤، ص٣١٤، حديث رقم (٦٦٧٧).

(٤) انظر اعتقاد أهل السنة والجماعة في السمع والطاعة: صالح بن فوزان آل الفوزان، دار الشريف، ط٢، ص٢٦، ٢٧.

وقد نهاهم الإسلام عن الفرقة، بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: "من خالف الجماعة شبراً فمات فميتته جاهليَّة "[2].

وقد قال ابن القيّم ~ : «...وقال النبي ﷺ: "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم"[3].

وكان التّنازع والاختلاف أشدّ شيء على رسول الله ﷺ، وكان إذا رأى من الصحابة اختلافاً يسيراً في فهم النُّصوص، يظهر في وجهه حتّى كأنّما فقيء فيه حبُّ الرُّمان، ويقول ﷺ: "أبهذا أُمرتم"[4]». [5]

لقد ضرب المهاجرون إلى الحبشة أروع الأمثلة في اجتماع كلمتهم وتعاونهم مع بعضهم البعض، وهذا كله يدل على الألفة والمحبة بينهم، ويدل كذلك على أنهم يسيرون بجانب بعضهم بعضا في دعوتهم، وأنهم لا يتخذون أي قرار قبل أن يجتمعوا ويتشاوروا فيما بينهم، وهم في فعلهم هذا يحققون مبدأ عظيما من مبادئ هذا الدين وهذا سيتم بيانه في المطلب التالي:



----

(١) جزء من الآية (٤٦) من سورة الأنفال.

(٢) أخرجه أحمد، ج٤، ص٢٩٠، حديث رقم (٢٤٨٧) وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب الصفوف بين السواري، ج٣، ص٢٥٤، حديث رقم (٦٧٩)
وقال الألباني: "وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال (الصحيح)".

(٤) أخرجه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، ج٢، ص٤٣٩، حديث رقم (٢١٣٣)

وقال الألباني: "وهذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث صالح المري، وصالح المري، له غرائب ينفرد بها، لا يتابع عليها ".

(٥) أعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم الجوزية، دار الفكر، ج١، ص٢٥٩.

المطلب الثاني:
تحقيق مبدأ الشورى(1)

اجتمع المهاجرون حين جاءهم رسول النجاشي وتدارسوا الموقف فيما بينهم، وهم في ذلك يسيرون على مبدأ عظيم من مبادئ الدين الإسلامي، وهو مبدأ الشورى وهذا ما كانوا قد تعلموه من رسول الله ﷺ، فقد كانت الآيات تنزل عليهم تحثهم على الأخذ بالمشورة والرأي فيما بينهم فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾(2)

وفي هذه الآية يخبر الله سبحانه عن الحوار الذي دار بينه وبين ملائكة وفي ذلك تعليم للمسلمين، بأن يفتحوا باب الحوار فيما بينهم والأخذ بالمشورة والرأي، فالشورى جزء من منهج الله، الذي نزل من السماء حقاً كاملاً لا يختلف في ذلك اثنان أبداً، ومنهج الله يفي بحاجة الإنسان على مختلف العصور والأجيال، ويحتاج المؤمن إلى أن يعيه ويتدبره كما أمره الله سبحانه وتعالى(3)، وقد كانت الشورى ممارسة وعملاً في الأمم السابقة فقد أخبر الله سبحانه وتعالى على لسان ملكة سبأ حين ألقي إليها كتاب سليمان عليه السلام

---

(١) الشورى في اللغة: مأخوذة من شارَ العسلَ يشُوره شَوْراً وشياراً وشيَارَة ومَشاراً ومَشَارة: استخرجه من الوَقْبَة واجْتَناه، : والشَّارة والشُّورة: الحسن والهيئة واللِّباس، واسْتَشارهُ طلب منه المشُورة. مما سبق يتضح أن الشورى في اللغة تأتي بمعنى الإظهار والاستخراج، ولأهمية الشورى شبهت بالعسل لأهميته لدى الناس، كما أنها تأتي بمعنى الحسن والهيئة، فكأنما المستشار يشير بكلام حسن وجميل، انظر لسان العرب: لابن منظور، مرجع سابق، ج٣، ص٤٩٠، ٤٩١ وانظر القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مرجع سابق، ج١، ص٩٣.

(٢) سورة البقرة: الآية (٣٠).

(٣) انظر ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية: عدنان النّحوي، دار الإصلاح، ص١٢، ١٣.

قولها: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾[1].

كما أن مبدأ الشورى يمكن أن يخرج عن إطاره الإيماني، إذ قد يستخدم على حسب الهوى، ويخرج عن المقصود الذي شرع من أجله، فإذا لم تؤد الشورى إلى الهداية إلى طريق الصواب، فهذا دليل على الضلالة وعدم الهداية إلى طريق الحق ومن ذلك استشارة فرعون ملأه في أمر موسى عليه السلام فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾[2]

وقد نزلت سورة في وقت مبكر من الدعوة في المرحلة المكية يعلم بها الله سبحانه وتعالى المؤمنين إلى أهمية الشورى في حياة المسلمين قال الله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾[3].

اشتملت هذه الآيات على صفات المجتمع الشوري، فقد عرضت الشورى خلقاً للمؤمن، وخلقاً للجماعة المؤمنة التي اتصفت بصفات أساسية، والتي بدونها لا تقوم الشورى على ما أرادها الله لعباده المؤمنين وأولى هذه الصفات:

١-أن لا تكون الدنيا ومتاعها همَّ هذه الجماعة بل ترى أن ما عند الله خير وأبقى، وهذه سمة ضرورية لصدق الشورى وسلامتها، فالمؤمن الذي ينصح ويشير وهو يرجو ما عند الله من أجر وثواب، وهو مؤمن متوكل على الله، هذا المؤمن ستختلف مشورته عمن شغلته الدنيا فأقبل عليها، وأهمته وأقلقته، فزعزعت ثقته

----

(١) سورة النمل: الآية (٣٢).

(٢) سورة الشعراء :الآية (٣٤-٣٧).

(٣) سورة الشورى: الآية (٣٦-٣٨).

وتوكله على رب العالمين(١).

٢-وسمة أخرى مهمة: « وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ » سمة ضرورية حتى يقبل المؤمن وهو طاهر القلب والجوارح سليماً معافى من الآثام والفواحش، والرجل الذي يقبل وهو يشعر بطهره وصفائه رجل يحسن المشورة، فإذا هي مشورة طاهرة كطهره نقية كنقائه(٢).

٣-وأيضاً...« وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ » سماحة المؤمن الزاهد في الدنيا، المؤمن المتوكل على الله حسن التوكل، المؤمن النقي الطاهر سماحة ضرورية لحياة الجماعة المؤمنة كلها وضرورية لأجواء الشورى(٣).

٤-وسمة أخرى...« وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» استجابة لله، استجابة لنداءاته، استجابة لأحكامه وتشريعه، استجابة لأوامره ونواهيه، استجابة لقرآنه وسنة رسوله ﷺ، استجابة عامة شاملة لمنهاج الله الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، وهذه الاستجابة لا تتحقق إلا بشرطين: صدق الإيمان والنية، ومطابقة الاستجابة لمنهاج الله(٤).

فإذا صحت الاستجابة كان من أهمها العبادة وعلى رأسها الصلاة، فلم ترد الصلاة هنا على سبيل الحصر، ولكن لإبراز منزلة الصلاة، ولتوحي بضرورة الاستجابة لسائر العبادات والأوامر والنواهي كما أرادها الله ﷻ في منهاجه(٥).

فإذا صدقت هذه السمات في جماعة مؤمنة عندئذ سوف تمارس الشورى بإيمانها

---

(١) انظر ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية: مرجع سابق، ص٢٠.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) انظر المرجع السابق، ص٢١.

(٤) انظر المرجع السابق، ص٢١.

(٥) انظر المرجع السابق، ص٢١.

وعلمها ونقائها وطهرها وسماحتها وعفوها لذلك جاءت الكلمات الربانية «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» بعد هذا التعداد للصفات، ومع هذا التعريف للجماعة المؤمنة الطاهرة النقية(1).

إن الصفات المذكورة في الآيات السابقة اتصف بها مهاجرو الحبشة، فقد تركوا متاع الدنيا وراء ظهورهم، وهاجروا إلى الحبشة استجابة لأمر الله ورسولهﷺ لذلك وفقوا للرأي الصواب حين اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم بما سيقولونه للملك حين يسألهم.

ثم يأتي دور السنة فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه الأخذ بالمشورة والرأي، ويعطيهم من نفسه القدوة في ذلك، والسنة النبوية مليئة بالمواقف التي يتجلّى فيها مبدأ الشورى، ومن الأمثلة على ذلك استشارته في أسرى بدر في حديث طويل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "... فلمّا كان يومئذٍ، والتقوا، فهزم الله عز وجل المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً، وأُسر منهم سبعون رجلاً، فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر، فقال أبو بكر: يا نبيَّ الله، هؤلاء بنو العمَّ والعشيرة والإخوان، فإنني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوةً لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضداً، فقال رسول اللهﷺ: "ما ترى يا ابن الخطاب؟"قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكنني أرى أن تمكنني من فلان قريباً لعمر فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان، أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وقادتهم.فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبوبكر، ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء "(2).

وهكذا كان هدي القرآن الكريم، وتوجيهات النبيﷺ في أفعاله وأقواله في أمر

---

(1) انظر ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ص22.

(2) مسند أحمد: ج، ص334، 335 حديث رقم (208)، وقال المحقق: إسناده حسن، رجاله رجال الصحيح.

الشورى، وهكذا كان أمر المهاجرين في أرض الحبشة شورى بينهم تصديقاً لقوله ﷻ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1].

وما ذلك إلا لأنهم يعلمون أن كل أمر يتم عن طريق الشورى هو أدعى إلى نجاحه، لأنه يضم خلاصة عقول كثيرة، ولأنه من المستبعد أن يجتمعوا على ضلالة تصديقاً لقول النبي ﷺ: "إن الله لا يجمع أُمتي أو قال: أُمَّةَ محمدﷺ-على ضَلاَلَة، ويد الله مع الجماعة، ومن شَذَّ، شَذَّ إلى النَّار "[2].

وتبدو كذلك مظاهر السمو في السير على المنهج الصحيح والتمسك به في كون المهاجرين لم يختلفوا، بل أجمعوا على رأي واحد، ألا وهو أن يعرضوا الإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ، كائناً في ذلك ما هو كائن، وعزموا على عرض الإسلام بعزة، وإن كان في ذلك هلاكهم. وهذا ما سيتم بيانه في المطلب التالي.

---

(١) جزء من الآية (٣٨)من سورة الشورى.

(٢) أخرجه أبي الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ج٢، ص٤٥٨ ، حديث رقم (٢١٦٧) قال أبو عيسى: هذا حديث من هذا الوجه، وقال الألباني: صحيح دون «ومن شَذَّ».

المطلب الثالث:
الاعتصام[1] بالكتاب والسنة

وقد ظهر تمسك المهاجرين بالاعتصام بالكتاب والسنة حين لم يختلفوا، واجتمعوا على رأي واحد، وذلك بأن يعرضوا الإسلام كما تعلموه، وكما أمرهم به رسول الله ﷺ، تقول أم سلمة < وهي تذكر ما قاله المهاجرون حين اجتمعوا: "ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبيُّنا كائنا في ذلك ما هو كائن "[2]

قال الإمام ابن كثير ~ : «أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرّق والأمر بالاجتماع والائتلاف، كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ: " إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ"»[3][4].

ولا شك أن التمسك بالكتاب والسنة أصل للنجاة في الدين والآخرة، كما أن الاعتصام بالله تعالى سبب في الهداية إلى الصراط المستقيم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[5].

----

(١) العصمة في كلام العرب: المنع وعصم، عصمته يعصمه عصماً: منعه ووقاه، والاسم العصمة قال الزجاج: أصل العصمة الحبل، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه، مما سبق يتضح بأن الاعتصام في اللغة يأتي بمعنى المنع، والتمسك بالشيء، انظر لسان العرب: لابن منظور، مرجع سابق، ج٤، ص٣٥٤، ٣٥٥.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٥.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الأحكام، باب إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، ج٣، ص٢١٣، حديث رقم (٤٥٠١).

(٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق ، ج١، ص٣٦٧.

(٥) جزء من الآية (١٠١)من سورة آل عمران.

لقد كان تمسك المهاجرين بعقيدتهم وإصرارهم عليها، والإفصاح بها دون خوف أو تردد سبباً في نجاح دعوتهم، ونصرهم على عدوهم إن قطع المهاجرين لتلك المسافات الطويلة، وتركهم للأهل والوطن، وتمسكهم بمنهجهم كل ذلك جعل النجاشي ينظر إلى هذا الدين نظرة ثاقبة، لما رآه من موقف المهاجرين من دينهم، وتضحيتهم من أجله، وهذا يدل على عظمة هذا الدين الأمر الذي دفعه إلى مزيد معرفة عن هذا الدين الذي جعل معتنقيه يصلون إلى هذا المستوى من البذل، والتضحية، والاعتصام به.

لقد كان اجتماع المهاجرين ووحدة كلمتهم، بسبب تمسكهم بكتاب الله وسنة نبيهم ﷺ، إلا أن هذه الاجتماع لا بد له من قائد يرعاه ويقوده، حتى لا تحصل الفتنة والتنازع فتفشل ويذهب ريحها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : "يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمِّروا أحدهم "»(١)(٢).

لذلك كان المهاجرون على وعي تام بأهمية اختيار قائد لهم يتولى هذه المهمة العظيمة، وفي المطلب التالي يتم توضيح ذلك.



---

(١) أخرجه أبي داود: كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون، يؤمِّرون أحدهم، ج٧، ص٣٦٣، حديث رقم (٢٣٤٧)

قال الألباني: إسناده حسن صحيح.

(٢) السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لابن تيمية: دار المعرفة، ص٢١٧.

المطلب الرابع: اختيــار القيــادة

إن اختيار القيادة جزء من منهج العمل الدعوي الجماعي، وهذا المبدأ قد أسسته من قبل الدعوة الإسلامية في دار الأرقم حيث اختار النبيﷺ الأشخاص الذين توسم فيهم الاستجابة للدعوة، وأول من اختارهم رسول اللهﷺ ألصق الناس به من آل بيته وأصدقائه فآمنت خديجة < ، وزيد بن ثابت مولاه، وعلي بن أبي طالب، وصديقه الحميم أبو بكر وغيرهم من أصحابه رضي الله عنهم[١].

لقد أخذ الداعية الأول ﷺ على نفسه مسئولية إعداد قيادة يصل بها الفكر إلى أرفع مستويات العقيدة وضوحاً وشمولاً، كما أخذ على نفسه مسئولية حمايتها[٢] لذلك أمر بعضا من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فتحملوا أعباء تبليغ هذه الرسالة عن رغبة منهم، ولو كان ثمن ذلك ترك الأهل والوطن والأقربين، وقد كانوا على وعي تام بأهمية اختيار قائد لهم يقودهم إلى طريق الحق والصواب، سائرين بذلك على نفس المنهج الذي تعلموه من رسول الله ﷺ الذي كان يبلغهم الوحي، وكانوا بالسليقة والفطرة أقدر الناس على تفهم أسلوب النبيﷺ، وكانت صدورهم أكرم وعاء طاهر نقي صاف يعي، ويحفظ ما جاء به الوحي الأمين، وكانت عقولهم وقرائحهم نقية صافية واسعة الفهم عميقة الإدراك، وقد ظهر ذلك جلياً في المناقشة التي دارت بين النجاشي وجعفر رضي الله عنه، الذي شرح له حقيقة هذا الدين كما تعلمه من النبيﷺ في مرحلة تربية القيادة بمدرسة الأرقم بن أبي الأرقم[٣].

---

(١) انظر التخطيط للدعوة الإسلامية: عبد رب النبي علي أبو السعود، تقديم محمد الأحمدي، مكتبة وهبه، ط١، ص١٤٧.

(٢) انظر الدعوة الإسلامية في عهده المكي: رءوف شلبي، مرجع سابق، ص٢٠١.

(٣) انظر الدعوة الإسلامية في العهد المكي: مرجع سابق، ص٢٠٤، ٢٠٥ بتصرف.

لقد تم اختيار جعفرﷺ من قبل المهاجرين ليتحدث باسمهم بين يدي الملك، وليتمكن من مواجهة داهية العرب عمرو بن العاص، وقد كان سبب اختيارهم لجعفر، وذلك لما امتازت به شخصية جعفر من مميزات جعلته يتقدم للقيام بهذه المهمة العظيمة ومنها:

١-جعفر بن أبي طالب من ألصق الناس برسول الله ﷺ، فقد عاش معه في بيت واحد، فهو أخبر الناس بقائد الدعوة، وسيد الأمة من بين كل المهاجرين إلى الحبشة(١).

٢-إن هذا الموقف الذي وقفه جعفر بين يدي النجاشي يحتاج إلى بلاغة وفصاحة، وبنو هاشم قمة قريش نسباً وفضلاً، وجعفر في الذؤابة من بني هاشم، والله تعالى قد اختار هاشماً من كنانة، واختار نبيه من بني هاشم، فهم أفصح الناس لساناً وأوسطهم نسباً(٢).

٣-كذلك فإن الصلة التي تربط جعفر بالنبي ﷺ كان لها دور في اختياره فهو ابن عم رسول الله ﷺ، وهذا الأمر يجعل النجاشي أكثر اطمئناناً، وثقة بما يعرضه عن ابن عمه(٣).

٤-خلق جعفر المقتبس من مشكاة النبوة، وجمال خلقه المنحدر من أصلاب بني هاشم(٤) فقد قال رسول اللهﷺ في حديث طويل لجعفر: "أشبهت خلقي وخلقي"(٥).

---

(١) انظر السيرة النبوية: للصلابي، مرجع سابق، ص٢٠٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٢٠٤.

(٣) انظر التربية القيادية: منير الغضبان، دار الوفاء، ط١، ج١، ص٣٣٥.

(٤) انظر السيرة النبوية: للصلابي، مرجع سابق، ص٢٠٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان...وإن لم ينسبه إلى قبيلة أو نسبه، ج٤، ص٢٦٤، حديث رقم (٩٠٤).

كذلك فإن شخصية جعفر أهلته ليكون قائد المهاجرين، وذلك لما امتازت به هذه الشخصية من صفات جعلته يتولى هذه المهمة العظيمة، فقد كان يمتاز بالذكاء والعلم والحكمة، وقد ظهر ذلك من خلال ما دار بينه وبين النجاشي من حوار.

المبحث الثاني

المنهـج التطبيقـي

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الأسلوب الحسن في عرض الدعوة

المطلب الثاني: الدعوة بالقرآن

المطلب الثالث: العزم على قول الحق والثبات عليه.

* *   **   * *

المبحث الثاني: المنهج التطبيقي

وهنا جاء الدور في تطبيق المنهج الذي تعلموه من رسول الله ﷺ، فقد ضرب مهاجرو الحبشة أروع الأمثلة في التمسك بالحق والإصرار عليه، واتخاذ الأسلوب المناسب في عرض دعوتهم وقد اتخذوا من القرآن المنهاج الذي ينير لهم في مجال دعوتهم، وفي المطالب التالية سيتم توضيح ذلك:



المطلب الأول:
الأسلوب الحسن في عرض الدعوة

لقد عرض جعفر رضي الله عنه الدعوة على النجاشي بالحكمة وبأسلوب حسن تماشياً مع قول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1].

فقد تقدم جعفر بكل ثبات وثقة وألقى خطاباً جلياً مما يدل على قوة الحق الذي أجراه الله على لسانه، فقد استطاع من خلال هذا الخطاب أن يبين مساوئ الجاهلية ويبرز محاسن الإسلام ليترك بعد ذلك الخيار للملك، وقسم خطابه إلى أربع مقاطع كل مقطع يحمل معنى معينا ويهدف من خلاله إلى تحقيق هدف معين.

المقطع الأول: ذكر مساوئ الجاهلية:

"أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف"[2].

وبدأ جعفر في بيان مساوئ دين قومه، فقال إن الذين يتبعون هذا الدين هم على جاهلية، إذ لا يعقل أن يكون الإنسان على علم وبصيرة فيصنع أصناماً ثم بعد ذلك يعبدها، فهي لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وما يصنع هذا إلا من كان في جاهلية جهلاء.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٦٦، ٦٧).

وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

لقد عدد جعفر رضي الله عنه مساوئ عبادة الأصنام وصورها بصورة تأنف منه النفوس ويأبه أصحاب العقول السليمة، وهو في ذلك يلفت أنظار الملك بأن هؤلاء المبعوثين مازالوا على هذه الصورة القبيحة والأخلاق الفاسدة، ومن الملاحظ أن المساوئ التي ذكرها جعفر لا تخلو من الظلم وهو إما ظلم الإنسان نفسه وذلك بعبادة مع الله إلهه آخر قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[2].

ويظلم الإنسان نفسه كذلك حين يرتكب الفواحش، لأنه يعرضها للعقاب، ويظلم الآخرين بقطع الأرحام، والإساءة إلى الجار، وأكل مال الضعيف.

إن ذكر مثل هذه الصور من الظلم عند ملك عادل لا يظلم عنده أحد قد تركت أثراً إيجابيا في نفس النجاشي.

المقطع الثاني: التعريف بشخص النبي ﷺ:

قال جعفر رضي الله عنه: " فكنّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه "[3]

بهذا الخطاب يشير جعفر رضي الله عنه إلى نسبه ﷺ فيذكر بأن هذا النبي ﷺ الذي جاء بهذا الدين ليس كذاباً ولا أفاكاً فهو معروف حسبه ونسبه فهو من أشرف قبائل قريش حسباً ونسباً وجاهاً قال ﷺ: " إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ واصْطَفَانِى مِنْ بَنِى هَاشِمٍ "[4].

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٢٥).

(٢) سورة لقمان: الآية (١٣).

(٣) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٥.

(٤) صحيح مسلم: كتاب فضائل النبي ﷺ، باب فضل نسب النبي ﷺ، ج٤، ص٨٠، حديث رقم(٦٠٠٢).

وأما نسبه عليه الصلاة والسلام فهو من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فهو محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم، واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قُصيّ واسم قُصيّ زيد بن كلاب ابن مُرَّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مدركة عامر بن إلياس بن مُضر ابن نزار بن معدّ بن عدنان[١]

إن نسب سيدنا محمدﷺ لا يختلف النسابون فيه إلى معد بن عدنان كما ذكر إنما اختلف النسابون من عدنان إلى إسماعيل لكنهم أجمعوا على أنه ينتهي إلى إسماعيل[٢].

قال رسول الله ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ"[٣]، وأما عدله وأمانته وعفَّته وصدق لهجته ﷺ فكان آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك مخالفوه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة، ولما اختلف أكابر قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الأسود حكّموا أول داخل عليهم فإذا أول داخل محمدﷺ، وذلك قبل أن يبعث، فقالوا: هذا محمد الأمين قد رضينا به ففرش رداءه ووضع الحجر عليه، وأمر أن تأخذ كل قبيلة بطرف وهو آخذ من تحته ثم أخذه فوضعه[٤]. وقد كان يتحاكم إلى رسول الله ﷺفي الجاهلية قبل الإسلام[٥].

وحتى بعد أن بعثه الله فقد شهد له أعداؤه بالصدق فحين بعث الله نبيه وأمره أن يصدع بما يؤمر به صعد إلى الصفا حتى اجتمع كفار قريش "فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ

---

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٣، ٤.

(٢) انظر محمد رسول الله ﷺ: محمد رضا، مرجع سابق، ص١.

(٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل النبيﷺ، باب مكانتهﷺ يوم القيامة، ج٤، ص٨١، حديث رقم (٦٠٠٤).

(٤) انظر الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، مرجع سابق، ج١، ص١١٨.

(٥) انظر المرجع السابق، ج١، ص١١٨.

كَذِبًا"[1].

فقد اجتمع النضر بن الحارث بكفار قريش وقال لهم: "يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدث أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة... "[2].

"والتقى الأخنس بن شريق بأبي جهل يوم بدر فقال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا، أخبرني عن محمد أصادق أم كاذب، فقال أبو جهل: والله إن محمد لصادق، وما كذب محمداً "[3].

وسأل هرقل عنه أبا سفيان ﷺ، فقال: هل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟قال :لا[4]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺقال :بينا نحن عند رسول اللهﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله أعدل قال رسول الله ﷺ: " وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ"[5].

كما أراد جعفر ﷺ بذلك أن يبين بأن هذا الرسول ﷺ مبعوث من عند الله تعالى، وأن الله قد اختاره من البشر ليكون رسولاً، والله وحده يختار من البشر من يشاء أن يكون نبياً ورسولا قال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ

---

(١) سبق تخريجه ص٩٢.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٩.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: مرجع سابق، ج١، ص١١٩.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء"، ج٦، ص٣٦٠، ٣٦١ حديث رقم (٩٧٨)، وصحيح مسلم: كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، ج٣، ص٢٦٤، حديث رقم (٤٦٣٠).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس، ج٤، ص٥٢٥، حديث رقم (١٣٢٠)، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، ج٢، ص١٢٧، حديث رقم (٢٤٢١).

ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾[(١)].

حيال ذلك فإن عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة لم يستطيعا أن يتفوها بكلمة، لأنهم يعرفون نسب الرسولﷺ حق المعرفة، ويعرفون بأن النبي ﷺحينما دعا إلى هذا الدين لم يطلب على ذلك لا جاهاً ولا ملكاً ولا مالاً.

المقطع الثالث: ذكر محاسن الإسلام:

يعد هذا المقطع من أروع ما ذكره جعفر ﷺ فبعد أن ذكر مساوئ الجاهلية عقَّبها بذكر محاسن الإسلام ليترك الخيار أمام الملك ليرى أي الطريقين أهدى سبيلا، وقد كان هذا مناسباً لما سبق ذكره حين ذكر صفة النبيﷺ فهذا الصادق الأمين قد أتى بدين يدعونا فيه " إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام"قالت أم سلمة < : فعدّد عليه أمور الإسلام[(٢)].

لقد كان تصرف جعفر في غاية الحكمة حيث شرع في ذكر محاسن الإسلام والتي منها:

١-الدعوة إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، والدعوة إلى التوحيد وترك الشرك، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ ﴾[(٣)].

وقد كانت بداية الدعوة، هو الدعوة إلى التوحيد، وذلك لأهمية التوحيد، وقد كان كل نبي أول ما يدعوإليه هو توحيد الله قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

---

(١) سورة الحج: الآية (٧٥).

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) جزء من الآية (٣٦) من سورة النساء.

﴿رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(1).

٢-الأمر بالصلاة والزكاة والصيام قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾(2).

وقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾(3).

٣- الأمر بصدق الحديث:

عَنْ عَبْدِ الله ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا"(4).

٣- أداء الأمانات:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾(5).

٤- صلة الرحم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ(6) مِنْ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللهُ

---

(١) جزء من الآية (٣٦)من سورة النحل.

(٢) سورة النور: الآية (٥٦).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٨٣).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الأدب، باب ما جاء في الصدق والكذب، ج٤، ص٣٢٨، حديث رقم (٦٧٣٠).

(٥) سورة النساء: الآية (٥٨).

(٦) شجن: أي قَرَابةٌ مُشْتَبِكة كاشْتِباك العُرُوق شبَّهه بذلك مجازا واتْسَاعا، وأصلُ الشُّجنة بالكسر والضم: شُعْبة في غُصْن من غُصُون الشجرة.انظر النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير، مرجع سابق، ج٢، ص١١٠٠.

مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ"[1].

٥- حسن الجوار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[2].

٦- الكف عن المحارم والدماء:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا"[3].

وبعد أن ذكر جعفر ﷺ للنجاشي ما أمرالله به شرع في ذكر ما نهى عنه فالإسلام نهى عن:

١- الفواحش ما ظهر منها وما بطن:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[4].

----

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب وصل وصلة الله، ج٨، ص٣٢٠، حديث رقم(٨٧٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ج٨، ص٣٢٩، حديث رقم (٩٠٢) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت، ج١، ص١٠٠، حديث رقم (٨٢).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأضاحي، باب من قال الأضحى يوم النحر، ج٧، ص١٩٠، حديث رقم (٤٥٩)و صحيح مسلم: كتاب الحدود والديات، باب تحريم الدماء والأعراض والأموال، ج٣، ص١٧٧، حديث رقم (٤٣٩٩).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٣٣).

٢-قول الزور قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[(١)].

٣- أكل مال اليتيم:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[(٢)].

٤- قذف المحصنات:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٣)].

المقطع الرابع: إخبار النجاشي بسرعة استجابتهم لأمر الله ورسوله:

قالت أم سلمة < : "فصدقناه وآمنَّا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا"[(٤)].

لقد كان هذا المقطع من خطاب جعفر في غاية الروعة والأهمية فهو يحمل فوائد عظيمة أراد جعفر بها أن يوضح للنجاشي منهج المهاجرين وولاءهم لدينهم ومن هذه الفوائد:

١-سرعة الاستجابة لأمر الله ورسوله "فصدقناه وآمنا به":

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٧٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٣٤).

(٣) سورة النور: الآية (٢٣).

(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٦.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾(1).

٢-الانقياد والطاعة لأوامر الله ورسوله قال الله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾(2).

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾(3).

وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾(4).

المقطع الخامس: توضيح السبب في هجرتهم:

تقول أم سلمة < ما حكاه جعفر رضي الله عنه للنجاشي بقوله: "فعذّبونا وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنّا نستحلُّ من الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك أن نُظلم عندك أيها الملك "(5).

في هذا المقطع بيان للسبب في هجرتهم، وذلك أنه بعد أن آمنوا بالرسالة الجديدة سطا عليهم قومهم وعذبوهم وفتنوهم عن دينهم، وهنا من هذه الفقرة يتضح بأن العذاب والفتنة قد تكون من أقرب الناس، ولكن مع البلاء يكون عظم الأجر فالله ﷻ إذا أحب عبداً ابتلاه، فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت لرسول الله ﷺ: "أي الناس أشد بلاء قال: فقال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فإن

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٢).

(٣) جزء من الآية (٧)من سورة الحشر.

(٤) جزء من الآية (٣٦)من سورة الأحزاب.

(٥) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٦.

كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة "[1].

ثم بعد ذلك أوضح له أنه بسبب سطو قومهم عليهم وفتنتهم اضطروا إلى ترك بلادهم حفاظاً على دينهم، وهاجروا إلى بلاده راجين أن يجدوا عنده الأمن والاستقرار واختاروه دون سواه، وذلك لأنه لا يظلم عنده أحد كما أخبرهم بذلك نبيهم ﷺ، وفي ذلك لفتة للنجاشي بأن لا يستعجل بالحكم عليهم وفيها كذلك مدحاً له بأنه قد وصف بأنه ملك عادل لا يظلم عنده أحد، وقد أحسن جعفر رضي الله عنه في العرض الموجز والذي بدأ بكلمة (أيها الملك) وأنهى كلامه بكلمة (أيها الملك) وهي كلمة تبجيل واحترام، وهي الوحيدة في الفقرات كلها وتلك جمل مفيدة أظهر فيها جعفر براعة فائقة وذكاءً حاداً استطاع أن يؤدي واجب الداعية بحكمة ولباقة[2].

مما سبق يتضح أن خطاب جعفر كان في غاية الذكاء، وقمة المهارة السياسية، والإعلامية والدعوية، فقد استطاع من خلال خطابه أن:

١-يعدد عيوب الجاهلية، ويعرضها بصورة تنفر السامع، وقصد بذلك تشويه كفار قريش في عين الملك، وركز عل الصفات الذميمة، التي لا تنتزع إلا بنبوة[3].

٢-عرض شخصية الرسول ﷺ في المجتمع المملوء بالرذائل، وكيف كان بعيداً عن النقائص كلها، ومعروفاً بنسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فهو المؤهل للرسالة[4].

٣-أبرز محاسن الإسلام، وأخلاقه، التي تتفق مع أخلاقيات دعوات الأنبياء[5].

----

(١) سبق تخريجه ص١١٧.

(٢) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص١١٣.

(٣) انظر السيرة النبوية: للصلابي، مرجع سابق، ص٢٠٥.

(٤) انظر السيرة النبوية: للصلابي، مرجع سابق ، ص٢٠٥.

(٥) انظر المرجع السابق، ص٢٠٥.

٤-فضح ما فعله كفار قريش بهم، لأنهم رفضوا عبادة الأوثان، وآمنوا بما نزل على محمد ﷺ، وتخلقوا بخلقه[١].

٥-أحسن الثناء على النجاشي بما هو أهله، وبأنه لا يظلم عنده أحد، وأنه يقيم العدل في قومه[٢].

٦-ثم أوضح له بأنهم اختاروه من دون الناس فراراً من ظلم قومهم الذين فتنوهم عن دينهم، وعملوا على تعذيبهم، وبهذه الخطوات البينة الواضحة استطاع التغلب على بلاغة عمرو وفصاحته، واستأثر بلب النجاشي، وعقله، وكذلك استأثر بلب، وعقل البطارقة، والقسيسين الحاضرين[٣].

وعندما طلب النجاشي شيئا مما جاء به محمد ﷺقرأ عليه صدر سورة مريم، وقد كان اختياره لسورة مريم في غاية الحكمة والذكاء، وهذا ما سيتم بيانه في المطلب التالي:



---

(١) انظر السيرة النبوية : للصلابي ، ص٢٠٥.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٢٠٥.

(٣) انظر المرجع السابق ص٢٠٥.

المطلب الثاني:
الدعـــوة بالقـــرآن

لا شك أن الدعوة بالقرآن هي الأصل الذي ينبني عليه غيره، وأنه المعين الذي لا ينضب ولقد جاء في كتاب الله تعالى ما يجلّي أهمية الدعوة بكتاب الله وكلامه في غير ما آية من كتاب الله ذلك أن القرآن هو الداعي الأول إلى معرفة الله ﷻ وذلك من خلال تلك الآيات القرآنية المقروءة فهو الكتاب الذي خاطب الله به خلقه وعباده وأرشدهم به إلى التوحيد والهداية فهداهم إلى الصراط المستقيم وأسعدهم في الدنيا قبل الآخرة.

قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[(1)].

وقال ﷻ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[(2)].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾[(3)].

وقد ربى النبيﷺ أصحابه على التمسك بالقرآن الذي هو دستور حياتهم، وكان الصحابة ﷺ لا يتجاوزون العشر من الآيات حتى يعلموا ما فيها، فعن عطاء عن أبي عبد الرحمن قال حدثنا من كان يقرؤنا من أصحاب النبي ﷺ: "إنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٥١).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠١).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٩).

العلم والعمل قالوا فعلمنا العلم والعمل"[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: " قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ"[٢].

وقد عمل مهاجرو الحبشة على تطبيق المنهج الذي تلقوه من رسول الله ﷺ فكان القرآن هو الأساس الذي اتخذوه في دعوتهم للنجاشي، وهذه الطريقة التي سلكها المهاجرون مع النجاشي قد تعلموها من رسول الله ﷺ في محاورة عتبة بن ربيعة، قال ابن إسحاق ~ : "إن عتبه بن ربيعة وكان سيّداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلِّمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء ويكف عنا؟وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا يا أبا الوليد قُم إليه فكلِّمه فقام إليه عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منّا حيث قد علمت من السِّطه[٣] في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به منّ مضى من آبائهم فاسمع منِّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: يا بن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد به شرفاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي

---

(١) أخرجه أحمد، ج٥، ص٤١٠، قال المحقق: "إسناده حسن ".

(٢) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ج٢، ص٢٨٤، حديث رقم(٢٩٢٢).

(٣) فَالسّطَةُ مِنْ الْوَسَطِ مَصْدَرٌ كَالْعِدَةِ وَالزّنَةِ وَالْوَسَطُ مِنْ أَوْصَافِ الْمَدْحِ وَالتّفْضِيلِ وَلَكِنْ فِي مَقَامَيْنِ فِي ذِكْرِ النّسَبِ وَفِي ذِكْرِ الشّهَادَةِ، أَمّا النّسَبُ فَلِأَنّ أَوْسَطَ الْقَبِيلَةِ أَعْرَفُهَا، وَأَوْلَاهَا بِالصّمِيمِ وَأَبْعَدُهَا عَنْ الْأَطْرَافِ وَالْوَسِيطِ وَأَجْدَرُ أَنْ لَا تُضَافَ إلَيْهِ الدّعْوَةُ لِأَنّ الْآبَاءَ وَالْأُمّهَاتِ قَدْ أَحَاطُوا بِهِ مِنْ كُلّ جَانِبٍ فَكَانَ الْوَسَطُ مِنْ أَجَلّ هَذَا مَدْحًا فِي النّسَبِ، انظر الروض الأنف، مرجع سابق، ج١، ص٣٢١.

يأتيك رئياً[1] تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطبَّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرءك منه فإنه ربما غلب التابع[2] على الرجل حتى يُداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول اللهﷺ يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟قال: نعم قال فاسمع منّي قال: أفعل فقالﷺ: " بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾[3] ثم مضى رسول اللهﷺ يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول اللهﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أنّي قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطُّ ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فو الله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تُصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزّكم وكنتم أسعد الناس به قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدالكم "[4].

هكذا كانت دعوتهﷺ فهو يبتدر دعوته بالقرآن الكريم فهو أقوى أثراً من

---

(١) الرئى: جِنِّي يَعْرض للرّجل يُريه كهانةً وطِبّاً، انظر تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، ج١٥، ص٢٢٨.

(٢) التابع: جنّي يتْبع المرأة يُحبُّها. والتابعة جِنِّيَّةٌ تتْبع الرجُل تُحِبُّه، انظر النهاية، مرجع سابق، ج١، ص٤٧٨.

(٣) سورة فصلت: الآية (١-٦).

(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٤، ٢٣٥.

الأقوال المجردة من البشر أياً كانوا قال الله ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

ولقد ظهر ذلك في الرواية السابقة حيث وقع القرآن موقعه في قلب أبي الوليد ولكن الكبر والإعراض عن الحق منعه من الإيمان.

وفي الحوار الذي دار بين جعفر والنجاشي { ليدل على مدى تطبيق جعفر لمنهج النبيﷺ في دعوته ويدل كذلك على مدى تأثر النجاشي بما سمع من جعفر فحين رأى جعفر أن النجاشي بدأ يقتنع بكلامه وطلب منه أن يثبت له صدق ما ذكر فقال له: هل معك مما جاء به من عند الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من "كهيعص"[2].

وقد كانت هذه فرصة أخرى لجعفرؓ لشرح الإسلام وهو موقف دعوي لا ينبغي أن يمر بدون الاستفادة منه فلم يتردد أن قال: نعم فقرأ عليه صدراً من "كهيعص"، إن اختيار جعفر سورة مريم اختيار حكيم وقع موقعه ويدل على فقه الدعوة لدى جعفر، ونباهته، فإنه اختار للنجاشي وأساقفته أكثر الآيات تأثيراً للنصارى، وأقواها على الإقناع، وأراد أن يبين لهم أن الدين الجديد ليس غريبا على النصارى، فالنبي ﷺ الذي بعثه الله بهذا الدين قد جاءت البشارة به في كتبهم قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾[3].

بل أوضح لهم بأن الكتب السماوية والقرآن شيء واحد فهي من عند الله، وبأن عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ رسولان كريمان وأخوان في الرسالة الإلهية، أرسلهما الله رحمة

----

(١) سورة الحشر: الآية (٢١).

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٦.

(٣) سورة الصف: الآية (٦).

للعالمين وهداية للبشرية(١).

لقد اختار جعفر الآيات التي تتحدث عن زكريا وعن عيسى ابن مريم عليه السلام، ليثبت الوحدانية لله وحده فكما أن الله قد وهب لزكريا وامرأته يحي، وكانت امرأة عقيما، وقد بلغ من العمر عتيا، فهو قادر أن يهب لمريم غلاماً دون أن يكون له أب، وليكون آية للناس، وأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآيات: "لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجه ولداً زكياً طاهراً مباركاً عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرهما في آل عمران وههنا وفي سورة الأنبياء يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه وأنه على ما يشاء قادر "(٢).

لقد أراد جعفر في قرأءته لهذه الآيات أن يبين للنجاشي وأساقفته الخطأ الذي وقعوا فيه من تأليههم لعيسى ابن مريم مع أن عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم قال الله تعالى:

﴿كٓهيعٓصٓ (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ
رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّى خِفْتُ
ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ
وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧)
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ
كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن
سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً

---

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: ص١١٤ بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق،ج٣،ص١٢٠.

وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ
حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ
أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا
﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا
﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ
قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ
إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا
فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ
جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ
قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى
مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا
شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ
ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾
وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

إن عبقرية جعفر في حسن اختيار الموضوع، والزمن المناسب، والقلب المتفتح، والشحنة العاطفية، أدت إلى أن يربح الملك إلى جانبه[2] فقد كان اختياره لسورة مريم في غاية الروعة والتأثير، فقد بكى النجاشي وأساقفته حتى بللوا لحاهم، لقد كان النجاشي على العقيدة الصحيحة لذلك حينما سمع من جعفر قراءته للآيات التي تتضمن قصة عيسى وأمه مريم عليهما السلام قال: "إن هذا والذي جاء به عيسى

---

(١) سورة مريم: الآية (١-٣٦).

(٢) انظر التربية القيادية: مرجع سابق، ج١، ص٣٣٧.

ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا أسلمهم إليكما، ولا يكادون "[1].

إن الجولة الأخيرة من المناظرة قد كشفت مدى تمسك المهاجرين بالمنهج الذي تلقوه من الرسول ﷺوعلى مدى تطبيقهم له فقد أعلنوا معتقدهم في عيسى ابن مريم، وبدون خوف من أحد وهذا ما سيتم بيانه في المطلب التالي:



(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٦.

المطلب الثالث:
العزم على قول الحق والثبات عليه

لقد ضرب مهاجرو الحبشة أروع الأمثلة في قول الحق والثبات عليه، فلم يثنهم هيبة الموقف في الإفصاح عن الحق ولو كان في ذلك ما يغيظ الكثيرين أو يقضي على كل ما حققوه من مكاسب[1]إن هذا الموقف المشرف من المهاجرين يدل على أنهم يسيرون على المنهج الصحيح الذي تلقوه من النبيﷺ وهم بمكة، فلقد رباهم النبيﷺ على الثبات على المبدأ والصلابة في الحق، وعدم التنازل ورفض أي شكل من أشكال المساومات في قضايا الدعوة، لقد ظل رسول الله ﷺ وهو القدوة الحسنة لهم صامداً أمام الإغراءات والعروض فلم ينثنِ ولم يتراجع أما التحديات وأساليب التهديد والترهيب التي مارسها إزاءه المشركون فلم يساوم قط في دينه وهو في أحرج المواقف العصيبة في مكة وهو محاصر بدعوته[2].

ولقد كانت الآيات تتنزل عليهم لترشدهم إلى سلوك المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يسلكوه وتعطيهم العظة والعبرة في ذكر أحوال من قبلهم وكيف أنهم فتنوا في دينهم ولكنهم ثبتوا وصبروا فكانت لهم العزة والغلبة فهذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليه السلام اجتمعت عليه أكثر هذه الأمور...تآمر عليه أقرب الناس إليه، وتغرّب عن بلده، وذاق مرارة الرق، وآثر السجن على الفتنة في الدين... وابتُلي وصبر، إذاً فالابتلاء سنة الله الجارية لتمحيص أوليائه، فهو دليل الكرامة لا الإهانة، وهو عنوان الصدق في الإيمان، ومع ما حملته القصة من التسلية والتثبيت، حملت أيضاً البشارة بأن العاقبة سوف تكون لهم، وأنها العزة والتمكين، جاء ذلك تلميحاً من خلال ما آل إليه أمر يوسف، وتصريحاً[3] في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا

(١) انظر المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير الغضبان، مرجع سابق، ص٧٢ بتصرف.

(٢) منهج النبيﷺ في الدعوة: محمد أمحزون، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٣) انظر أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي المدينة المنورة، ط١، ج١، ص٢٣٩.

لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1].

أما سبب التمكين لنبي الله يوسف عليه السلام هو التوحيد الخالص، الذي ترتكز عليه الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام فيوسف عليه السلام لازم ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فأتم الله نعمته عليه كما أتمها عليهم[2].

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[3].

وقد نزلت سورة في وقت مبكر من الدعوة ذكر فيها سبحانه وتعالى قصة مجموعة من الفتيان تولاهم الله وأشاد بهم في كتابه حامداً صنيعهم وبين سبحانه مظاهر ولايته لهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[4].

فتجلت ولايته لهم بأن زادهم إيماناً وربط على قلوبهم... ثم ذكر سبب هذه الولاية فقال: ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[5].

إذاً سبب ولاية الله لهؤلاء الفتية هو تمسكهم بالتوحيد، ولو أدى بهم الحال إلى الفرار من الأهل والوطن في سبيل المحافظة عليه، لقد كان لهذه القصة عظيم الأثر على المهاجرين الذي دفعهم إلى الثبات على الحق حفاظاً على معتقدهم، فقد كانوا يجدون في هذه القصة الأُنس وحسن العزاء، مما يزيد في ثباتهم وتطلعهم إلى فَرَج الله،

(١) سورة يوسف: الآية (٥٦، ٥٧).

(٢) انظر أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: مرجع سابق، ج١، ص٢٣٩.

(٣) جزء من الآية (٣٧) والآية (٣٨) من سورة يوسف.

(٤) جزء من الآية (١٣) و(١٤) من سورة الكهف.

(٥) جزء من الآية(١٤) من سورة الكهف.

وإذا كان التوحيد الخالص، ومجانبة الشرك هو الركن الأهم في استجلاب ولاية الله للفتى يوسف عليه السلام، ولفتيان الكهف، نجد أن الله تعالى جعله الشرط الأهم لولايته للجماعة المسلمة[1]، بيّن ذلك قولُه:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾[2].

لقد كان موقف المهاجرين أثراً واضح من آثار التربية النبوية فقد تحملوا المشاق في سبيل هذا الدين، وعملوا على المحافظة على معتقدهم، والعمل على تطبيق المنهج الصحيح الذي تلقوه من رسول الله ﷺ في واقع حياتهم، فقد تعرضوا للفتنة وهم في مكة مما دفعهم للهجرة إلى الحبشة من أجل المحافظة على دينهم ولم يقترفوا أي أخطاء تجاه قومهم إلا لأنهم قالوا ربنا الله قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾[3].

لقد كان المهاجرون مثالاً تطبيقياً لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾[4].

وفي أرض الحبشة تعرضوا مرة أخرى للفتنة في الدين، ولكنهم ثبتوا ولم يتخاذلوا ولم يتهاونوا ونصروا الله حينما قالوا بأن عيسى ابن مريم إنما هو عبد الله ورسوله، أثبتوا القول الحق بأن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ

---

(١) انظر أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: مرجع سابق، ج١، ص٢٣٩.

(٢) سورة النور: الآية (٥٥).

(٣) سورة فصلت الآية (٣٠).

(٤) سورة محمد: الآية (٧).

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾[1] فنصرهم الله حينما أجرى الحق على لسانهم، وثبتهم على الحق في مكان يعتقد فيه غير ذلك، وفي مثل هذا الموقف، ونصرهم الله حينما أنطق الحق على لسان الملك، وأخرس عدوهم وكان هذا نصراً عزيزا لهم، وثبت الله أقدامهم حين منحهم النجاشي الأمان في بلاده، وأخذل عدوهم، وفي هذا فائدة بأن الذي يصبر على دعوة الحق ينصره الله على عدوه ويثبت مبادئه وإن كان في غير بلاده قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[3].

لقد كان موقف جعفر وإخوانه المهاجرين مثالاً تطبيقياً لقول النبي ﷺ: "من التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الله بسخط الله، وكله الله إلى الناس"[4] فقد التمسوا رضا الله ﷻ، وأظهروا المعتقد الحق في عيسى ابن مريم عليه السلام، مع إن الظاهر في الأمر أنه يترتب عليه في مثل هذه القضية سخط النصارى، وهم الذين لهم الهيمنة عليهم، فكانت النتيجة أن الله سخر لهم قلب ملك الحبشة، حتى نطق بالحق الموافق لدعوة النبي ﷺ، مع مخالفته الصريحة لمعتقد أهل الحبشة في ذلك الوقت[5].



---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠١).

(٢) سورة القصص: الآية (٥) وجزء من الآية (٦).

(٣) جزء من الآية (٢) والآية (٣)من سورة الطلاق.

(٤) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب منه، ج٢، ص٥٧٠، حديث رقم (٢٤١٤) قال الألباني: صحيح.

(٥) انظر التاريخ الإسلامي مواقف وعبر: عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة مصر، ج٢، ص١٠٥.

الفصل الخامس

الفصل الخامس

آثار الهجرة إلى الحبشة والدروس المستفادة منها

وفيه مبحثان : -

المبحث الأول: آثار الهجرة إلى الحبشة.

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من الهجرة.

* *   * ** *   * *

الفصل الخامس: آثار الهجرة إلى الحبشة والدروس المستفادة منها

مما لا شك فيه أن للهجرة إلى الحبشة أثراً واضحاً، وسواء كان هذا الأثر متعلقا بالمهاجرين أنفسهم، أو بكفار قريش أو بأهل الحبشة، فقد استطاع المهاجرون من خلال هذه الهجرة ترك آثار عظيمة وحققوا نجاحاً كبيراً تعود فائدته ليس فقط لأنفسهم وإنما للإسلام والمسلمين، فقد قاموا بجهود عظيمة في نشر الدعوة طوال فترة بقائهم في أرض الحبشة، ويمكن أبراز ما حققه المهاجرون من نجاح في هذه الهجرة وما تركته هذه الهجرة من آثار من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول

آثار الهجرة إلى الحبشة

<u>ويشتمل على ثلاثة مطالب</u> :

المطلب الأول: آثار الهجرة على المهاجرين.

المطلب الثاني: آثار الهجرة على كفار قريش.

المطلب الثالث: أثار الهجرة على أهل الحبشة.

* *   * *   * *

المطلب الأول:
آثار الهجرة على المهاجرين

لقد كانت لهذه الهجرة آثارُ واضحة على المهاجرين فقد تغير مجرى حياتهم فمن تعذيب واضطهاد وافتتان في الدين، إلى أمن واستقرار وحرية في العبادة ليس هذا فحسب وإنما حققوا من خلالها أهدافاً سامية، فلم يكن الغرض من هذه الهجرة الفرار من التعذيب فقط وإنما كان الهدف منها هو الحفاظ على الدين من الافتتان والقيام بنشره، إذ إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية فكان من الواجب نقلها إلى خارج مكة فهي ليست دعوة مقتصرة على قريش فقط أو للعرب خاصة، وإنما دعوة عالمية تشمل البشرية جمعاء إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم، ومن هذا المنطلق استطاع المهاجرون بهجرتهم إلى الحبشة أن ينقلوا هذه الدعوة إلى خارج مكة، فكانت الحبشة أول بلد تصلها الدعوة وكما أن المهاجرين هم أول فوج إسلامي يقوم بنشر الدعوة خارج الجزيرة العربية والدعوة ما زالت في بدايتها، وهذا يدل على أهمية هذه الهجرة وعلى أهمية ما تركته من آثار.

وبالنظر إلى ما تركته هذه الهجرة من آثار فإنه يتبين أن أثرها قد ظهر على المهاجرين منذ أن أمرهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فحين اشتد البلاء على المسلمين وأمرهم بالهجرة قال لهم: بأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، عندها هاجر بعض أصحاب النبي ﷺ وهم متيقنون بأنهم لن يُظلَموا كما ظُلِموا بمكة بسبب سطو كفار قريش عليهم وقد كان الله معهم وصدق الرسول ﷺ بما أخبرهم به عند هجرتهم فكان لهم النصر والغلبة على عدوهم قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةًۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

إن المتتبع لأحداث الهجرة سواء أكانت الأولى أم الثانية يظهر له أثر هذه الهجرة

---

(١) سورة النحل: الآية (٤١).

فعندما خرج الفوج الأول من المهاجرين والبالغ عددهم اثنا عشر رجلاً حاملين معهم أطفالهم ونساؤهم، لم يلبث هؤلاء إلا وتبعهم أصحاب الهجرة الثانية فلو لم تترك الهجرة الأولى من أثر على المهاجرين الأولين لما رجعوا مرة ثانية إلى هناك ولما تبعهم أصحاب الهجرة الثانية حتى اكتمل عددهم اثنين وثمانين رجلاً سوى الأطفال والنساء، فخروج مثل هذا العدد من المسلمين وبقاء بعضهم قرابة أربعة عشر عاماً، ما هو إلا دليل على أنهم وجدوا في أرض الحبشة المكان الآمن الذي أمنوا فيه على أنفسهم ودينهم ووجدوا في أرض الحبشة البيئة الصالحة للدعوة، ويمكن توضيح أثر هذه الهجرة على المهاجرين بالآتي:

أولاً: الحفاظ على الدين، فقد استطاع المهاجرون أن يحافظوا على دينهم بعد أن تعرضوا للفتن، فالمحافظة على الدين أمر مطلوب ويجب أن يبذل من أجله كل غال ورخيص، وإن كلف ذلك ترك الأهل والوطن، فقد شرعت الهجرة من اجل ذلك فمن خاف الفتنة في دينه أولم يستطع إظهار شعائر دينه شرع له الهجرة والانتقال إلى بلد آخر يستطيع فيها الأمن على دينه كما فعل المهاجرون وقد ذكرت فيما مضى الأحكام المتعلقة بذلك(١) فقد جعل الشارع الحكيم الحفاظ على الدين الذي هو أهمُّ الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها ومنع الاعتداء عليها، وهي(الدّين والنَّفس والعقل والمال والنَّسب)(٢) وهذه المقاصد قد ذكرها الله في سورة المائدة، فأما حفظ الدين فقد ذكر ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾(٣) وقد قدر الإسلام ما للدين من أهمية في حياة الإنسان حيث يلبي النزعة الإنسانية إلى عبادة الله، ولما يمد به الإنسان من

----

(١) انظر المبحث الثالث: أحكام الهجرة (التمهيد).

(٢) انظر الانتصار لأهل السنة والحديث: عبد المحسن بن حمد البدر، ج١، ص٤٣.

(٣) سورة المائدة: الآية (٥٤).

وجدان وضمير، ولما يقوى في نفسه من عناصر الخير والفضيلة، وما يضفي على حياته من سعادة وطمأنينة نظرا لتلك الأسباب كلها كان الدين ضرورة حياة بالنسبة للإنسان[1]، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] ولذا يقول برجستون لقد وجدت - وتوجد -جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة ونظرا لتلك الاعتبارات حافظت شريعة الإسلام على الدين[3] وحثت أفراده على الثبات عليه والحرص أن يموت المسلم على الإسلام قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[4] وقد تكفلت الشريعة بحفظه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[5] ولا يمكن حفظ الدين إلاّ بحفظ أهله[6]، ولذلك قال النبي ﷺ: " لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى قَائِمَةً بِأَمْرِ الله لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ"[7] وقد عمل النبي ﷺ بما يحفظ هذا الدين بأن أمر أصحابه رضي الله عنهم الذين هم مادة الإسلام ومكونها الرئيس بالهجرة إلى الحبشة وذلك من أجل المحافظة على دينهم، وقام المهاجرون بما يكفل لهم حفظ دينهم وذلك بالابتعاد عن مواطن الفتن كما عملوا على نشره وتبليغه، فتكفل الله بحفظ

----

(١) انظر مقاصد الشريعة الإسلامية: مجموعة كتب من موقع الإسلام، ص٧.

(٢) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٣) انظر مقاصد الشريعة الإسلامية: مجموعة كتب من موقع الإسلام، ص٧.

(٤) سورة البقرة: الآية (١٣٢).

(٥) سورة الحجر: الآية (٩).

(٦) شرح الأصول الثلاثة: خالد بن عبد الله بن محمد المصلح، ج٨، ص٦.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الجهاد، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، ج٣، ص٤٠٠، حديث رقم (٤٩٩٣).

دينهم، وصدق رسول اللهﷺ حيث قال: " احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف "[1].

ثانياً: الحصول على المكان الآمن[2]، فقد وجد المهاجرون في أرض الحبشة المكان الآمن الذي أمنوا فيه على دينهم وأنفسهم وأهليهم، فأحسوا بالطمأنينة والاستقرار بعد الخوف والقلق وعدم الاستقرار تقول أم سلمة < : " لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه "[3]

وعند ابن حبان ~ قال: "حتى قدموا أرض الحبشة وأقاموا بها على الطمأنينة"[4].

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) أخرجه الترمذي: ج٤، ص٦٦٧، حديث رقم (٢٥١٦)، وأخرجه أحمد: ج١، ص٢٩٣، حديث رقم (٢٦٦٩) وقال الألباني: صحيح.

(٢) معنى الأمن في اللغة: ضدُّ الخوف ونقيضه، والأصلُ أن يُسْتَعْمَلَ في سُكُونِ القلب، والأَمانُ والأَمانةُ بمعنى، فالأمن يعني الطمأنينة والاستقرار وعدم الخوف، ويعني الصدق وعدم الخيانة، ولهذا قال ابن فارس: « الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق ».انظر لسان العرب لابن منظور ج١٣، ص٢١، انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ج١، ص١٥١٨،انظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص٩٠.المقاييس في اللغة لابن فارس ، ج١، ص١٣٣.

ومعنى الأمن في الاصطلاح قريب من المعنى اللغوي، فقد عرفه المتقدمون بقولهم: هو عدم توقع مكروه في الزمان الآتي، وهذا فيه معنى الطمأنينة والاستقرار. انظر التعريفات للجرجاني ص٥٥، وانظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص٩٠.

(٣) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٤.

(٤) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: لابن حبان، دار الفكر، ط٢، ص٧٧.

لقد كان من أهم أسباب الهجرة إلى الحبشة هو البحث عن المكان الآمن الذي يأمن فيه المهاجرون على أنفسهم ودينهم بعدما افتقدوا ذلك بمكة، وللأمن أهمية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع والأمة ولهذا ذكره الله إلى جانب الغذاء الذي هو ضروري لحياة الإنسان قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾[1] بل إن الله ﷻ قدمه على الغذاء وذلك لأهميته العظيمة في حياة الإنسان[2] قال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾[3] فقدم الأمن على الطمأنينة، إذ لا تحصل الطمأنينة بدونه[4]، وأشار النبي ﷺ إلى أهمية الأمن، وأن المسلم متى ظفر به فقد ظفر بالدنيا كلها، فقال ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ[5]، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا.)[6]، ويعتبر الأمن مقصداً من مقاصد الشريعة للمحافظة على الضروريات والتي هي (حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل)، وحرمت الشريعة الاعتداء عليها وأوصت بالمحافظة عليها؛ إذ لا يستقيم أمر ابن ادم إلا بها[7] قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ

---

(١) سورة قريش: الآية (٤).

(٢) انظر أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن: عبدالقادر بن ياسين الخطيب، ج١، ص٨ بتصرف.

(٣) سورة النحل: الآية (١١٢).

(٤) انظر التحرير والتنوير: لابن عاشور، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٤٦.

(٥) سرب: يقالُ فُلانٌ آمِن في سِرْبه بالكَسر: أي في نفْسه، وفلان واسعُ السِّرْب: أي رَخِيُّ البالِ، ويُروى بالفَتح وهو المَسْلك والطَّرِيق، يقال خَلِّ سَرْبه: أي طريقه.انظر النهاية، مرجع سابق، ج٢، ص٩٠٣.

(٦) أخرجه الترمذي، ج٤، ص٥٧٤، حديث رقم (٢٣٤٦) وأخرجه ابن ماجه، ج٢،ص(٢٥٣) حديث رقم (١٣٨٧) وقال الألباني: حسن.

(٧) انظر أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن: عبدالقادر بن ياسين الخطيب، مرجع سابق، ج١، ص٨.

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾[١].

وهناك علاقة وثيقة بين الأمن وحفظ هذه الضرورات وأن الاضطراب الأمني والخوف ناشئ عن الإخلال بحفظها، كما أن هناك علاقة قوية بين الأمن والإيمان، فإن المجتمع إذا آمن أمن، وإذا أمن نمى؛ فعاش أفراده مع الأمن حياة طيبة[٢]، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٣]

وصرح الماوردي ~ بأن صلاح الدنيا وانتظام أمرها بستة أشياء، وذكر منها: " أَمْنٌ عَامٌّ تَطْمَئِنُّ إلَيْهِ النُّفُوسُ وَتَنْتَشِرُ فِيهِ الْهِمَمُ، وَيَسْكُنُ إلَيْهِ الْبَرِيءُ، وَيَأْنِسُ بِهِ الضَّعِيفُ، فَلَيْسَ لِخَائِفٍ رَاحَةٌ، وَلَا لِحَاذِرٍ طُمَأْنِينَةٌ"[٤]

فإذا اختل الأمن فستسود الفوضى، ويحل الخوف والاضطراب، وتتغير القيم والأخلاق، وتصبح الأرض مسبعة يأكل فيها القوي الضعيف، وتصبح مقدرات المجتمع بأيدي المجرمين، ويهاجر الناس إلى بلدان أكثر أمناً، وذلك كما فعل المهاجرون حين افتقدوا الأمن هاجروا إلى الحبشة لأنهم في موطنهم الأصلي لم يستطيعوا أداء شعائر دينهم، وذلك لأن اختلال الأمن يؤثر في عبادات الناس التي هي الغاية من خلقهم[٥]. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: " الْأَمْنُ أَهْنَأُ عَيْشٍ، وَالْعَدْلُ أَقْوَى جَيْشٍ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ يَقْبِضُ النَّاسَ عَنْ مَصَالِحِهِمْ، وَيَحْجِزُهُمْ عَنْ تَصَرُّفِهِمْ، وَيَكُفُّهُمْ

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥١، ١٥٢).

(٢) انظر أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن: مرجع سابق، ج١، ص٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية (٨٢).

(٤) أدب الدنيا والدين: الماوردي، ج١، ص١٧٥.

(٥) انظر أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن، مرجع سابق، ج١، ص٨ بتصرف.

عَنْ أَسْبَابِ الْمُوَادِّ الَّتِي بِهَا قِوَامُ أَوَدِهِمْ وَانْتِظَامُ جُمْلَتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْأَمْنَ مِنْ نَتَائِجِ الْعَدْلِ، وَالْجَوْرَ مِنْ نَتَائِجِ مَا لَيْسَ بِعَدْلٍ "[1].

وفعلاً فإن المهاجرين قد وجدوا الأمن عند النجاشي وذلك لاتصافه بالعدل كما أخبر بذلك النبي ﷺ فبسبب عدل النجاشي أمن المهاجرون على دينهم وأنفسهم وأهليهم.

ثالثاً: الحرية الدينية في ممارسة الشعائر التعبدية، إن الناظر في أحوال المهاجرين وهم في أرض الحبشة يجد أنهم كانوا يمارسون شعائرهم التعبدية بكل حرية لذلك حين سألهم الملك عن هذا الدين أجابوا عليه دون خوف من أحد، هذا كله يعكس ما كانوا عليه وهم في مكة فقد كانوا لا يستطيعون أن يمارسوا شعائرهم علانية بسبب ما كانوا يلقونه من أذى من كفار قريش، فكانوا يذهبون إلى الشعاب خفية من أجل أداء شعائرهم فإذا علم بهم المشركون أنكروا عليهم صنيعهم وعابوهم حتى يقاتلونهم[2].

من المعلوم أن انتشار الإسلام كان بالإقناع والبرهان، وبالحجة والبيان، لا بالقهر والإكراه والإجبار، فلم يثبت في تاريخ الإسلام أن أحدا من الناس أكره أحدا على دين الإسلام، وإنما كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا بحرية وقناعة، وطواعية واختيار[3].

لذلك كان أول ما بدأ به الإسلام أن قرر الحرية في اعتناقه فلا يكره أحدا على تبديل عقيدته وإن كان يدعو إلى ذلك، وفرق بين الإكراه على الإسلام والدعوة إليه فقال ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾[4] وقال ﷻ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن

(١) أدب الدنيا والدين: الماوردي، مرجع سابق، ج١، ص١٧٥.

(٢) انظر السيرة النبوية: لابن هشام: مرجع سابق ج١، ص٢١١.

(٣) انظر التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر – دمشق، ج١، ص١٤٨.

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٥٦).

وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[2].

فأمر الهدى والضلال أو الإيمان والكفر بيد كل إنسان ولا حق لأحد مهما كان أن يكره غيره أو يجبره قسرا على ذلك فإن فعل فهو مستبد ظالم[3].

يقول سيد قطب ~ : "إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف إنسان، فالذي يسلب إنسانا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء، ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة والأمن من الأذى والفتنة وإلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة...، وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني"[4] فالقرآن المكي قرر الحرية الدينية[5] لذلك وبخ الذين يصدون عن عبادته فقال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾[6].

ولقد كان من أهم أسباب الهجرة إلى الحبشة هو البحث عن مكان يستطيع فيه المهاجرون ممارسة شعائرهم التعبدية بكل حرية وفعلاً وجد المهاجرون ما كانوا يبحثون عنه فقد وجدوا في أرض الحبشة المكان الذي مارسوا فيه شعائرهم التعبدية بكل حرية كما استطاعوا القيام بواجب الدعوة وقد تبين ذلك من خلال الحوار الذي دار بين جعفر والنجاشي ﷺ كما أوضحت ذلك سابقاً.

----

(١) جزء من الآية (٢٩) من سورة الكهف.

(٢) سورة يونس: الآية (٩٩).

(٣) انظر المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين: علي بن نايف الشحود، ج٢، ص١٩٣.

(٤) في ظلال القرآن: سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٢٩١.

(٥) انظر التفسير الحديث:: محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ودار الغرب الإسلامي دمشق، ج١، ص٥٨.

(٦) سورة العلق: الآية (٩، ١٠).

رابعاً: القيام بنشر الدعوة الإسلامية، فقد عمل المهاجرون وهم في أرض الحبشة على نشر الدعوة فكان من الأهداف الأساسية للهجرة هو القيام بنشر الدعوة الإسلامية بين الأحباش، وكان من أبرز ثمار هذه الهجرة إسلام النجاشي وهذا من أكبر الأدلة على نجاح هذه الهجرة ومن أبرز ما حققه المهاجرون من إنجازات في مجال الدعوة إلى الله.

إن الدعوة إلى الله من أشرف المهام فهي وظيفة الأنبياء والمرسلين فالنبي محمدﷺ أول داعي إلى الله قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[1] فمنذ أن بعث الله نبيه أمره بتبليغ الدعوة إلى الناس فقال ﷻ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[2]

ولأهمية الدعوة إلى الله وتبليغها نالت هذه الأمة الخيرية على الأمم كما قال ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3]

وكما أن القيام بواجب الدعوة إلى الله ينال بها الأجر العظيم كما أخبر بذلك النبيﷺ حيث قال: " فَوَ اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ[4]"[5].

----

(١) سورة الأحزاب: الآية (٤٥، ٤٦).

(٢) جزء من الآية (٦٧) من سورة المائدة.

(٣) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(٤) هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه، انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ج١٥، ص١٧٨.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ج٤، ص٤٧٦، ٤٧٧ حديث رقم(١١٩١).

كل ذلك دفع المهاجرين بأن يتحملوا أمانة الدعوة إلى الله فقاموا بها خير قيام فهم أول فوج إسلامي يخرج بالدعوة خارج مكة فقد عملوا على نشر الدعوة في أرض الحبشة وكان من نتائج ذلك أن أسلم ملك الحبشة وكان هذا من أهم الإنجازات التي حققته الدعوة في أرض الحبشة.

خامساً: ممارسة المهاجرين لحياتهم الاجتماعية، ومن آثار هذه الهجرة كذلك أن المهاجرين قد استطاعوا وهم بأرض الهجرة أن يمارسوا حياتهم الاجتماعية بكل حرية وأمان في ظل الملك العادل الذي وفر لهم الأمن، بل جعل الغرامة على من يتعرض لهم بأذى.

ومما يدل على ذلك تناسلهم وولادة عدد من أبنائهم وبناتهم في أرض الحبشة، فقد ولد آل جعفر في أرض الحبشة عبد الله ومحمد وعون كما ذكر ذلك ابن حجر ~ [1] أما آل سلمة فقد ولد لهم في الحبشة سلمة بن أبي سلمه وعمر ودرة وزينب[2].

ومن مظاهر أمنهم وممارستهم لحياتهم الاجتماعية بكل حرية، قربهم من النجاشي وتوثيق صلتهم به، فقد دخل المهاجرون داره وأرضعت نساؤهم أحد أولاده[3].

فقد ذكر ابن حجر ~ عن وجود علاقة أسرية بين آل جعفر والنجاشي ﵃، فقد نقل عن مصعب ﵁ قوله: "ولد للنجاشي ولد فسماه عبد الله، فأرضعته أسماء زوج جعفر حتى فطمته "[4].

---

(١) انظر الإصابة: لابن حجر مرجع سابق، ج٢، ص٢٨٩.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء: ج١، ص١٥١.

(٣) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٢٩. بتصرف.

(٤) انظر الإصابة: لابن حجر، مرجع سابق، ج٢، ص٢٨٩.

وبناء على هذا، فإن هجرة المسلمين للحبشة إنما كان الهدف الأول منها هو حماية المؤمنين المستضعفين من أذى المشركين، ودفع غربتهم المعنوية، وتأمينهم على دينهم، كما ورد التصريح به في العديد من الروايات ومنها رواية أم سلمة السابقة، وكذلك عزم المسلمين على أن ينشروا الدعوة إلى الله في أي مكان حلوا فيه كما ذكرت ذلك سابقاً، إذ إن الدعوة إلى الله جزء من الدين يريدون أن يأمنوا عليه، ولقد كان لهجرتي الحبشة(الأولى والثانية) أثر كبير في تخفيف الغربة المفروضة على المسلمين في مكة، خاصة حين أرسلت رسلها للنجاشي لرد المسلمين إلى مكة فرجعوا بالخيبة والفشل[1].

---

(١) انظر الغرباء الأولون: مرجع سابق، ص١٥١، ١٥٢.

المطلب الثاني:
آثار الهجرة على كفار قريش

لقد كان لخروج المهاجرين إلى أرض الحبشة، أثر واضحٌ على كفار قريش وسواء كان هذا الأثر إيجابيا أم سلبيا ويمكن توضيح ذلك في النقاط التالية:

أولاً: الأثر الإيجابي الذي تركته هذه الهجرة على كفار قريش:

إن خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وتركهم لوطنهم حاملين معهم ذريتهم ونساؤهم قد كان له أثر ايجابياعلى نفوس المشركين وأذكر بعض النماذج على ذلك:

النموذج الأول: قصة عمرﷺ مع أم عبد الله زوج عامر بن ربيعة ﷺ، فقد تأثر ورقت نفسه لما رأى من استعدادهم للرحيل وهو المعروف بالشدة والغلظة ولعل هذا المنظر جعله يعيد نظره لهذا الدين فإن قيام المهاجرين بهذه الخطوة رغم خطورتها لدليل على عظمة هذا الدين الذي جعل الأفراد الذين يعتنقونه يضحون بكل غال من أجله فليس أغلى على الإنسان من موطنه الذي ترعرع فيه وما بالك إذا كان هذا الوطن مكة التي يهوى إليها الناس من كل فجً عميق، كل هذا دفعه إلى اعتناق هذا الدين لأن هذه الهجرة قد تركت أثراً في نفسه كما أخبرت بذلك أم عبد الله بنت أبي حثمة وهي تحدِّث بما رأت من عمر ﷺ فتقول: "والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليّ وهو على شركه قالت: وكنّا نلقى منه البلاء أَذى لنا وشدة علينا قالت فقال: إنّه للانطلاق يا أمَّ عبد الله قالت: فقلت: نعم والله، لنخرجنّ في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً.قالت، فقال صحبكم الله، ورأيت له رقّة لم أكن أراها، ثم انصرف، وقد أحزنه – فيما أرى –خروجنا قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله، لو رأيت عمر آنفاً ورقَّته وحُزْنه علينا.قال: أطمعتِ في إسلامه؟ قالت قلت: نعم، قال: فلا يُسلم الذي رأيتِ حتى يُسلم حمار الخطَّاب، قالت: يأساً منه، لما

كان يُرى من غِلْظته وقَسْوته على الإسلام"[1].

يلاحظ من الرواية السابقة أن أم عبد الله قد تنبأت بإسلام عمر من خلال ما رأت من رقة في قلبه لم تكن تراه من قبل وذلك حين رأى أنهم قد عزموا على الرحيل، وفعلاً فقد أسلم عمر رضي الله عنه وكان نصراً للإسلام والمسلمين إذ استطاع المسلمون أن يصلوا عند الكعبة وكانوا لا يستطيعون ذلك قبل إسلامه.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلمّا أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة وصلينا معه "[2].

وقد كان إسلامه بعد خروج من خرج من أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة[3].

وهذا يؤيد ما ذكرت في أن الهجرة إلى الحبشة كان لها أثر في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهناك نموذج آخر وكان من آثار الهجرة:

النموذج الثاني: إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد اختلفت الروايات في قصة إسلامه ولكن الأشهر أن بداية إسلامه كان في أرض الحبشة وعلى يد النجاشي[4].

وقد ذكرت فيما سبق قصة إسلام عمرو بن العاص وكانت من الأدلة على إسلام النجاشي[5].

وكان إسلام عمرو من أهم النجاحات التي حققتها هذه الهجرة ومما يؤيد على أن إسلامه كان في أرض الحبشة وعلى يد النجاشي أن في صحيح مسلم طرفا منه في

----

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٠، ٢٧١.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص٢٧٠.

(٣) انظر المصدر السابق، ج١، ص٢٧٠.

(٤) انظر الإصابة: لابن حجر، مرجع سابق، ج١، ص٢٣.

(٥) انظر الفصل الثالث المبحث الثاني، ص٢٧٠.

قصة إسلام عمرو عَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِىِّ قَالَ: "حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِى سِيَاقَةِ الْمَوْتِ[1] فَبَكَى طَوِيلاً وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ إِنِّى قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ[2] لَقَدْ رَأَيْتُنِى وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّى وَلاَ أَحَبَّ إِلَىَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإِسْلاَمَ فِى قَلْبِى أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ - قَالَ - فَقَبَضْتُ يَدِى قَالَ « مَا لَكَ يَا عَمْرُو ». قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ « تَشْتَرِطُ بِمَاذَا » قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِى. قَالَ « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ »، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلاَ أَجَلَّ فِى عَيْنِى مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَىَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّى لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَىَّ مِنْهُ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِى مَا حَالِى فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلاَ تَصْحَبْنِى نَائِحَةٌ وَلاَ نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِى فَشُنُّوا عَلَىَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِى قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّى"[3].

كانت العبارات الأخيرة من هذا الرواية موافقة لما جاء ذكره في قصة إسلام عمرو وحواره مع النجاشي، وهذا يدل على أنه كانت بداية إسلامه على يد النجاشي والله أعلم.

---

(١) سياقة الموت: أي النزع، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه، انظر النهاية، ج٢، ص٤٢٤.

(٢) أطباق ثلاث: أي أحوال ثلاث، واحدها طبق، انظر النهاية، ج٣، ص١١٤.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، ج١، ص١٤٧، حديث رقم (٢٣٦).

ثانياً: الحط من مكانة كفار قريش عند سائر العرب:

ومن الآثار الإيجابية التي تركتها هذه الهجرة، هو أن خروج بعض من أصحاب النبيﷺ إلى أرض الحبشة، وإيوائهم وإكرام النجاشي لهم كان له الأثر في الحط من مكانة كفار قريش عند سائر العرب، وإدانة موقفهم من الدعوة وحملتها، إذ كانت البيئة العربية تفتخر بإيواء الغريب وإكرام الجار، والتنافس في ذلك، وتحاذر السبة والعار في خلافه، فهاهم الأحباش يسبقون كفار قريش ويؤوون من طردتهم وأساءت إليهم من أشراف الناس، ومن ضعفائهم، ومن غربائهم![1]

ثالثاً: قلق كفار قريش من الهجرة إلى الحبشة:

ومن الآثار الإيجابية كذلك الذي تركته هذه الهجرة على المشركين، أن كفار قريش قد أساءهم وجود المهاجرين في أرض الحبشة إذ ظن المشركون أن وجود المهاجرين هناك قد يؤدي إلى إفساد علاقتهم بالأحباش مما يؤدي إلى أن تتضرر مصالحهم التجارية، كما أن هذه الهجرة قد زرعت في نفوسهم الخوف من أن يكون المهاجرون في أرض الحبشة قاعدة عسكرية ويقوم الأحباش بالوقوف بجانبهم ثم يعملون سوياً على غزو مكة وما حادثة الفيل عنهم ببعيد، لذلك عمل المشركون قصارى جهدهم في إبطال هذه الهجرة وعدم نجاحها لذلك سارعوا باللحاق بالمهاجرين، لذلك أرسلوا مبعوثيهما إلى النجاشي من أجل تسليم المهاجرين ولكنهم رجعوا بالخيبة والخسران[2].

الأثر السلبي الذي تركته هذه الهجرة على كفار قريش:

أما الآثار السلبية التي تركتها هذه الهجرة فهي تتضح من حين هاجر بعض أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة هذه الخطوة من المسلمين قد أساءت كفار قريش

---

(١) انظر الغرباء الأولون: مرجع سابق، ص١٥٣.

(٢) انظر السيرة النبوية: لاين هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٤.

مما جعلتهم يزدادون حقداً على الإسلام ويمكن توضيح هذه الآثار السلبية بالنقاط التالية:

١- سطو كفار قريش على المسلمين :

فحين علم كفار قريش بهجرة بعض أصحاب النبيﷺ ازداد أذاهم على المسلمين خصوصاً بعد عودة أصحاب الهجرة الأولى مما دفع بعض الصحابة إلى الهجرة الثانية إلى الحبشة بل لقد كانت الفتنة في الهجرة الثانية أشد من الأولى كما أخبر بذلك ابن إسحاق ~ حيث قال: "فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة "(١).

وقال ابن سعد ~ : "لمّا قدم أصحاب النبي ﷺمكة من الهجرة الأولى اشتدّ عليهم قومهم وسَطَت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذًى شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكانت خرجتهم الآخرة أعظمها مشقّة ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى "(٢).

٢- ضرب الحصار على المسلمين:

ومن الآثار السلبية التي تركتها الهجرة هو ضرب الحصار على المسلمين فقد استاء كفار قريش حين رأوا أن المهاجرين قد أصابوا أرضاً واطمأنوا بها وحين رأوا من إكرام النجاشي لهم قال ابن إسحاق ~ : "فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم

---

(١) السير والمغازي: لابن إسحاق، مرجع سابق، ص٢١٣.

(٢) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٧.

وبني عبد المطلب "[1].

٣- محاولة قتل النبي ﷺ:

لقد أصيب كفار قريش بخيبة الأمل وذلك حين فشلت محاولتهم في تسليم المهاجرين ولما رأوا من إكرام النجاشي لهم ووقوفه مع الحق ولم يستطيعوا فعل أي شيء إزاء ذلك عملوا على محاربته الدعوة، واستخدموا في ذلك كافة الأساليب، إلى أن توصلوا إلى محاولة قتل صاحب الدعوة عليه أفضل الصلاة والتسليم، يقول ابن سعد ~ : "لما بلغ قريشاً فعل النجاشي لجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه وأجمعوا على قتل رسول الله ﷺ وكتبوا كتاباً على بني هاشم "[2] ولكن الله تعالى خيب أملهم ونجا رسوله ﷺ من كيدهم، وما الهجرة إلى الحبشة إلا تمهيداً للهجرة النبوية المباركة إلى طيبة الطيبة.



---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٦.

(٢) الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٨.

المطلب الثالث:
آثار الهجرة على أهل الحبشة

لقد كان للهجرة للحبشة أثر واضح على أهل الحبشة، ويعتبر هذا الأثر من أهم الآثار التي تركتها هذه الهجرة بالإضافة للآثار السابقة فقد استطاع المهاجرون بالإضافة إلى كونهم حافظوا على دينهم نشر الدعوة بين الأحباش، ويمكن توضيح الآثار التي تركته الهجرة على أهل الحبشة في النقاط التالية:

أولا: إسلام النجاشي ملك الحبشة:

كان من أبرز الآثار التي تركتها الهجرة بالنسبة لأهل الحبشة، هو إسلام النجاشي، على يد جعفر ﷺ، وقد كان إسلام النجاشي من أهم النجاحات التي حققتها هذه الهجرة، إن إسلام ملك من ملوك النصرانية وهو رمز لدولة قوية في وقت مبكر من الدعوة لدليل على انتصار الإسلام والمسلمين، ويدل كذلك على أن المهاجرين كانوا يمتلكون من الحس والبلاغة الأمر الذي دفع الملك إلى الإسلام.

لقد استطاع المهاجرون من خلال هجرتهم إلى الحبشة أن يبرزوا عظمة الدين الإسلامي الأمر الذي دفع النجاشي إلى اعتناق هذا الدين، وتتجلى عظمته في كون معتنقيه قد تركوا ديارهم وأهليهم وقطعوا تلك المسافات الطويلة وقبل ذلك كله تعرضوا للأذى وضحوا بأموالهم وأنفسهم وتمسكوا بعقيدتهم وهذا من الدلالة الواضحة على عظمة هذا الدين الذي جعل معتنقيه يبذلون كل غال ونفيس من أجل المحافظة على دينهم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[1]

---

(١) سورة التوبة: الآية (١١١).

ولقد استطاع المهاجرون أن يبينوا للنجاشي عظمة هذا الدين وما هو عليه من المحاسن والمزايا والتي لا توجد لها نظير في غيره، في الخطاب الذي وجهه جعفر رضي الله عنه، فقد لخص جعفر مبادئ الدين والتي من أجلها اعتنقوا الإسلام، لقد كانت نفس النجاشي متهيئة لقبول هذه الدعوة فقد جاءت البشارة في كتبهم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾(١).

لذلك تأثر النجاشي حين تلا عليه جعفر رضي الله عنه من سورة مريم فأسلم لله رب العالمين، وهذا يدل على عظمة هذا الدين وتأثيره على أصحاب العقول السليمة.

ولم يقتصر أثر الهجرة على إسلام ملكها بل أن خدم الملك قد تأثروا بهذه الهجرة وأناس آخرون من أهل الحبشة رغم أن المصادر لم تذكر إلا أسماء قليلة أسلموا من أهل الحبشة فليس معنى هذا أن هؤلاء فقط هم الذين تأثروا بهذه الهجرة، إذ إنه ليس من المعقول أن بعض المهاجرين مكثوا طوال تلك الفترة الطويلة دون أن يكون لهم تأثير على أهل الحبشة وهذا الأمر مستبعد، إذ كان من أهداف الهجرة القيام بنشر الدعوة الإسلامية في أرض الحبشة، وعلى الرغم من أنه لا يوجد تراجم معظم الذين أسلموا في عهد النجاشي إلا أن إسلامه ترك آثاراً واضحة في نفوس من حوله من وزرائه وخدمه وعائلته، ولو لم يكن إسلام النجاشي راسخاً، أو لم تتوفر الأجواء المناسبة حولهم لم يكن باستطاعة الخدم والأبناء إعلان إسلامهم أمام الصحابة وبالتالي، فإن هذا يدل على شدة تمسك الملك بإسلامه وتشجيع أتباعه على ذلك(٢).

---

(١) سورة الصف: الآية (٦).

(٢) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص١٩٧ بتصرف.

ثانياً: إسلام أبرهة[1] جارية النجاشي:

قالت أم حبيبة وهي تروي قصة زواجها من رسول الله ﷺ وقد كانت أعطت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين[2] كانتا في رجليها وخواتم فضة سروراً بما بشّرتهابخطبة رسول اللهﷺ لها: "فلما وصل إليَّ المال أرسلت إلى أبرهة التي بشّرتني فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالاً فخذيها فاستعيني بها، فأبت وأخرجت حُقّاً فيه كل ما كنت أعطيتها فردّته علي وقالت: عزم عليّ الملك ألا أرزأك شيئاً وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ، وأسلمت لله ﷻ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر، قالت: فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد كثير، فقدمت بذلك كله على رسول الله ﷺ فكان يراه عليّ فلا ينكره، ثم قالت أبرهة: فحاجتي إليك أن تقرئي على رسول اللهﷺ مني السلام وتعلميه أني قد أتبعت دينه، قالت: ثم لطفت بي وكانت التي جهّزتني، وكانت كلما دخلت علي تقول لا تنسي حاجتي إليك، قالت: فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة فتبسم وأقرأته منها السلام فقال: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته"[3].

---

(١) أبرهة الحبشية من خدم النجاشي، كانت عند أم حبيبة لما زوجها النجاشي للنبي ﷺ، انظر الإصابة: لابن حجر مرجع سابق، ج٤، ص٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) خِدَامٌ والاسْمُ: الخُدْمَةُ وأصل الخَدَمة: الحلْقَةُ المستديرة المُحْكَمَة ومنه قيل للخَلاخِيلِ: خِدَامٌ سُمِّيتا: خَدَمَتَيْنِ، لأنهما موضعا الخَدَمَتَيِنِ وهما الخَلْخالان، انظر تهذيب اللغة: الأزهري، مرجع سابق، ج٧، ص١٣٠.

(٣) صفة الصفوة: لابن الجوزي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٤، ٤٥.

ثالثاً: بركة الحبشية:

بركة الحبشية كانت مع أم حبيبة بنت أبي سفيان تخدمها هناك ثم قدمت معها، فهي غير أم أيمن وأن وافقتها في الاسم فإن كلاً منهما كانت تكنى أم أيمن[(١)].

رابعاً: أبو نيزر[(٢)] بن النجاشي:

قدم على أبي نيزر بن النجاشي ناس من الحبشة، فأقاموا عنده شهراً ينحر لهم علي بن أبي طالب، ويصنع لهم الطعام، فقالوا له: إن الحبشة قد مرج أمرهم عليهم فانطلق معنا نملكك عليهم، وإنك ابن من قد علمت، فقال: أما إذ أكرمني الله بالإسلام ما كنت لأفعل، فلما أيسوا منه رجعوا وتركوه[(٣)].

وقال السهيلي ~ : "أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشي، وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي بن أبي طالب ليملكوه ويتوجوه، ولم يختلفوا عليه، فأبى، وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله علي بالإسلام، قال وكان أبو نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجهاً، قال: ولم يكن لونه كألوان الحبشة، ولكن إذا رأيته قلت: هذا رجل من العرب "[(٤)].

ولا يقف أثر الهجرة للحبشة عند هذا الحد بل لقد ظهرت آثار الهجرة في وقت مبكر والنبي ﷺ لازال في مكة ومن ذلك:

خامساً: إسلام وفد نصارى الحبشة:

قال ابن إسحاق ~ : "قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكة، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد،

----

(١) انظر الإصابة: مصدر سابق، ج٤، ص٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) سبق ترجمته، ص٧٦.

(٣) السير والمغازي: لابن إسحاق، مرجع سابق، ص٢٢٠.

(٤) الروض الأنف: السهيلي، مرجع سابق، ج٢، ص١١٧.

فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال! ما نعلم ركباً أحمق منكم أو كما قالوا، فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً، ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان. فيقال - والله أعلم فيهم نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1] قال ابن إسحاق ~ : وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت فقال لي: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن أنزلت في النجاشي وأصحابه، من سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2] [3].

إن إسلام هذا الوفد ليدل دلاله واضحة أن الهجرة إلى الحبشة قد اينعت ثمارها في وقت مبكر، وهذا يدل على نجاح هذه الهجرة.

ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد فعندما قدم جعفر ومن معه من المهاجرين إلى المدينة قدم معهم وفد من الحبشة وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ

----

(١) سورة القصص: الآية (٥٢-٥٥).

(٢) جزء من الآية (٨٢) والآية (٨٣) من سورة المائدة.

(٣) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٢٦.

أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "إنهم كانوا كرابين يعني فلاحين، قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة، فلما قرأ رسول الله ﷺ عليهم القرآن، آمنوا وفاضت أعينهم، فقال رسول الله ﷺ "لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم فقالوا: لن ننتقل عن ديننا، فأنزل الله ذلك من قولهم ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾"[2] [3].

سادساً: توطيد العلاقة بين المسلمين وأهل الحبشة:

ومن الآثار كذلك التي تركتها هذه الهجرة تلك العلاقة الطيبة التي نشأت بين المسلمين والأحباش وقد بدأت هذه العلاقة منذ أن هاجر المسلمون إلى الحبشة الهجرة الأولى في السنة الخامسة للبعثة وتطورت هذه العلاقة بعد حدوث الهجرة الثانية وخصوصاً بعد إسلام النجاشي حيث كرس نفسه في خدمة الإسلام والمسلمين، فعمل على حماية المهاجرين إلى أن غادرت آخر مجموعة من المهاجرين في السنة السابعة من الهجرة في عام خيبر، وكان من ثمار هذه الهجرة تبادل الكتب والهدايا بين النبي ﷺ والنجاشي وحين طلب منه تزويجه أم حبيبة قام بذلك أتم قيام بل وأصدقها بدلاً عن النبي ﷺ وأقام وليمة بمناسبة ذلك[4].

إن طلب الرسول ﷺ من النجاشي تزويجه أم حبيبة بنت أبي سفيان < عظيم شأنه لأن مثل هذا لا يكون عادة إلا بين من ارتبطوا بعلاقات خاصة مثل الأخوة والأصدقاء وهذا الأمر غاية في التكريم والتشريف، لأن النجاشي اشترك في هذا العمل ببناء بيت من بيوت النبوة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على المكانة العظيمة

----

(١) سورة المائدة: الآية (٨٣).

(٢) سورة المائدة: الآية (٨٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مرجع سابق، ج٢، ص١٢٠.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٨، ٢٥٩.

الذي يكنها النبيﷺ للنجاشي حتى طلب منه هذا، كما يدل فعل النجاشي ومسارعته في تلبية طلب النبي ﷺ على حبه له وسرعة استجابته وإيمانه القوي، وأما تجهيز الصحابة رضي الله عنهم، فقد قام بهذه المهمة خير قيام حيث أعد سفينتين تنقلان المهاجرين من الحبشة إلى المدينة، وما ذلك إلا ثمرة من ثمار هذه الهجرة[1].

---

(١) انظر معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة: مرجع سابق، ص٢٣٦بتصرف.

المبحث الثاني

الدروس المستفادة من الهجرة

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: الدروس المستفادة للدعاة.

المطلب الثاني: الدروس المستفادة للمدعوين.

* * ** * *

المبحث الثاني:
الدروس المستفادة من الهجرة

كما أن الهجرة للحبشة قد تركت آثاراً واضحة فإنها كذلك قد تركت دروساً مهمة سواء كانت هذه الدروس متعلقة بالدعاة أو المدعوين ومن هذه الدروس التي يستفاد منها ما يلي:



المطلب الأول:
الدروس المستفادة للدعاة

لقد تركت الهجرة إلى الحبشة دروساً مهمة يمكن للدعاة الاستفادة منها في مجال دعوتهم، ومن هذه الدروس ما يلي:

أولاً: شفقته ﷺ ورحمة بأصحابه ﷺ:

قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(1) وقال الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾(2)

إن أول ما يستقي المسلم من دروس من هذه الهجرة هو شفقته ﷺ بأصحابه، كيف لا وهو الذي أرسله الله رحمه للعالمين فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾(3).

لقد كان النبي ﷺ حريصا على أصحابه رحيما بهم فحين رأى ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية، ولا يستطيع دفع عنهم ما هم فيه لذا أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة حيث المكان الآمن عند الملك العادل، فأمنوا على دينهم وأنفسهم وأهليهم وأصبحوا دعاة إلى الله ﷺ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٢) سورة التوبة: الآية (١٢٨).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

ثانياً: تعامل النبي ﷺ مع سنة الأخذ بالأسباب[1]:

من السنن الربانية التي تعامل معها النبي ﷺ سنة الأخذ بالأسباب وسنة الأخذ بالأسباب مقررة في كون الله تعالى، بصورة واضحة، فلقد خلق الله هذا الكون بقدرته، وأودعه من القوانين والسنن، ما يضمن استقراره واستمراره، وجعل المسببات مرتبطة بالأسباب بعد إرادته سبحانه وتعالى، فأرسى الأرض بالجبال، وأنبت الزرع بالماء... وغير ذلك، ولو شاء الله رب العالمين، لجعل كل هذه الأشياء وغيرها -بقدرته المطلقة- غير محتاجة إلى سبب، ولكن هكذا اقتضت مشيئة الله تعالى وحكمته، الذي يريد أن يوجه خلقه إلى ضرورة مراعاة هذه السنة ليستقيم سير الحياة على النحو الذي يريده سبحانه، وإذا كانت سنة الأخذ بالأسباب مبرزة في كون الله تعالى بصورة واضحة، فإنها كذلك مقررة في كتاب الله تعالى، ولقد وجه الله عباده المؤمنين إلى وجوب مراعاة هذه السنة في كل شؤونهم الدنيوية، والأخروية سواء[2]، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[4] ولقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى طلب من السيدة مريم أن تباشر الأسباب وهي في أشد حالات ضعفها قال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾[5].

وهكذا يؤكد الله تعالى على ضرورة مباشرة الأسباب في كل الأمور والأحوال، وكان عليه الصلاة والسلام يوجه أصحابه دائمًا إلى مراعاة هذه السنة الربانية في أمورهم الدنيوية

---

(١) انظر السيرة النبوية: للصلابي، مرجع سابق، ص١٨٨.

(٢) انظر التمكين للأمة الإسلامية: محمد السيد حمد يوسف، دار السلام، ط١، ص٢٤٨-٢٥٠.

(٣) سورة التوبة: الآية (١٠٥).

(٤) سورة الملك: الآية (١٥).

(٥) سورة مريم: الآية (٢٥).

والأخروية على السواء[1].

ولقد قرر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة ضرورة الأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله تعالى، كما نبه ﷺعلى عدم تعارضهما[2].

عن أنس بن مالك قال: " قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل"[3].

ورسول الله ﷺ كان أوعى الناس بهذه السنة الربانية، فقد اتخذ الأسباب التي تنجي أصحابه مما هم فيه من الأذى والافتتان وهكذا ينبغي أن يكون قائد الدعوة أن يأخذ بالأسباب مع التوكل على الله، ومن الأسباب التي اتخذها الرسول ﷺ في نجاة أصحابة من الافتتان في الدين أن أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، فقد كانت الهجرة سبباً في نجاتهم من بطش المشركين و في محافظتهم على دينهم بإذن الله تعالى، كما أنهم استطاعوا أن ينشروا الدعوة في أرض الحبشة.

ثالثاً: معرفة الرسولﷺ بما حوله من الدول والممالك:

إن اختيار الرسول ﷺ الهجرة إلى الحبشة يشير إلى نقطة استراتيجية مهمة، تمثلت في معرفة الرسولﷺ بما حوله من الدول والممالك، فكان يعلم طيبها من خبيثها، وعادلها من ظالمها، الأمر الذي ساعد على اختيار دار آمنة لهجرة أصحابه ﷺ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حال قائد الدعوة الذي لا بد أن يكون ملمًّا بما يجري حوله، مطلعًا على أحوال وأوضاع الأمم والحكومات[4].

فالرسول ﷺ هو الذي وجَّه الأنظار إلى الحبشة وهو الذي اختار المكان الآمن

---

(١) انظر التمكين للأمة الإسلامية: محمد السيد حمد يوسف، مرجع سابق، ص٢٥٠.

(٢) انظر السيرة النبوية: للصلابي، مرجع سابق، ص١٨٩.

(٣) أخرجه الترمذي، ج٣، ص٦٦٨، حديث رقم (٢٥١٧) قال الألباني: حسن.

(٤) انظر قراءة لجوانب الحذر والحماية، مرجع سابق، ص١٠١.

لجماعته ودعوته، كي يحميها من الافتتان، وهذه تربية نبوية لقيادات المسلمين في كل عصر، أن تخطط بحكمة وبعد نظر لحماية الدعوة والدعاة، وتبحث عن الأرض الآمنة التي تكون عاصمة احتياطية للدعوة، ومركزًا من مراكز انطلاقها فيما لو تعرض المركز الرئيس للخطر، أو وقع احتمال اجتياحه فجنود الدعوة هم الثروة الحقيقية، وهم الذين تنصب الجهود كلها لحفظهم وحمايتهم، دون أن يتم أي تفريط بأرواحهم وأمنهم، ومسلم واحد يعادل ما على الأرض من بشر خارجين عن دين الله وتوحيده(1).

رابعاً: الصبر والتضحية في سبيل المحافظة على الدين:

فمنذ أن جهر الرسول ﷺ بالدعوة والمشركون لا يألون جهداً في تعذيب المسلمين وفتنتهم عن دينهم، والمسلمون أمام ذلك كله صامدون متمسكين بدينهم ولا يبالون بما يفعله الكفار بهم مهما كلفهم هذا الأمر، وإن زهقت أنفسهم بذلك وفعلاً فقد مات بعضهم بالتعذيب كآل ياسر، ومنهم من صبر وتحمل المشاق من أجل المحافظة على دينه ومن ذلك مهاجري الحبشة فقد تركوا موطنهم مكة وتحملوا آلام الغربة وذلك من أجل المحافظة على دينهم من الفتن، فالتضحية من أجل الدين أمرٌ مطلوب على كل مسلم فيجب عليه أن يبذل ما بوسعه من أجل المحافظة على دينه وإن اضطر إلى ترك البلد الذي يعيش فيه وإن كان هذا البلد أهله مسلمون فإن لم يستطع أن يقيم شعائر دينه فينبغي عليه أن يهاجر إلى بلد يستطيع فيه أن يؤدي شعائر دينه وإن كان أهله غير مسلمين، كما فعل المهاجرون فقد تركوا مكة على فضلها وشرفها وهاجروا إلى الحبشة رغم أنها بلاد نصرانية.

قال السهيلي ~ : "الخروج عن الوطن مكة على فضلها، إذا كان الخروج فراراً بالدين، وإن لم يكن إلى إسلام، فإن الحبشة كانت نصارى يعبدون المسيح، ولا يقولون:

----

(1) انظر التربية القيادية للغضبان، ج1، ص333، وانظر أضواء على الهجرة، توفيق محمد سبع،، مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع مصر، ص427.

هو عبد الله، وقد ورد ذلك في الحديث، وسموا بهذه مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق فقال: "والسابقون الأولون " وجاء في التفسير أنهم الذين صلوا القبلتين وهاجروا الهجرتين... فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار الكفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم، ورجاء أن يخلي بينهم وبين عبادة ربهم، يذكرونه آمنين مطمئنين، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد، وأوذي على الحق مؤمن، ورأى الباطل قاهراً للحق ورجا أن يكون في بلد آخر أي بلد كان يخلى بينه وبين دينه، ويظهر فيه عبادة ربه، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن، وهذه الهجرة لا تنقطع إلى يوم القيامة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ "[١] [٢].

خامساً: سرعة الاستجابة لأمر الله ﷻ ورسوله ﷺ:

فحين أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة هاجر بعض أصحاب النبي ﷺ استجابة لأمر الله ورسوله دون تردد أو تهاون رغم ما في هذه الهجرة من مخاطر فأقدموا على هذا العمل طاعة لله ورسوله ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[٣] وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٤].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة إيمانهم بالله ﷻ ويقينهم بصدق ما أخبر به الرسول ﷺ، فقد وجدوا في أرض الحبشة المتنفس والمخرج لهم، وقد نصرهم الله على عدوهم فهذا ما يجب أن يكون عليه المؤمن يمتثل لأمر الله ﷻ في السراء والضراء.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١١٥).

(٢) الروض الأنف: للسهيلي، مرجع سابق، ج٢، ص١١١.

(٣) جزء من الآية (٥٩) من سورة النساء.

(٤) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

سادساً: اتخاذ الحيطة والحذر عند القيام بأي عمل:

وقد ظهر الحس الأمني عند الرعيل الأول، في هجرتهم الأولى، وكيفية الخروج، فيتمثل في كونه تم تسللاً وخفية حتى لا يفطن له كفار قريش فيحبطونه كما أنه تم على نطاق ضيق لم يزد على ستة عشر فردًا، فهذا العدد لا يلفت النظر في حالة تسللهم فردًا أو فردين، وفي ذات الوقت يساعد على السير بسرعة، وهذا ما يتطلبه الموقف فالركب يتوقع المطاردة والملاحقة في أي لحظة، ولعل السرية المضروبة على هذه الهجرة، فوتت على المشركين العلم بها في حينها، فلم تعلم بها إلا مؤخرًا، فقامت في إثرهم لتلحق بهم، لكنها أخفقت في ذلك، فعندما وصلوا البحر لم يجدوا أحدًا، وهذا مما يؤكد على أن الحذر هو مما يجب أن يلتزمه المؤمن في تحركاته الدعوية، فلا تكون التحركات كلها مكشوفة ومعلومة للعدو بحيث يترتب عليها الإضرار به وبالدعوة[1].

وقد وصى الله سبحانه وتعالى عباده بأخذ الحيطة والحذر فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[3].

كما أن أخذ الحيطة والحذر كانت وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[4].

---

(١) انظر المفصل في أحكام الهجرة: علي بن نايف الشحود، ج١، ص١٩.

(٢) سورة النساء: الآية (٧١).

(٣) جزء من الآية (١٠٢) من سورة النساء.

(٤) سورة يوسف: الآية (٦٧).

سابعاً: التخطيط للهجرة:

إن التخطيط للهجرة من أهم الدروس التي يستفيد منها الدعاة في مجال دعوتهم، والتخطيط في الهجرة يتمثل في اختيار الرسول ﷺ للوقت المناسب والمكان المناسب فحين اشتد أذى كفار قريش وفتنتهم للمسلمين أشار الرسول ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم بالهجرة إلى الحبشة، وقد كانت الهجرة هي المتنفس الوحيد للخروج مما هم فيه من البلاء، بل لقد كان اختيار النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة عن دراسة وتخطيط ومعرفة بالظروف الجغرافية والدينية والسياسية للحبشة في ذلك الوقت، فلم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يأمرهم بالهجرة إلى مكان مهما بعد في شبه جزيرة العرب فإن كفار قريش بما لهم من نفوذ ديني وأدبي تستطيعون أن يلاحقوهم، ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا إلى بلد تحت سيطرة الفرس أو الروم حيث يحكمها أباطرة لا يقبلون مثل هذه الدعوة الجديدة، ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا بعيداً إلى بلاد مثل الهند والصين، حيث تنقطع أخبارهم وتكون لهجرة مهلكة لهم، ولقد كانت الحبشة هي المكان المناسب جغرافيا فهو ليس جد بعيد ولا جد قريب بل بينه وبين مكة بحر، وكانت الحبشة هي المكان المناسب دينياً فقد كانوا أهل كتاب من النصارى الذين يعدون أقرب مودة للمسلمين[1] كما قال الله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾[2].

وكانت الحبشة هي المكان المناسب سياسياً فقد كان يحكمها رجل اشتهر بالعدل كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: " فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد "[3]

---

(١) انظر التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته: عبد رب النبي أبو السعود، مرجع سابق، ص١٥٩، ١٦٠.

(٢) سورة المائدة: الآية (٨٢).

(٣) سبق تخريجه، ص٦٤.

وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة بأن لا يقدموا احدهم على أي أمر من أمور الدعوة إلا بعد دراسة وتخطيط لأن ذلك أدعى إلى نجاحها أما إذا قامت الدعوة بدون تخطيط ودراسة فإنه سوف تعطي نتائج سيئة وهاهي سيرته العطرة عليه الصلاة والسلام منهاج حياة يستقي منها الدعاة الدروس والعبر ومن ذلك هجرة الحبشة فقد خطط لها تخطيطاً بشرياً دقيقاً وذلك ليستفيد الدعاة منها في مجال دعوتهم إلى الله.

ثامناً: الحكمة في الدعوة إلى الله:

ومن الدروس المستفادة من هذه الهجرة الحكمة في عرض الدعوة ، يتجلى ذلك من الخطاب الذي وجهه جعفر رضي الله عنه إلى النجاشي فقد عرض عليه الإسلام بأسلوب حسن ومناسب فأوضح أولاً مساوئ الجاهلية ثم بين محاسن الدين الإسلامي ثم اختار الموضوع المناسب بقراءته أكثر الآيات تأثيراً على النصارى، وكل ذلك بحكمة وأسلوب حسن تماشياً مع قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[(1)].

إن المتتبع لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أنه يلازم الحكمة في جميع أموره وخاصة في دعوته فدخل الناس في دين الله أفواجا، وله صلى الله عليه وسلم مواقف حكيمة مشرفة ومن المواقف الحكيمة والتي تدل على حكمته إشارته لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، والداعية إلى الله حينما يقف ويتأمل المواقف التي وقفها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله يزداد حكمة، ويستفيد من هذه المواقف في دعوته، ويطبق الحكم التي يقتبسها من مواقفه صلى الله عليه وسلم في دعوته، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة التي ينبغي لكل مسلم أن يلتزمها في حياته وفي دعوته[(2)].

و كان النبي صلى الله عليه وسلم يمدح صاحب الحكمة ويدعو لأصحابه بأن يرزقهم الله الحكمة

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) انظر مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٤.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ اللهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ"[1].

عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ: " لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَآخَرُ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"[2].

والحكمة مطلوبة في كل شيء حتى مع العدو، وكما أن العدل مطلوب حتى مع العدو فلا يجوز أن يأتي الإنسان بخلاف الحكمة فإنه لا ينجح، وإنما ينجح إذا أتى بالحكمة، فيضع الأمور في مواقعها من الكلام والفعل، يضعها في مواضعها التي تليق بها، هذه هي الحكمة، ودعوة الناس تختلف، فمنهم من يكون يريد مجرد بيان الحق، فهذا يبين له الحق ويوضح، وإذا وضح له الحق رضي به واتبعه، كما حصل بين جعفر والنجاشي رضي الله عنه فلما أظهر جعفر للنجاشي الحق اتبعه وأسلم، وهكذا يكون الداعية يدعو الناس بحكمة وكلاً بحسب حاله، ويكون مراد الداعي كذلك القيام بالواجب الذي أوجبه الله عليه، وأن يجتهد في أن ينقذ الله على يده من يشاء الله إنقاذه من النار، هذا هو المقصود بالدعوة[3].

تاسعاً: دور المرأة المسلمة في الدعوة:

إن المتتبع لأحداث الهجرة إلى الحبشة ليعجب من أمر المرأة المسلمة فقد هاجرت بعض الصحابيات مع أزوجهن إلى الحبشة مصطحبات معهن أولادهن وتحملن مشقة السفر وصبرنا وضحين من أجل المحافظة على دينهن فتركن وطنهن وأهليهن وقاسين ألم الغربة وما ذاك إلا في الله وطاعة لرسوله ﷺ ومن هؤلاء النساء أسماء بنت

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنه، ج٥، ص٩٤، حديث رقم(٢٦٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ج١، ص١٠١، حديث رقم (٧٢) وانظر صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب لا حسد إلا في اثنتين، ج١، ص٦٩٢، حديث رقم (١٨٤٨).

(٣) انظر شرح كتاب التوحيد: عبد الله بن محمد الغنيمان، ج٢٨، ص١١.

عميس فقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر رضي الله عنه ومكثت في أرض الحبشة قرابة أربعة عشر عاماً في أرض الغربة بعيدة عن وطنها وأهلها، وأشد من ذلك بعدها عن رسول الله ﷺ وتوجيهاته وقد آلمها حين سمعت من عمر قوله: "سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت وقالت كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله ﷺ وأيم والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخاف " فماذا كان رد النبي ﷺ لها فقد أخبرها بأنهم ليسوا أحق به منهم فله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان "(١).

فقد أفرحها النبي ﷺ بما أخبرها به فهي حريصة على أن لا يفوتها الأجر في عمل تتقرب به إلى الله تعالى.



---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ، ج٥، ص٢٥٠ حديث رقم (٦٩٧).

المطلب الثاني:
الدروس المستفادة للمدعوين

لقد تركت هجرة الحبشة دروساً عظيمة ينبغي للمدعوين الاستفادة منها ومن هذا الدروس ما يلي:

أولاً: قبول الحق وعدم الإعراض عنه:

ويتجلى هذا في شخص النجاشي فحين سمع من جعفر خطابه ودعوته إلى دين الله قبل وشهد شهادة الحق، وهكذا ينبغي المسلم أن لا يتكبر عن قبول الحق لأنه بإعراضه عن الحق يفوت على نفسه الخير الكثير وله في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فالنبي ﷺ كان يقبل الحق ومن جاء به كائناً من كان لو كان من كافر ،وهو أفضل البشر وخاتم النبيين، فعن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: "أتى حبر من الأحبار رسول الله ﷺ فقال يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون قال سبحان الله وما ذاك قال تقولون إذا حلفتم والكعبة قالت فأمهل رسول الله ﷺ شيئا ثم قال: إنه قد قال فمن حلف فليحلف برب الكعبة قال: يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندا قال سبحان الله وما ذاك قال: تقولون ما شاء الله وشئت قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئا ثم قال: إنه قد قال فمن قال ما شاء الله فليفصل بينهما ثم شئت "[1].

وقد بين الله ﷻ في آيات كثيرة خطورة الإعراض عن الحق فقال: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[2] وقد أخبر ﷻ أن السبب في عدم قبول هو الحسد والكبر فقال

---

(١) أخرجه أحمد، ج٦، ص٣٧١، حديث رقم (٢٧١٣٨) قال المحقق: "إسناده صحيح ".

(٢) سورة الأعراف: الآية(١٤٦).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[1] وكذلك فإن المشركين كانوا يعلمون صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به ولكنهم كانوا يستكبرون عن قبول الحق: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

وفي المقابل فقد مدح الله المؤمنين ووصفهم بامتثالهم وقبولهم الحق فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[3] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[4].

هكذا ينبغي أن يكون المؤمن يقبل دعوة الحق لما في ذلك من الخير في الدنيا والآخرة، ويبتعد عن الإعراض عن الحق لأن في ذلك الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

ثانياً: طلب الحجة والبرهان:

ومن الدروس المستفادة من الهجرة للمدعوين هو طلب الحجة والبرهان فيما دعي إليه، وقد ظهر ذلك واضحاً في مجريات هذه الهجرة فعندما ألقى جعفر خطابه للنجاشي والذي ذكر فيه محاسن الإسلام وصدق ما يدعو إليه النبي ﷺ طلب النجاشي من جعفر ما يثبت ذلك فقال: "هل معك مما جاء به عن الله من شيء"[5].

وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه مسألة طلب الدليل فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ

---

(١) جزء من الآية (١٠٩) من سورة البقرة.

(٢) سورة الصف: الآية (٣٥).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٣٦).

(٥) السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٦.

فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[2].

فهكذا ينبغي المؤمن أن يكون فطنا ذكيا وأن لا يستجيب لأي دعوة حتى يتأكد من صحة ما يدعو إليه وأن لا ينجرف وراء الدعوات الباطلة والمزيفة.

ومن الدروس المستفادة كذلك أنه ينبغي على المسلم إذا طلب الدليل وأتي له أن يذعن وأن لا يعرض عن الحق حتى لا يوقع نفسه بالمهلكة وقد حذر الله سبحانه من هذا الفعل وذلك حين طلب بنو إسرائيل من عيسى عليه السلام مائدة من السماء تدل على صدقه فقال ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[3] وقد كان هذا حال المشركين فإنهم لم يؤمنوا وأعرضوا وتكبروا رغم أنهم رأوا الآيات والتي تدل على صدق ما جاء به النبي ﷺ فعرضوا أنفسهم للهلاك قال ﷻ: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾[4].

ولكن يجب على المؤمن الطاعة والتسليم حين يأتيه الدليل في أي مسألة ويقتدي بالنجاشي فحين أتى له جعفر بصدق ما يدعو إليه قبل وأسلم.

ثالثاً: القيام بواجب الدعوة إلى الله:

ومن أهم الدروس التي ينبغي أن يستفيد منها المدعوون من هذه الهجرة هو القيام بواجب الدعوة إلى الله، وهذه الفائدة تتجلى في دعوة النجاشي لعمرو بن العاص

---

(١) جزء من الآية (١٤٨) من سورة الأنعام.

(٢) جزء من الآية (١١١) من سورة البقرة.

(٣) سورة المائدة: الآية (١١٥).

(٤) سورة القمر: الآية (٢).

فقد كان إسلام عمرو على يد النجاشي وفي أرض الحبشة(١) فعندما أسلم النجاشي قام بما يجب عليه من واجب الدعوة إلى الله، فالدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم كلاً حسب استطاعته وفي مجاله قال ﷺ: " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ"(٢) والدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والمرسلين لذلك جاءت كثير من الآيات والأحاديث تحث المؤمنين على القيام بها قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾(٣).

وقال سبحانه وتعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾(٤) أما الأحاديث فقد قال عليه الصلاة والسلام: "أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ"(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"(٦) كما أن القيام بهذه المهمة ينال بها المسلم الأجر والثواب كما أوضح بذلك النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: " وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْىٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ"(٧).

مما سبق يتبين أهمية الدعوة إلى الله وأن التبليغ والدعوة واجبان لازمان على كل مسلم في كل زمان ومكان وكل بحسب قدرته واستطاعته مع شرط مهم هو أن يكون الصدق والإخلاص رائدهم في كل ما يبلغونه وأن يتحروا في ذلك أشد التحري وأن

----

(١) انظر السيرة النبوية: لابن هشام، مرجع سابق، ج٣، ص٢١٨، ٢١٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب النهي عن المنكر من الإيمان، ج١، ص١٠١، حديث رقم (٨٦).

(٣) جزء من الآية (٦٧) من سورة المائدة.

(٤) سورة الأعراف: الآية (٦٢).

(٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٦، ص٣٠٦، ٣٠٧ حديث رقم (٨٤٧) وانظر صحيح مسلم: كتاب الحدود والديات، ج٣، ص١٧٧، حديث رقم (٤٣٩٩).

(٦) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، ج٤، ص٦٣٧، حديث رقم (١٦١٠).

(٧) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الضحى، ج١، ص٦١٩، حديث رقم (١٦١٨).

لا يكون فيه كذب على رسول الله ﷺ[1] حيث جاء الوعيد لمن يفعل ذلك بالحديث عن الرسول ﷺ قال: "وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[2].

وفي القرآن آيات عديدة فيها إنذار رهيب لمن يكذب على الله تعالى ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[3] وقال ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾[4].

وهناك دروس مستفادة من هذه الهجرة يشترك فيها الدعاة والمدعوون وتعلق بأحكام الهجرة وهذه الدروس ما يلي:

أولاً: جواز الإقامة بين أظهر المشركين إذا دعت الحاجة:

نهى الإسلام المسلم أن يقيم بين أظهر المشركين لغير حاجة لقوله ﷺ: " أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا: يا رسول الله لِمَ؟ قال: لا تراءى نارهما "[5].

ولقوله ﷺ: "لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلاً، حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ "[6].

ولعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ

(١) انظر التفسير الحديث: محمد عزة دروزة، مرجع سابق، ج٤، ص٧٤.
(٢) سبق تخريجه، ص٢٦٣.
(٣) سورة الزمر: الآية (٣٢).
(٤) سورة آل عمران: الآية (٩٤).
(٥) سبق تخريجه، ص٣٨.
(٦) سبق تخريجه، ص٤١.

فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[1].

وكذلك أوجب على المسلمين البراءة من المشركين وعدم الركون إليهم كما بين الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية قال الله عز وجل: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾[4].

وهذا كله يدل بلا ريب على أن الله تعالى أوجب على عباده المؤمنين، البراءة من كل مشرك، وإظهار العداوة لهم، والبغضاء، وحرم على المؤمنين موالاتهم، والركون إليهم[5].

ولكن يستثنى من ذلك إذا كان لا يستطيع إظهار دينه ففي هذه الحالة يجب عليه الهجرة من أجل المحافظة على دينه وقد صرح العلماء بذلك[6].

فقد أقام المهاجرون في أرض الحبشة بأمر من النبي ﷺ وأهلها نصارى من أجل المصلحة فوطن الداعية حيث مصلحة الدعوة[7].

يقول السهيلي ~ : "الْخُرُوجُ عَنْ الْوَطَنِ وَإِنْ كَانَ الْوَطَنُ مَكّةَ عَلَى فَضْلِهَا، إذَا

----

(١) سورة النساء: الآية (٩٧).

(٢) سورة التوبة: الآية (١).

(٣) سورة الممتحنة: الآية (٩).

(٤) سورة النساء: الآية (١٤٤).

(٥) انظر الدرر السنية: مرجع سابق، ج٣، ص٢٦٤.

(٦) انظر الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: علاء الدين المرداوي، ج٤، ص١٢١، وانظر كشاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس البهوتي، ج٧، ص٣٤-٣٦.

(٧) انظر فقه السيرة النبوية: للغضبان، مرجع سابق، ص١٤٩ بتصرف.

كَانَ الْخُرُوج فِرَارًا بِالدِّينِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَى إِسْلَام فَإِنّ الْحَبَشَةَ كَانُوا نَصَارَى يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ وَلَا يَقُولُونَ هُوَ عَبْدُ الله وَقَدْ تَبَيّنَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَسُمّوا بِهَذِهِ مُهَاجِرِينَ وَهُمْ أَصْحَابُ الْهِجْرَتَيْنِ الّذِينَ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ بِالسّبْقِ فَقَالَ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ وَجَاءَ فِي التّفْسِيرِ أَنّهُمْ الّذِينَ صَلّوْا الْقِبْلَتَيْنِ وَهَاجَرُوا الْهِجْرَتَيْنِ وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا: هُمْ الّذِينَ شَهِدُوا بَيْعَةَ الرّضْوَانِ، فَانْظُرْ كَيْفَ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْهِجْرَةِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ الله الْحَرَامِ إلَى دَارِ كُفْرٍ لَمّا كَانَ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ احْتِيَاطًا عَلَى دِينِهِمْ وَرَجَاءَ أَنْ يُخَلّى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادَةِ رَبّهِمْ يَذْكُرُونَهُ آمِنِينَ مُطْمَئِنّينَ وَهَذَا حُكْمٌ مُسْتَمِرّ مَتَى غَلَبَ الْمُنْكَرُ فِي بَلَدٍ وَأُوذِيَ عَلَى الْحَقّ مُؤْمِنٌ وَرَأَى الْبَاطِلَ قَاصِرًا لِلْحَقّ وَرَجَا أَنْ يَكُونَ فِي بَلَدٍ آخَرَ - أَيّ بَلَدٍ كَانَ - يُخَلّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ دِينِهِ وَيُظْهِرُ فِيهِ عِبَادَةَ رَبّهِ فَإِنّ الْخُرُوجَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ حَتْمٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَهَذِهِ الْهِجْرَةُ الّتِي لَا تَنْقَطِعُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"(١).

كما يستفاد من هذه الهجرة أنه يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء كان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي إذ كان نصرانيًا عند الهجرة إلى الحبشة ثم أسلم بعد ذلك، أو كان مشركًا كما حصل من المهاجرين إلى الحبشة عندما بلغهم، إن أهل مكة أسلموا، فاستخف ذلك الخبر منهم ثلاثة وثلاثين رجلاً فأقبلوا راجعين حتى إذا دنوا من مكة بان لهم فساد ذلك الخبر، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفيًا، وكان منهم عثمان بن مظعون ﷺ فقد دخل بجوار الوليد بن المغيرة فأنفذ جواره، وقد دخل الرسول ﷺ في حماية أبي طالب حتى توفي أبو طالب وهو قائم بذلك، ودخل الرسول ﷺ في حماية وجوار المطعم بن عدي بعد رجوعه من الطائف إلى مكة(٢).

----

(١) الروض الأنف: مرجع سابق، ج٢، ص١١١.

(٢) انظر الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، ج٢، ص٣٣٧ .

ثانياً: الجهل ببعض أحكام الإسلام لمصلحة راجحة[1]:

ومن دروس الهجرة أن الجهل ببعض أحكام الهجرة لمصلحة راجحة لا يضر كما صح ذلك عن العلماء فقد قال ابن تيمية ~ وهو يقرر العذر بالجهل: "ولما زيد في صلاة الحضر حين هاجر ﷺ إلى المدينة كان بعيداً عنه مثل من كان بمكة، وبأرض الحبشة يصلون ركعتين، ولم يأمرهم النبي ﷺ بإعادة الصلاة، ولما فرض شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، ولم يبلغ الخبر إلى من كان بأرض الحبشة من المسلمين، حتى فات ذلك الشهر، لم يأمرهم بإعادة الصيام"[2] وقال الذهبي ~ : "فلا يأثم أحد إلا بعد العلم، وبعد قيام الحجة...وقد كان سادة الصحابة بالحبشة، ينزل الواجب والتحريم على النبي ﷺ، فلا يبلغهم إلا بعد أشهر فهم في تلك الأمور معذورون بالجهل، حتى يبلغهم النص.."[3].

ثالثاً: تفاضل الجهاد حسب الحاجة[4].

فإذا كانت الهجرة إلى المدينة جهاداً، ميز الله أصحابها وخصهم بالذكر والفضيلة، بقول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[5]، فقد نال هذا الفضل أصحاب هجرة الحبشة، وإن تأخر لحوقهم بالنبي ﷺ حتى فتح خيبر وذلك للحاجة لبقائهم في الحبشة، وهذا ما أكده النبي ﷺ لأصحاب السفينتين[6]، كما سبق في الحوار

---

(١) انظر الهجرة الأولى في الإسلام: مرجع سابق، ص٢٠٢.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: لابن تيمية، مرجع سابق، ج٢٢، ص٤٣.

(٣) الكبائر للذهبي: ص١٢.

(٤) انظر الهجرة الأولى: مرجع سابق، ص٢٠٥.

(٥) سورة الحشر: الآية (٨).

(٦) انظر السيرة النبوية: للصلابي، مرجع سابق، ص٢٠٧.

بين عمر وأسماء بنت عميس }[1].



(١) انظر صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج٥، ص٢٤٩، ٢٥٠ حديث رقم (٦٩٧).

الخاتمـــة

الخاتمـــة

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، فللّه وحده الحمد والشكر، والمنة أولاً وأخيرا وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد : -

فبعد هذه الجولة الطيبة المباركة مع الهجرة إلى الحبشة وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية ما بين تعريف للهجرة وبيان أنواعها وأحكامها، ودوافع الهجرة، وأحداث الهجرة، وبيان منهج المهاجرين وآثار الهجرة والدروس المستفادة منها، أرجوا من الله العلي العظيم أن أكون قد وفقت في كتابة هذا الموضوع الذي يتعلق بالهجرة وما ترتبت عليه من آثار عظيمة في مجال الدعوة إلى الله على الوجه الأتم الأحسن، ولا ادعى في ذلك الكمال، ولكن أساله تعالى أن يقبله مني وأن يُفيد به كل من وقف عليه وقرأه، وعلق عليه، وبعد الانتهاء .

أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي بفضل الله ومنه وهي :

١- وجوب المحافظة على الدين، إذ لا يستقيم أمر الدنيا والآخرة إلا به، فيجب المحافظة عليه والتضحية من أجله بكل غالٍ ورخيص وإن كلف ذلك ترك الأهل والوطن .

٢- مشروعية الهجرة في الإسلام، إذ إنها سنة الله في خلقه، فليست الهجرة فقط من أجل الفرار من الأذى والاضطهاد، ولكن المقصود الأسمى منها هو تحقيق الهدف الذي من أجله خلق الله عباده وهو(عبادة الله والدعوة إليه) .

٣- تربص أعداء الإسلام بالمسلمين ووقوفهم في وجه الدعوة، والعمل على القضاء عليها، وأنه لا بد للمسلمين أن يكونوا متيقظين لذلك وأن يتخذوا كافة الوسائل والأساليب من أجل الوقوف في وجه أعدائهم .

٤- حرص الرسول ﷺ على أصحابه وشفقته بهم، إذ التمس لهم أسباب المحافظة على دينهم.

٥- أنه يجب على قائد الدعوة أن يعمل على حماية الدعوة وأصحابها، وأن لا يعرضهم للخطر بل يبحث لهم عن أماكن آمنه يأمنوا فيها على أنفسهم ودينهم .

٦- معية الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، إذ هيأ لهم الأسباب التي فيها نجاتهم من عدوهم.

٧- إن الهجرة إلى الحبشة حدث تاريخي مهم، فهي تمثل الصراع بين الحق والباطل، كما أنها انتقال بالدعوة من مرحلة الاضطهاد والافتتان في الدين إلى مرحلة الأمن والحرية في العبادة .

٨- إن الدين الإسلامي دين عالمي، فهو ليس خاصا بقوم دون قوم وإنما هو للبشرية جمعاء إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم، كما أن الهجرة إلى الحبشة كانت بداية للانطلاقة للعالمية.

٩- من النتائج التي توصلت إليها كذلك أن الحق لابد له أن ينتصر، وأن المسلم متى آمن بالحق وتمسك به وثبت عليه وضحى من أجله فإن النصر سوف يكون حليفه في النهاية .

التوصيات :

١- أوصي نفسي وغيري من طلبة العلم بالوقوف على سيرة الرسولﷺ العطرة المليئة بالأحداث العظيمة والاستفادة منها في خدمة الدعوة .

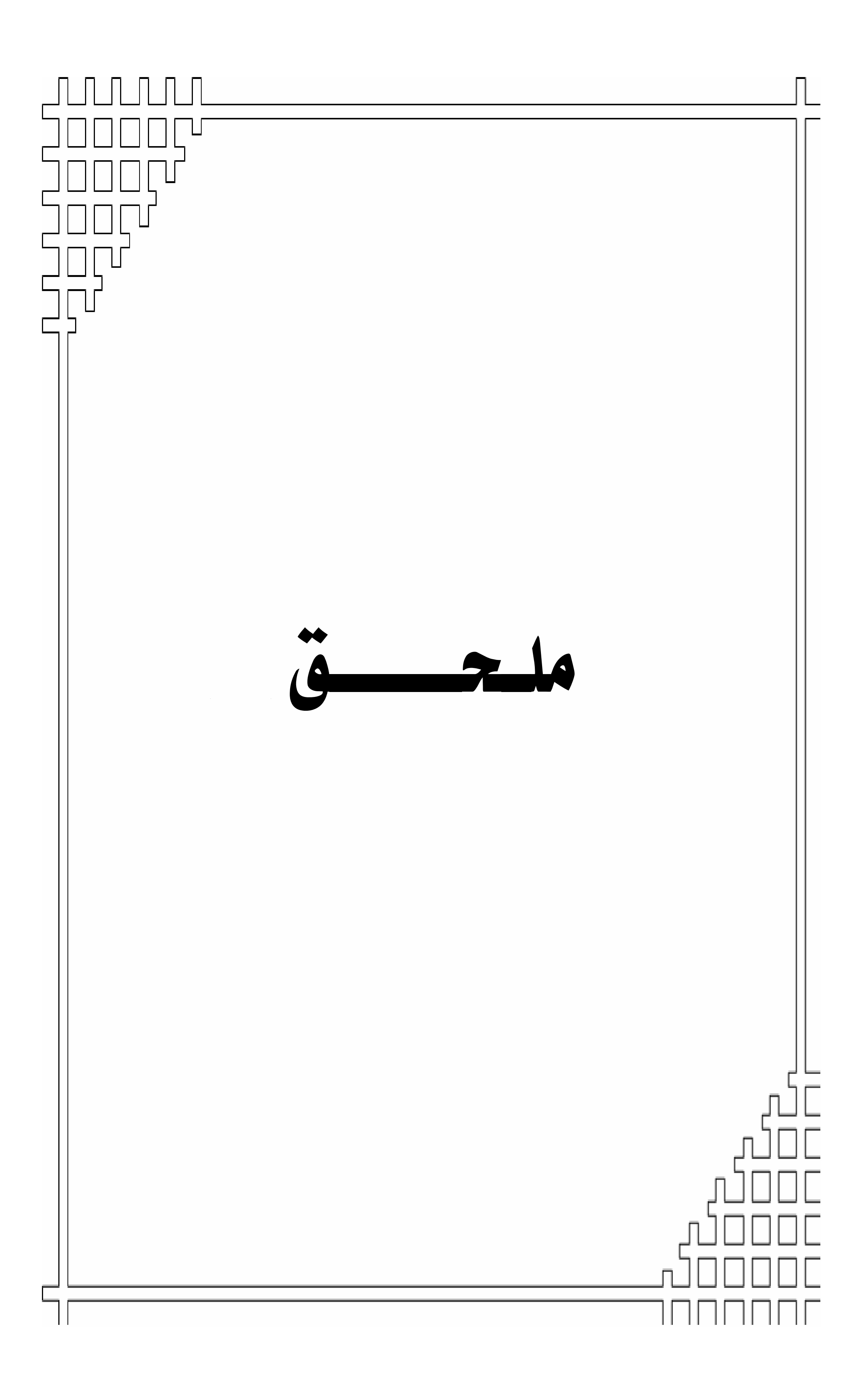
٢- كما أوصي طلبة العلم بالكتابة عن النجاشي ودوره في خدمة الدعوة هذه الشخصية العظيمة التي كان لها دور عظيم في هذه الهجرة .

٣- كما أوصي طلبة العلم بالكتابة عن الدعوة إلى الله في الحبشة سواء أكان في العهد القديم أم في العصر الحديث .

٤- كما أوصي نفسي وطلبة العلم بالاهتمام بكتب السير والتاريخ والمليئة بالحوادث التاريخية المهمة والشخصيات العظيمة والاستفادة منها في جانب الدعوة .

فهذا آخر ما فتح الله علي به ووفقني لكتابته في هذا الموضوع الجليل الذي أعترف فيه بالعجز والتقصير، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والنعم السابغات كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.





ملحق

ملحق بأسماء أصحاب الهجرة الأولى كما جاء في سيرة ابن هشام مرتبة على حسب حروف الهجاء:

١- أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو.

٢- أبو سبرة بن أبي رُهم.

٣- أبو سلمه بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمه بنت أبي أميه.

٤- الزبير بن العوام.

٥- سهيل بن بيضاء.

٦- عامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة.

٧- عبد الرحمن بن عوف.

٨- عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

٩- عثمان بن مظعون.

١٠- مصعب بن عمير.

ملحق بأسماء أصحاب الهجرة الثانية كما جاء في سيرة ابن هشام مرتبة على حسب حروف الهجاء:

١- أبو الرّوم بن عمير بن هشام.

٢- أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة.

٣- أبو سبرة بن أبي رُهم معه امرأته أم كثلوم بنت سهيل.

٤- أبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمه بنت أبي أمية بن المغيرة.

٥- أبو عبيدة بن الجراح.

٦- أبو قيس بن الحارث بن قيس.

٧- أبو وقاص مالك بن أهيب.

٨- الأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد.

٩- بشر بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم.

١٠- جابر بن سفيان.

١١- جعفر بن أبي طالب معه امرأته أسماء بنت عُميس.

١٢- جنادة بن سفيان معه امرأته حسنة .

١٣- جهم بن قيس بن عبد شرحبيل معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود.

١٤- الحارث بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم.

١٥- الحارث بن حاطب.

١٦- الحارث بن خالد بن صخر معه امرأته ريطة بنت الحارث.

١٧- الحارث بن عبد قيس.

١٨- حاطب بن الحارث بن معمر معه امرأته فاطمة بنت المجلَّل بن عبدالله بن قيس.

١٩- حاطب بن عمرو بن عبد شمس.

٢٠- حطّاب بن الحارث معه امرأته فُكيهة بنت يسار.

٢١- خالد بن سعيد بن العاص معه امرأته أُمينة بنت خلف بن اسعد.

٢٢- خُنيس بن حذافة.

٢٣- الزبير بن العوام.

٢٤- السائب بن الحارث بن قيس عدي بن سعد بن سهم.

٢٥- السائب بن عثمان بن مظعون.

٢٦- سعد بن خولة.

٢٧- سعد بن عبد قيس.

٢٨- سعيد بن الحارث بن قيس عدي بن سعد بن سهم.

٢٩- سعيد بن عمرو.

٣٠- سفيان بن معمر.

٣١- السكران بن عمرو بن عبد شمس معه امرأته سودة بنت زمعة.

٣٢- سلمة بن هشام بن المغيرة.

٣٣- سليط بن عمرو بن عبد شمس.

٣٤- سهيل بن بيضاء.

٣٥- سُويبط بن سعد بن عبد الدار.

٣٦- شماس بن عثمان.

٣٧- طليب بن عمير بن وهب بن قصي.

٣٨- عامر بن أبي وقاص.

٣٩- عامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة.

٤٠- عبد الرحمن بن عوف.

٤١- عبد الله بن الحارث.

٤٢- عبد الله بن جحش.

٤٣- عبد الله بن حذافة بن قيس.

٤٤- عبد الله بن سفيان.

٤٥- عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس.

٤٦- عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى.

٤٧- عبد الله بن مسعود.

٤٨- عبد الله بن مظعون.

٤٩- عبيد الله بن جحش معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان.

٥٠- عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب.

٥١- عتبة بن مسعود.

٥٢- عثمان بن ربيعة.

٥٣- عثمان بن عبد غنم.

٥٤- عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

٥٥- عثمان بن مظعون.

٥٦- عديّ بن نضلة بن عبد العزى.

٥٧- عروة بن عبدالعزّى.

٥٨- عمر بن الحارث بن زهير.

٥٩- عمرو بن أبي سرح.

٦٠- عمرو بن أُمية بن الحارث.

٦١- عمرو بن سعيد بن العاص معه امرأته فاطمة بنت صفوان.

٦٢- عمرو بن عثمان بن كعب.

٦٣- عُمير بن رئاب بن حذيفة بن مُهشَّم بن سعد.

٦٤- عيّاش بن أبي ربيعة.

٦٥- عياض بن زهير.

٦٦- فراس بن النضر بن الحارث.

٦٧- قُدامة بن مظعون.

٦٨- قيس بن حذافة.

٦٩- قيس بن عبد الله معه امرأته بركة بنت يسار.

٧٠- مالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس معه امرأته عمرة بنت السعدي.

٧١- محمد بن حاطب.

٧٢- مصعب بن عمير.

٧٣- المطلب بن أزهر بن عبد عوف معه امرأته رملة بنت أبي عوف.

٧٤- مُعتَّب بن عوف بن عامر.

٧٥- معمر بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم.

٧٦- معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى.

٧٧- معيقيب بن أبي فاطمة.

٧٨- المقداد بن عمرو بن ثعلبة.

٧٩- النعمان بن عديّ بن نضلة.

٨٠- هبار بن سفيان بن عبد الأسد.

٨١- هشام بن أبي حُذيفة.

٨٢- هشام بن العاص.

٨٣- يزيد بن زمعة بن الأسود.

الفهـارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	البقرة:٢٣	٢	٢٤
﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾	البقرة:٣٠	٢	٣٣٠
﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾	البقرة:٣٤	٢	١٣٦
﴿حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾	البقرة:١٠٩	٢	٤٠٥
﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾	البقرة:١١١	٢	٤٠٦
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾﴾	البقرة:١١٥	٢	٣٩٨
﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾	البقرة:١٣٢	٢	٣٧٠
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾	البقرة:١٣٦	٢	٤٠٥
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾	البقرة:١٧٠	٢	١٣١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾	البقرة:١٨٣	٢	٣٤٧
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾	البقرة:١٨٦	٢	٥٨
﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾	البقرة:١٩٨	٢	٣٠

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾	البقرة:٢٥٦	٢	٣٧٤
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾	البقرة:٢٨٥	٢	٤٠٥
﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾	آل عمران:٣٢	٣	١٣٢
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾	آل عمران:٧٥	٣	٢٢٣
﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾	آل عمران:٨١	٣	٢٠٢
﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤﴾	آل عمران:٩٤	٣	٤٠٨
﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾	آل عمران:١٠١	٣	٣٥٣
﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾	آل عمران:١٠١	٣	٣٣٥
﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾	آل عمران:١١٠	٣	٣٧٦
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾	آل عمران:١٣٢	٣	٣٥٠
﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾	آل عمران:١٥٩	٣	٣٩٤
﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾	النساء:٣٤	٤	١٨

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾	النساء:٣٦	٤	١٧٢، ٢٦١، ٣٤٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾	النساء:٤٨	٤	١٧١
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾	النساء:٥٨	٤	٣٤٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾	النساء:٥٩	٤	٣٩٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١ ﴾	النساء:٧١	٤	٣٩٩
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	النساء:٧٧	٤	١٣٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ ﴾	النساء:٩٧	٤	٣٨، ٣٩، ٤٦، ٤٠٨
﴿ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩ ﴾	النساء:٩٨-٩٩	٤	٤٦، ٤٥
﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ ﴾	النساء:١٠٠	٤	١٨
﴿ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢ ﴾	النساء:١٠٢	٤	٣٩٩
﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ ﴾	النساء:١٢٣	٤	٢٦٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤ ﴾	النساء:١٤٤	٤	٤٠٩
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾	المائدة:٢	٥	٣٢٨

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾	المائدة:٢٧-٣٠	٥	١٣٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾	المائدة:٥٤	٥	٣٦٩
﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾	المائدة:٦٧	٥	٣٧٦، ٤٠٧
﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	المائدة:٨٢	٥	٤٠٠
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾	المائدة:٨٣	٥	٣٨٩
﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾	المائدة:٨٤	٥	٣٩٠
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾	المائدة:١٠٤	٥	١٣٥
﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾	المائدة:١١٥	٥	٤٠٦
﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	الأنعام:١٠	٦	١١٤

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون (١٩)﴾	الأنعام:١٩	٦	٣٥٣
﴿وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾	الأنعام:١٩	٦	٢٠٢
﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (٦٨)﴾	الأنعام:٦٨	٦	٢٨
﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (٨٢)﴾	الأنعام:٨٢	٦	٣٧٣
﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾	الأنعام:٩٠	٦	١٩٨
﴿بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (١٠١)﴾	الأنعام:١٠١	٦	٣٦٢
﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠) ۞ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون (١١١)﴾	الأنعام:١٠٩-١١١	٦	١٠٣
﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (١٣٠)﴾	الأنعام:١٣٠	٦	١٩٥
﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾	الأنعام:١٤٨	٦	٤٠٥

الآيــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) ﴾	الأنعام:١٥١-١٥٢	٦	٣٧٢
﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾	الأنعام:١٥٣	٦	٣٢٧
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾	الأعراف:٣٣	٧	٣٤٨
﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) ﴾	الأعراف:٦٢	٧	٤٠٧
﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) ﴾	الأعراف:١٣٢	٧	١٠٣
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) ﴾	الأعراف:١٤٦	٧	٤٠٤
﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	الأعراف:١٥٨	٧	١٩٩، ٢٠٥
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾	الأعراف:١٩٤	٧	٢٤
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾	الأنفال:٢٤	٨	٣٤٩، ٣٩٨

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيــــــــــة
٣٢٩	مـ	الأنفال:٤٦	﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾
٥٠	مـ	الأنفال:٧٢	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾
٤٠٩	مـ	التوبة:١	﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١﴾
١٨٣، ١٨٩	مـ	التوبة:٤٠	﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾
٣٠٨	مـ	التوبة:٨٤	﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾
٣٩٥	مـ	التوبة:١٠٥	﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾
٣٢، ٣٨٥	مـ	التوبة:١١١	﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١١﴾
٣٩٤	مـ	التوبة:١٢٨	﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾
١٠٠	ك	يونس:٩٦-٩٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٩٧﴾

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾	الحجر:٩٤-٩٦	١٥	١١٥
﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾	الحجر:٩٤	١٥	١٤٤
﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾	الحجر:٩٤	١٥	٩١
﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾	الحجر:٩٤-٩٦	١٥	١١٥
﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾	الحجر:٩٥-٩٦	١٥	١١٥
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	النحل:٣٦	١٦	٣٤٦
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾	النحل:٤١	١٦	٢٢٩، ٢٥١، ٣٦٨
﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾	النحل:٩٩	١٦	١١٥، ٢٦٠
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾	النحل:١٠٣	١٦	١١١
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾	النحل:١١٢	١٦	٣٧٢
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾	النحل:١٢٥	١٦	٣٤٢، ٤٠١

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾	الإسراء:٣٤	١٧	٣٤٩
﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾	الإسراء:٥٩	١٧	١٠٠
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾	الإسراء:٨٥	١٧	١٠٩
﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾	الكهف:٨٤-٩٨	١٨	١٠٨
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ....﴾	الكهف:٩-٢٢	١٨	١٠٧

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾	الكهف:١٣-١٤	١٨	٣٦١
﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾	الكهف:١٤	١٨	٣٦١
﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾	الكهف:٢٩	١٨	٣٧٤
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾	الكهف:١١٠	١٨	١١٢
﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ....﴾	مريم:١-٣٥	١٩	٣٥٧
﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾	مريم:٢٥	١٩	٣٩٥
﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾	الأنبياء:٦٦-٦٧	٢١	٣٤٢
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾	الأنبياء:٩٨	٢١	١٣٢
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾	الأنبياء:١٠٧	٢١	١٠١، ١٩٨، ٣٩٤
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾	الحج:٥٢	٢٢	٢٦٣
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾	الحج:٧٥	٢٢	٣٤٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾	النور:٢٣	٢٤	٣٤٩

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــة
٣٦٢	٢٤	النور:٥٥	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾
٣٤٧	٢٤	النور:٥٦	﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾
١٩٨،١٩٤	٢٥	الفرقان:١	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾
١١٠	٢٥	الفرقان:٤-٥	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ ﴾
١١١	٢٥	الفرقان:٦	﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ ﴾
١٨	٢٥	الفرقان:٣٠	﴿ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾
٣٤٩	٢٥	الفرقان:٧٢	﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ ﴾
٣٣١	٢٦	الشعراء:٣٤-٣٧	﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ ﴾
٩٢	٢٦	الشعراء: ٢١٤-٢١٥	﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾
٢٩٣	٢٧	النمل:٣٢-٣٣	﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) ﴾	النمل:٣٤-٣٥	٢٧	٢٩٣
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) ﴾	النمل:٦	٢٧	١١١
﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) ﴾	النمل:٣٢	٢٧	٣٣١
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾	القصص:٥-٦	٢٨	٣٦٣
﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) ﴾	القصص:٢١	٢٨	٢٨
﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) ﴾	القصص: ٥٢-٥٥	٢٨	٢٠٦
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) ﴾	القصص: ٥٥	٢٨	٣٨٩
﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٢٥) ﴾	العنكبوت:٢٥	٢٩	٣٤٢
﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾	العنكبوت:٢٦	٢٩	٢٨
﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾	العنكبوت:٥١	٢٩	١٠٣، ٣٥٣

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾	العنكبوت:٥٢	٢٩	١٠٣
﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	العنكبوت:٥٦	٢٩	٣٨، ١٥٠
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾	الروم:٣٠	٣٠	٣٧٠
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾	لقمان:١٣	٣١	٣٤٣
﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾	السجدة:٢	٣٢	١١١
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾	الأحزاب:٣٦	٣٣	٣٥٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾	الأحزاب: ٤٥-٤٦	٣٣	٣٧٦
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	الأحزاب:٧١	٣٣	١٣٢
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾	سبأ:٢٨	٣٤	٢٠٠، ٢٠٤
﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾	فاطر:٤	٣٥	٩٠
﴿يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾	يس:١-٢	٣٦	٢٠٧
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾	يس:٦٩	٣٦	١١٤
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾	الصافات:٣٥	٣٧	١١٣، ٤٠٥
﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾	الصافات: ٣٦-٣٧	٣٧	١١٣

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾	الصافات:٩٩	٣٧	٢٨
﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾	ص:٤	٣٨	١١٣
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾	ص:٨٢–٨٣	٣٨	٢٦٠
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾	الزمر:٣	٣٩	٥٨
﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾	الزمر:٣٢	٣٩	٤٠٨
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾	غافر:٦٠	٤٠	٢٤
﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾	فصلت:١–٦	٤١	٣٥٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾	فصلت:٣٠	٤١	٣٦٢
﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾	فصلت:٤٣	٤١	١١٦
﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾	الشورى:٣٦–٣٨	٤٢	٣٣١

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	الشورى:٣٨	٤٢	٣٣٤
﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾	الزخرف:٦١	٤٣	١٩٣
﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾	الأحقاف:٢٩	٤٦	١٥٩، ٢٠٥
﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾	الأحقاف:٣١	٤٦	١٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾	محمد:٧	٤٧	٣٦٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾	الحجرات:١٣	٤٩	١٣٢، ١٣٤
﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾	الذاريات:٥٠	٥١	٣٦
﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾	النجم:١٩	٥٣	٢٥٧
﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾	النجم:٥٠-٦٢	٥٣	٢٦٥
﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾	القمر:٢-٣	٥٤	٤٠٦
﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾	القمر:١	٥٤	١٠١
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾	الرحمن:١-٢	٥٥	١٥٤
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾	الحشر:٧	٥٩	٣٥٠

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾	الحشر:٨	٥٩	٤١١، ١٨
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾	الحشر:٩	٥٩	١٧٦
﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾	الحشر:٢١	٥٩	٣٥٦
﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾	الممتحنة:٩	٦٠	٤٠٩
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)﴾	الممتحنة: ١٢-١٣	٦٠	١٧٠
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)﴾	الصف:٦	٦١	٣٨٦، ٣٥٦
﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾	الطلاق:٢-٣	٦٥	٣٦٣
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾	الملك:١٥	٦٧	٣٩٥

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ (٣)﴾	القلم:١-٣	٦٨	١١٣
﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٥٢)﴾	القلم:٥٢	٦٨	١٩٩
﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ (٤٦)﴾	الحاقة:٤٤-٤٦	٦٩	٢٥٩
﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا (١)﴾	الجن:١	٧٢	٢٠٥،١٥٩
﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا (٢)﴾	الجن:٢	٧٢	٢٠٥
﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾	المزمل:١٠	٧٣	١٩
﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ (٥)﴾	المدثر:٥	٧٤	١٩
﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ (٢٠) مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ (٢١)﴾	التكوير:١٩-٢١	٨١	١١١
﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ (٢٦) إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٢٧)﴾	التكوير:٢٧-٢٦	٨١	١٩٩
﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ (١٠) وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى (١٥) ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١)﴾	الليل:١-٢١	٩٢	١١٩
﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا (٥) إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا (٦)﴾	الشرح:٥-٦	٩٤	٢١٤
﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ (٩) عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ (١٠)﴾	العلق:٩-١٠	٩٦	٣٧٥

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــــــة
١٣٤	١٠١	القارعة:١-١١	﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾
٧١	١٠٥	الفيل:١-٥	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾
٣٧٢	١٠٦	قريش:٤	﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾
٩٢	١١١	المسد:١-٥	﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾



فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١٨	إنَّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقةً، وإنَّ أُمَّتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقةً كُلُّها في النَّار، إلَّا واحدة وهي الجماعةُ	٣٢٧
١٩	أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا....	٣٠
٢٠	أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: " بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا....	١٧٠
٢١	أن رسول الله ﷺ نعى لِلنَّاسِ النَّجَاشِىَ فِى الْيَوْمِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ	٣٠٨
٢٢	أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا: يا رسول الله لِمَ؟ قال: لا تراءى نارهما	٤٠٨
٢٣	أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ	٣٤٤
٢٤	إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ	٣٧
٢٥	إنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى....	٣٥٣
٢٦	إني رأيت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان	١٩٠
٢٧	أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.....	١٧٩
٢٨	أي الناس أشد بلاء قال: فقال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه....	٣٥٠
٢٩	الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ قَالَ الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ....	٤٨
٣٠	بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ....	١٧٦
٣١	بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ....	٢٧٧

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٤٧	عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: "حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ....	١١٥
٤٨	عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى خثعم	٣٨
٤٩	عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ....	١٢٠
٥٠	عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ وَلَمْ يَقُلْ وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ	٣٠٤
٥١	فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تُجَّارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ....	١٨٦
٥٢	فأقام رسول الله ﷺ على أمر الله تعالى صابراً محتسباً....	١١٥
٥٣	فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد	٤٠٠
٥٤	فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا	٣٤٨
٥٥	فَصَعَدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ	١٨٨
٥٦	فعن عَلْقَمَةَ أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ....	٢٠٥
٥٧	فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا	٣٤٤
٥٨	فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لابَتَيْنِ	٣١١
٥٩	فقَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ	١٦٢
٦٠	فلمّا كان يومئذٍ، والتقوا، فهزم الله ﷻ المشركين....	٣٣٣
٦١	فَوَ اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حمر النعم	٣٧٦

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٦٢	فِي أُسَارَى بَدْرٍ لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ	١٦٢
٦٣	قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ	٣٠٧
٦٤	قال النبي ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ	٤٩
٦٥	قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل	٣٩٦
٦٦	قالت قريش للنبيﷺ: أدع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً....	١٠٠
٦٧	قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ	١٧٩
٦٨	قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ الله	٣٥٤
٦٩	قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا فَقَالَ: مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا	١٨٣
٧٠	قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال :الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل....	١١٧
٧١	لا تختلفوا فتختلف قلوبكم	٣٢٩
٧٢	لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى قَائِمَةً بِأَمْرِ الله لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ	٣٧٠
٧٣	لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ :الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى	٣٠
٧٤	لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها	٣٨
٧٥	لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَآخَرُ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا	٤٠٢
٧٦	لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ	٣٤

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٧٧	لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلاً، حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ	٤١، ٤٠٨
٧٨	لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ....	١٦٠
٧٩	لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ....	١٨٢
٨٠	اللهُمَّ نَجِّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ اللهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ اللهُمَّ نَجِّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ اللهُمَّ نَجِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	٤٥
٨١	لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لايظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه	١٢٥، ١٤٤، ٢١٣، ٢٩٦، ٣٠٩
٨٢	المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه	٣٥
٨٣	المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء....	٢٠
٨٤	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه	٢٠، ٣٣، ٣٥
٨٥	مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ....	١٦٨
٨٦	من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا	٣٧٢
٨٧	من التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الله بسخط الله، وكله الله إلى الناس	٣٦٣
٨٨	مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ	٣٨
٨٩	من خالف الجماعة شبراً فمات فميتته جاهليَّة	٣٢٩
٩٠	مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ	٤٠٧

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٩١	منْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْم الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ	٣٤٨
٩٢	مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ	٢٦٣
٩٣	نَعَى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ النَّجَاشِيَ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ فِى الْيَوْمِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ	٣٠٨
٩٤	والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي....	٨٥
٩٥	وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْىٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ	٤٠٧
٩٦	وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ	١٦٢
٩٧	وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْهُ قَالَ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ الله ﷺ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ	١١٥
٩٨	وَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا، يَعْنِي لأَهْلِ السَّفِينَةِ....	٣١٦
٩٩	وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ	٤٠٨
١٠٠	وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ	٣٤٥
١٠١	يَا صَبَاحَاهْ ..فَقَالُوا مَنْ هَذَا فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ....	٩٢
١٠٢	يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا سُلونِي مِنْ مالي مَا شِئْتُمْ	٩٢
١٠٣	يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شعغف الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ	١٠٨



فهرس الأعلام المترجم لهم



فهرس الألفاظ والكلمات الغريبة

م	الكلمـــــة	الصفحة
٢٢	التابع	٣٥٥
٢٣	الجزور	١١٣
٢٤	جلدين	٢٨١
٢٥	حبله	١٥٨
٢٦	الحرية الدينية	٣٧٥
٢٧	حُمْرُ النَّعَمِ	٣٧٦
٢٨	خدمتين	٣٨٧
٢٩	خِزْلِي	٣٤
٣٠	خضراءهم	٢٩٢
٣١	دار الأرقم	٩٣
٣٢	رئياً	٣٥٥
٣٣	رؤيَّتهم	١٤٥
٣٤	سَاخَتْ	١٨٥
٣٥	سب آلهتهم	٩٦
٣٦	السَّرَابُ	١٨٧
٣٧	سِرْبِهِ	٣٧٢
٣٨	السِّطه	٣٥٤
٣٩	سلى	١١٣
٤٠	سنة الأخذ بالأسباب	٣٩٥
٤١	سِيَاقَةِ المُوْتِ	٣٨١
٤٢	شَجْنَةٌ	٣٤٧
٤٣	الشعيبة	٢٤٠
٤٤	شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ	١٨٧

م	الكلمـــــة	الصفحة
٤٥	الشورى	٣٣٠
٤٦	الصَّفَا	٩٢
٤٧	طلب المعجزات	٩٩
٤٨	عُثَانٌ	١٨٦
٤٩	العذراء	٢٩٢
٥٠	غُدُرِكُمْ	٣٥
٥١	غديرتين	١٦٥
٥٢	فاصدع	٩١
٥٣	فتناحرت	٢٢٢
٥٤	فِرَارًا	٤١٠
٥٥	فَلَمْ يَرْزَآنِي	١٨٦
٥٦	فمرج	٧٣
٥٧	فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ	١٨٦
٥٨	لا هايم	٢٩٠
٥٩	مُبَيَّضِينَ	١٨٦
٦٠	مِرْبَدًا	١٨٧
٦١	مشكاة	٢٩١
٦٢	مصاحفهم	٢٩٠
٦٣	المطارنة	٦٢
٦٤	النجاشي	٦٩
٦٥	نصيبين	١٥٩
٦٦	نَعَى	٣٠٨
٦٧	يذئرهم	١٥٨



فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

◈ الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، دار الفكر، بيروت.

◈ أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي المدينة المنورة، ط١.

◈ أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن: عبدالقادر بن ياسين الخطيب.

◈ إثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ.

◈ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ابن دقيق العيد، بتحقيق / أحمد محمد شاكر، مكتبة الرسالة.

◈ أحكام القرآن: الجصاص، دار الفكر.

◈ أحكام القرآن: لابن العربي، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الكتب العربية، ط١.

◈ أدب الدنيا والدين: الماوردي.

◈ الأساس في السنة: سعيد حوى، دار السلام مصر.

◈ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، بتحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت.

◈ الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى: زاهر رياض، دار الشروق.

◈ الإسلام والحبشة عبر التاريخ: فتحي غيث.

◈ الإسلام والمسلمون في شرقي أفريقيا: عبد المنعم مقلد الغنيمي، عالم الكتب.

◈ الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر.

◊ أضواء على الهجرة، توفيق محمد سبع، مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية مصر.

◊ اعتقاد أهل السنة والجماعة في السمع والطاعة: صالح بن فوزان آل الفوزان، دار الشريف، ط٢.

◊ أعلام الزمرة بأحكام الهجرة: حماد بن محمد الأنصار، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

◊ أعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم الجوزية، دار الفكر.

◊ الأعلام: للزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥.

◊ انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له: محمد بن عبد الله النقيرة، دار المريخ.

◊ الانتصار لأهل السنة والحديث: عبد المحسن بن حمد البدر.

◊ أنساب الأشراف: البلاذري، تحقيق سهيل زكار وآخرون، دار الفكر، ط١.

◊ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: علاء الدين المرداوي، تحقيق، أحمد حامد، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط٢.

◊ البداية والنهاية: لابن كثير، دار الفكر العربي، ط٢.

◊ بين الحبشة والعرب: عبد المجيد عابدين، دار الفكر العربي.

◊ بينات الرسول ﷺ ومعجزاته: عبد المجيد الزنداني، بمساعدة عبد الله الجودة وآخرون، مركز البحوث بجامعة الإيمان، ط١.

◊ تاج العروس: للزبيدي.

◊ تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، تحقيق عبد الغفور عطار.

◊ تاريخ إثيوبيا: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية.

◊ تاريخ إثيوبيا: محمد تاج عبد الرحمن العروسي.

◊ التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٣.

◊ تاريخ الأمم والملوك: للطبري، دار الكتب العلمية - بيروت.

◊ تاريخ العرب قبل الإسلام والسيرة النبوية: جاسم حكيان علي، دار الفكر، ط١.

◊ تاريخ اليعقوبي: تعليق، خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط١.

◊ تاريخ اليمن: محمد عبد القادر بافقيه، المؤسسة العربية بيروت.

◊ التحرير والتنوير: محمد بن الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية.

◊ التخطيط للدعوة الإسلامية: عبدرب النبي أبو السعود، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١.

◊ التربية القيادية: منير الغضبان، دار الوفاء، ط١.

◊ التعريفات: للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي.

◊ تفسير أبي السعود: للإمام أبي السعود.

◊ التفسير الحديث: محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ودار الغرب الإسلامي- دمشق.

◊ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تقديم: الدكتور/ يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة ببيروت.

◊ التفسير الوسيط: للزحيلي، دار الفكر - دمشق.

◊ التمكين للأمة الإسلامية: محمد السيد حمد يوسف، دار السلام، ط١.

◊ تنوير الغبش في فضل السودان والحبش: ابن الجوزي، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الشروق، ط١.

◊ تهذيب الأسماء والصفات: النووي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

◊ تهذيب الأسماء واللغات: النووي، إدارة الطباعة الميزية.

◊ تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١.

◊ جامع البيان في تفسير القرآن: الإمام الطبري، دار الفكر.

◊ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، دار الكتاب العربي، ط٣.

◊ جغرافية أفريقيا وحوض النيل: حسام جاد الرب، دار العلوم.

◊ جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١.

◊ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي، دار الفضيلة.

◊ جوامع السيرة: لابن حزم، دار الكتب العلمية بيروت، ط١.

◊ الحبشة عربية الأصول والثقافة: أمين توفيق الطيبي.

◊ الحبشة: حسن محمد جوهر.

◊ الحبشة: ياسين الحموي وداود التكريتي.

◊ خصائص الدعوة الإسلامية: محمد أمين بني عامر، دار العلمية الدولية ودار الثقافة، ط١.

◊ دائرة المعارف الإسلامية: تأليف مجموعه من المؤلفين، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين.

◊ الدرر السنية في الأجوبة النجدية: عبدالرحمن بن محمد النجدي، ط٧.

- الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر، تحقيق: شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها: أحمد غلوش.
- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية: محمد الراوي.
- الدعوة إلى الله: سيد محمد الشنقيطي، دار عالم الكتب.
- دلائل النبوة: لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق: محمد رواس وعبد الرب عباس، دار النفائس.بيروت، ط٢.
- دلائل النبوة: للبيهقي، خرج أحاديثه وعلق عليه: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية.
- الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، دار ابن كثير، ط٨.
- الرسالة التبوكية: لابن القيم الجوزية، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي السلفي، دار ابن جزم، ط١.
- روح المعاني: الألوسي، إحياء التراث العربي، بيروت.
- الروض الأنف: للسهيلي، تحقيق، عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية.
- زاد المعاد: لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٥.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام: الصنعاني، صححه وخرج أحاديثه: فواز أحمد وغيره، دار الكتاب العربي، ط١٣.
- سنن ابن ماجه: للإمام ابن ماجه أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، مكتبة أبي المعاطي .

◊ سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي.

◊ السنن الكبرى: للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة.

◊ السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة: حسن الفاتح قريب الله.

◊ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لابن تيمية: دار المعرفة.

◊ سير أعلام النبلاء: الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط١.

◊ السير والمغازي: لابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر.

◊ سيرة ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار.

◊ السيرة الحلبية: علي برهان الحلبي، المطبعة المصرية، ط١.

◊ سيرة الرسول ﷺ: محمد عزة دروزة، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الانصاري، دار إحياء التراث العربي .

◊ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٣.

◊ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: لابن حبان، دار الفكر، ط٢.

◊ السيرة النبوية: لابن كثير، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة بيروت.

◊ السيرة النبوية: لأبي الحسن الندوي، دار الشروق.

◊ السيرة النبوية: لأبي شهبة، دار القلم.

◊ السيرة النبوية: مهدي رزق.، دار إمام الدعوة .

◊ الشبكة العنكبوتية: موقع شرفات عسير.

◊ شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي، دار القلم، ط٢.

◊ شرح الأصول الثلاثة: خالد بن عبد الله بن محمد المصلح.

◊ شرح العلامة الزر قاني على المواهب اللدنية: للقسطلاني.

◊ شرح ثلاثة الأصول: الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا.

◊ شرح رياض الصالحين: الشيخ محمد بن عثيمين، تحقيق وائل أحمد عبدالرحمن، مكتبة التوفيقية.

◊ شرح صحيح مسلم: النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢.

◊ الشفا بتعريف حقوق المصفى: للقاضي عياض، تحقيق حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم بن الأرقم.

◊ صحيح البخاري:للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم .

◊ صحيح مسلم:للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجَّاج :تحقيق أيمن إبراهيم الزاملي وآخرين، دار عالم الكتب .

◊ صفوة الصفوة: لابن الجوزي، تحقيق، محمود فاخوري، خرج أحاديثه، محمود قلعجي، دار المعرفة.

◊ الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر بيروت .

◊ الطراز المنقوش في محاسن الحبوش: محمد بن عبد الباقي البخاري، تحقيق عبد الله محمد الغزالي، ط١ (١٩٩٥م) الكويت.

◊ طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصاري، إدارة الشئون الدينية بدولة قطر.

◊ ظهور الإسلام والعلاقات مع شرق أفريقيا.

◊ عالمية الإسلام وإعداد المواطن الصالح: أحمد علي الملا.

◊ عالمية الدعوة الإسلامية والتحديات الموجهة إليها في الفترة المكية، عماد محمد عمارة يس، ط١، مكتبة عباد الرحمن.

◊ عالمية الدعوة الإسلامية: علي عبدالحليم محمود، دار عكاظ، ط٢.

◊ العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة: أبي الطيب صديق بن حسن البخاري، بتحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

◊ العقيدة الواسطية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق، أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف الرياض، ط٢.

◊ العلاقة بين شبه الجزيرة العربية والحبشة: عبد المعطي سمسم، دار السلام الحديثة، القاهرة، ط١.

◊ عمدة القارى شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي.

◊ عون المعبود شرح أبي داود: للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق، عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

◊ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ابن سيد الناس، دار الآفاق بيروت، ط١.

◊ الغرباء الأولون: سلمان بن فهد العودة، دار ابن الجوزي، ط١.

◊ الفتاوى السعدية: عبد الرحمن السعدي، منشورات المؤسسة السعديه الرياض.

◊ فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ورقمها محمد فؤاد عبدالباقي، دار المنار.

◊ الفتح الرباني: للساعاتي، دار الحديث- القاهرة.

◊ فتح القدير: الشوكاني، دار الفيصلية.

◊ فقه التمكين: الصّلابي، دار البيارق عمّان، ط١.

◊ فقه السيرة النبوية: منير الغضبان، دار الوفاء، ط١.

◊ في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ط١.

◊ القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار الجيل بيروت.

◊ قراءة جديدة في العهد المكي: رعد محمد البرهاوي، دار الكتاب.

◊ قراءة لجوانب الحذر والحماية.

◊ قصة الرسالة: عائض القرني، مؤسسة الريان.

◊ الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت.

◊ الكبائر: للذهبي.

◊ كشاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس البهوتي، تحقيق لجنة متخصصة في وزارة العدل.

◊ لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت.

◊ لسان العرب: لابن منظور، دار صادر بيروت.

◊ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمعه ورتبه: عبد الرحمن بن قاسم، مكتب المعارف.

◊ محمد رسول الله ﷺ: محمد الصادق عرجون، دار القلم.

◊ محمد رسول الله: محمد رضا، دار الكتب العلمية.

◊ المدخل إلى علم الدعوة: البيانوني: مؤسسة الرسالة - بيروت.

◊ المصباح المنير: الفيومي، دار نوبليس.

◊ مع الله: محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، ط٤.
◊ المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين: أعضاء ملتقى الحديث.
◊ المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، المكتبة الإسلامية.
◊ معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية.
◊ المغازي النبوية: ابن شهاب الزهري، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر.
◊ مغازي رسول الله لعروة بن الزبير: تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب التربية العربي، ط١.
◊ المغني: لابن قدامة تحقيق محمد شرف الدين خطاب، وسيد محمد السيد، دار الحديث القاهرة.
◊ المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، دار المعرفة بيروت.
◊ المفصل في أحكام الهجرة، علي بن نايف الشحود .
◊ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، بغداد.
◊ المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين: علي بن نايف الشحود.
◊ مقاصد الشريعة الإسلامية: مجموعة كتب من موقع الإسلام.
◊ مقدمة كتاب دعوة الإسلام: السيد سابق، دار الفكر.
◊ ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية: عدنان النّحوي، دار الإصلاح.
◊ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢.
◊ منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة النبوية: محمد أمحزون، دار السلام، ط٢.

◊ منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين، دار الفكر دمشق، ط٣.

◊ مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله: سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

◊ الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود.

◊ موسوعة الأعلام: موقع وزارة الإعلام المصرية.

◊ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: مانع بن حمَّاد الجهني، دار الندوة العالمية، ط٥.

◊ نسب قريش للزبيري: علق عليه ليفي بروفنسال، دار المعارف، ط٣.

◊ نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣.

◊ النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير.

◊ نيل الأوطار: للشوكاني، تحقيق عبدالمنعم إبراهيم، مكتبة نزار مصطفى الباز.

◊ الهجرة الأولى في الإسلام: سلمان بن حمد العودة، دار طيبة، ط١.

◊ الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد .ط١.

◊ هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة: الشيخ علي محفوظ، دار المعرفة، بيروت.

◊ الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي: علي رضوان أحمد الأسطل دار المنار الأردن، ط١.

◊ الولاء والبراء في الإسلام: محمد سعيد الغامدي، تقديم عبد الرزاق عفيفي.

فهرس الموضوعات

